

شكر وامتنان

لمعلم أستاذي الدكتور حمدان حجاجي أبي ، مهبط أو تبيت
حسنا من العلم والمعرفة ، لن أتمكن من التعبير له عن عظيم امتناني وخالص
شكري على ما قدمه لي من توجيهات علمية سديدة ، فكان له الفضل
الأكبر في إبراز هذا الضمير الوجود .

وان الموضوع الذي طرقت به ، محاولة ، أعلم حق العلم ، منذ أخذت
في معالجتها ، يبلغ ما يعترضها من صعوبات ، وما يمتورها من أسباب النقص ،
ولكنه مع ذلك كله ، أقدمت على معالجة هذا الموضوع ، أيانا ، فني ، بحق
العلم والمعرفة علينا جميعا ، نحن أبناء الأمة العربية ، وأملني كبر في
أن يجد المثقفون والباحثون ، في هذه الخطوة الأولى ، وان تعثرت ،
فما يفتح الطريق ، ويحفز إلى المضي فيه ، ابتغيا بلوغ أهدى غاياته .

فشكرا ، مرة أخرى ، لأستاذي الدكتور حمدان حجاجي على
المجهودات الجبارة التي بذلتها في سبيل الاشراف على هذا البحث ، والتي
لا تكون جاحدا عتوقا ، لو لمسيب أن أعبر عن شكري لجميع الأساتذة
والأصدقاء والأقرباء الذين قدموا لي يد المساعدة في كل حين ، فسقند
أحاطني الجميع برعاية تامة ، ومودة تفوق كل تقدير .

والله أسأل أن يوفقنا جميعا إلى ما فيه خير البلاد والمهاد .

تمهيد:

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلٰی سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ ، وَبَعْدُ .

فان دراسة اللّغة في البلدان المتقدمة قد بلغت درجة من التطوّر الطلي ، جعلت أبناء الأمة العربية من متقّفين وباحثين لا يتكفون ، بدورهم ، على الدراسة العلمية المتأنيبة قصد اللّحاق بركب الحضارة الانسانية .

وما من شك في أنّ الترجمة ، في عصرنا ، تعازجت فيه ثقافات الأمم وتشابكت فيه مصالحها ، قد أصبحت الصلة التي تشمل بين فنون الحضارة الانجليزية وبين الحضارة العربية الاسلامية . وقد عظمت أهمية الترجمة لأنها فتحت وسيلة كبرى من وسائل الثقافة . فالصرب اليوم ، مشرقا ومغربا ، مضطرون الى نقل أكبر عدد ممكن من المؤلفات الغربية التي سجل فيها أصحابها خبر ثمرات الحضارة الانسانية . وما دام للترجمة هذه الأهمية الخاصة ، فقد أصبح من واجب اللّخبة من أهل الاختصاص أن يتصرفوا الى أسرارها لتجسي الترجمة مطابقة للأصل في معناها ومرمها .

والشرط الأساسي المطلوب في الترجمة هو نقل المعنى الى اللّغة الجديدة (Langue d'arrivée) . ومن ثم ، تبرز الصعوبات وتشتق الحقيبات ، ولكن هذه الصعوبات ، وهذه الحقيبات تكون أكثر حدة حين يحلم المرء أن اللّغة العربية من اللغات السامية في حين أن الفرنسية من اللغات الهندية الأروبية . والمقارنة التي تقوم بين لغتين لا تشتركان في أرومة واحدة كذلك التي تكون بين العربية والفرنسية مثلا ، تندرج في حقل علم اللّغة التفاضلية (Linguistique Contrastive) ، والتقابل بين اللغتين يستوجب استجلاء أوجه التشابه والتباين في الأصوات والمفردات والتراكيب بين اللغتين .

والسلاطنة من هذا ، نجد أنفسنا ملزمين بحصر أهم الفروق الصوتية الموجودة بين العربية والفرنسية . وأول ما يلفت الانتباه هو أن في العربية حروفا لا وجود لها في اللغة الأخرى كالثاء والحاء والخاء والذال والراء والظاء والضاد والعين والضمين والقاف والماء . أما الساكنة ، فيسقط بها الفرنسيون تاء . فثابت هو Tabet عندهم . وأما الحاء والماء والعين ، فتحتسب عندهم ألفا كما تهيد في الأمثلة التالية : حلب (Alep) ، ماجر (Agar) ، عين البيضاء (Ain - Beida) . والحاء تنقلب عندهم كافا فيها أشقام بسيط من الحاء . لذلك تراهم يكتبون " مختار " (Mokhtar) . وفي سطقهم ، تتحوّل الذال والذالاء والضاد ذالا . والضمين يحوّلونها " g " لطقاء و " gh " كتابة . فثابت هو " ghanem " عندهم ، وتصيح القاف كافا في أغلب الأحيان نحو : " القاهرة " (Le Caire) . والفرنسية حروف لا وجود لها في العربية إلا أن عددها قليل ، نذكر منها على الأخص ، x, v, u, p . زد على هذا كله أن بعض المفردات في العربية رموزها الصوتية أكثر من حروفها المكتوبة . ونذكر على سبيل المثال : هرون ، سمك ، وأسماء الإشارة : هذا ، هذه ، هؤلاء ، ذلك . فأنت ترى أنها تكتب دون ألف بعدد الماء أو السين أو الذال . ومن هنا ، يتبين لنا أن " في أصوات حروف كل لغة صورة من الأصوات التي ألفها أصحابها في بيئتها القديمة التردّدات فيها والأصوات التي كانت تصاد بها فيها " (1)

ومن الفروق الصوتية أنه لا يجوز في العربية البدء بحرف ساكن على عكس الفرنسية . فالعرب يتوصلون إلى اللطوق بالحرف الساكن الأول باللجوه إلى همزة الوصل مثل : أخرج . وإذا أممنا النظر في الفرنسية ، وجدناها تتضمن ألفاظا كثيرة أولها ساكن . ومن ذلك : travailler (عمل) ، fragment (قطعة) ، Braille (زق) . وحروف المجهول في العربية تسعة وعشرون حرفا في حين أنها في الفرنسية ستة وعشرون حرفا .

(1) محمد مبارك ، فقه اللغة وخصائص العربية ، ص : 246 .

والحرف في كلتا اللغتين رمز مجرد ، لا مدلول له إلا إذا اتصل بحرف أو أكثر .
فإذا اتصلت الميم بالنون ، حصلنا على " من " أي ما يسميه النحاة قديماً بحرف
الجر ، أو على ما يحرف في علم اللغثة اليوم بالوحدة الوظيفية . وإذا اتصل الحرف
الفرنسي " d " بحرف " e " حصلنا على الوحدة الوظيفية " de " .

وهكذا يبدو جلياً أن الألفاظ تنشأ بانضمام حروف إلى حروف أخرى . وعلاوة
على هذا ، فإن حرف " x " في الفرنسية يرمز إلى صوتين مختلفين هما " الكاف
والزاي " أحياناً كما في قولك " xavier " و " examen " أو " الكاف
والسين " أحياناً أخرى كما في قولك " exolusion " (هلوك) و " excuser " (عذر) .
وقد يفتش الدارس في هذه اللغثة على بعض الألفاظ التي نجد بمسا
رمزين لا يدلان في الحقيقة إلا على صوت واحد ، فمن ذلك مثلاً : " thé " (شاي) ،
" théâtre " (مسرح) ، " théorie " (نظرية) ، Cheval (حصان) ،
Charrue (محرث) ، فالرمزان " th " يرمزان إلى صوت واحد هو التاء ،
في حين أن " ch " يرمزان إلى الشين .

ومن تقابل اللغات ما نلاحظه في " المفردات التي تشابهها لغة ما من
غيرها من اللغات ، يتصل معظمها بأمر قد اختلف بما أهل هذه اللغات أو
بورزا فيها أو امتازوا بالتأجها أو كثرة استخدامها .

ومن هذا المطريق ، انتقل إلى اللغات الأوروبية كثير من الكلمات
المربوية الدالة على منتجات زراعية أو صناعية : كالليمون والموصلي (وهو نسيج
خاص ينسب إلى الموصل) والزعفران والشواب والسكر والكافور والقشوة
(عسل قصب السكر المجدد) والقهوة والقطن والقرمزي شي الفرنسية :

" limon - mousseline - safran - sorbet - sirop
Candi - Café - Coton - Cramoisi " (2) .
sucre - camphre -

(2) علي عبدالواحد شي : علم اللغثة ، ص : 179 .

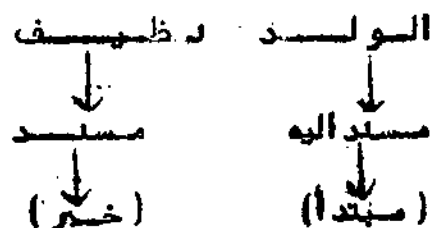
ومكذا ، نلاحظ أن الفرنسية أخذت من العربية بعض الألفاظ . وقد انتقلت إلى العربية ألفاظ ومهارات فرنسية عن طريق المحاكاة اللغوية (نقل تعبير من لغة إلى أخرى بترجمة حرفية) مثل : " demander sa main " (طلب يدها بدلا من خديها) و " blesser son amour-propre " (جرح شعوره) ، الخ ...

وتجدر الإشارة إلى أن الاسم في الفرنسية إما أن يكون مذكرا وإما أن يكون مؤنثا ، ولا يمكن أن يكون مذكرا ومؤنثا في آن واحد ، كما هو الشأن بالنسبة لبعض الكلمات في العربية . وأداة التعريف (l'article) " le " أو " la " التي تسبق الاسم هي التي تدلنا على أنه مذكر أو مؤنث (le Chat - la chatte) .

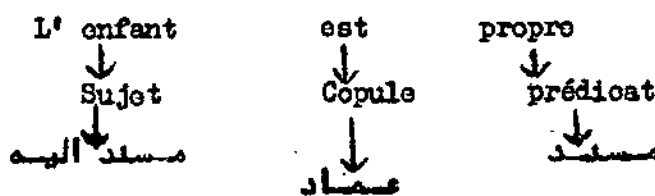
أما العربية ، فتشتمل على كلمات تذكر وتؤنث مثل : السبيل ، الطريق ، الخ وفيها ما يختلف الجنس le genre في الفرنسية عن الجنس في العربية . فالقمر (la lune) مؤنث في الفرنسية ومذكر في العربية ، والشمس (le soleil) على عكس ذلك . ويلاحظ بأن صيغة المثنى غير معروفة في الفرنسية ، فما زاد عن واحد ، فهو جمع ، ولا يتوصل إلى التثنية في هذه اللغة إلا باستعمال اسم العدد " deux " قبل الاسم المصدود ، مثل " deux Cahiers " (كراسان) . أما في العربية ، فهناك أفراد وتثنية وجمع (كراسان - كراسين) .

والنصت من حيث الرتبة يأتي بعد المنعوت (الخرفة الرأسمة ...) في اللغة العربية في حين أنه في الفرنسية يتقدم المنعوت أو يفهمه ، غير أن بعض المنعوت يختلف معناه بحسب موقعه . فإذا كان قبل الاسم كان له معنى معين . وإذا جاء بعده كان له معنى آخر . وما هي ذي أمثلة نسردها تأييدا لما نذهب إليه من رأي :
Une certaine chose (شيء ما) /
Une chose certaine (شيء مؤكد) / Un homme grand (رجل طويل) ✓
Un grand homme (رجل عظيم) / Un homme triste (رجل حزين) /
Un triste homme (رجل فاسد) .

ثم ان العربية لا تحتاج الى الصناد (Copule) الذي يربط بين المسند والخبر والذي لا يمكن الاستغناء عنه في الفرنسية . فتأتي الجملة في العربية على النحو التالي :



وفي الفلسفة الفرنسية ، تكون الجملة على النحو التالي :



ويقول الدكتور عثمان أمين : " ان الاسناد في اللغة العربية يكشف فيه اشياء علاقة ذهنية بين (موضوع) و (محلول) أو مسند اليه ومسند ، دون التصريح بهذه العلاقة نطقاً أو كتابة في حين ان هذا الاسناد اللفظي لا يكفي في اللغات الهندية الأوروبية الا بوجود لفظ مسند أو مقرون يشير الى هذه العلاقة في كل مرة (وهو فعل الكينونة) في اصطلاحهم ويسمونه في تلك اللغات وأحدية " (3) .

ويرى أحمد سليمان ياقوت أن " في هذا التحليل جنوح عن الموضوعية ويمد عن المنهج الوصفي " (4) ، والأولى أن يقال : " الضميمة علم الإسناد وبذلك يكون التكوين على خبر المسند اليه دليلاً على أن ما بعده خبر عنه " (5) .

- (3) عثمان أمين : فلسفة اللغة العربية ، ص : 25 .
 (4) أحمد سليمان ياقوت : في علم اللغة التقابلي ، ص : 24 .
 (5) إبراهيم مصطفى : أحياء النحو ، ص : 50 .

وبالإضافة إلى كل ما سبق، يعرف النحاة العرب القدامى "الفعل" بأنه ما دلّ على حدث يقترن به زمن، والفعل عندهم ماضٍ ومضارع (باعتبار شكله لا باعتباره معناه). وسنوضح ذلك فيما بعد. أما النحاة الفرنسيون فيذكرون أنواعاً شتى . . لكل من الماضي والمضارع. فمثلاً: الماضي البسيط (Le passé simple) والماضي المركب (Le passé Composé)، والماضي السابق (Le passé antérieur) والماضي الناقص (L'imparfait)، والماضي الأتم (Le plus-que-parfait). وباختصاره فإن للفرنسية ست ميسخ (modes) تقسم كل واحدة منها إلى أزمنة متعددة. ويذهب عبد الواحد وافي إلى التأكيد بأن "ليس للفعل في معظم اللغات السامية إلا زمانان: فعل انتهى زمنه (ماضٍ)، وفعل لم ينته زمنه (مضارع للحال أو للاستقبال) على حين أن له في اللغات اللاتينية الأروبية أزمنة كثيرة لكل منها صيغة خاصة". (6)

كل هذا، يجعل المترجمين يعانون مشكلات عظيمة في أداء مهمتهم. وقد أخذنا على ما نقلنا البحث في التطوير العلمي للكفيلة بأن تأخذ بيد المترجم وتجعله قادراً على نقل مفهوم هذا الزمن الفرنسي أو ذاك إلى اللغتين العربية. وأخترنا أن يكون "الزمن في اللغتين: العربية والفرنسية" موضوعاً لرسالتنا المتواضعة. ومن أجل بلوغ غايتنا، فإننا نرى أنه من الأفضل أن نستعين بالذهب الوظيفي الذي نشأ في براغ (Prague) فاصحة تشكوسلوفاكية، وتطور خاصة على يد كل من ياكوبسون (Jacobson) وأندري مارشيلينيه (André Martinet)، ويرى الوظيفيون عمومًا، ومارشيليه خصوصًا أن عناصر اللغة ينبغي أن تدرس حسب وظائفها. وقد قسمنا بحثنا إلى بابين: أما الباب الأول، فجزأناه إلى قسمين: قسم أول تناولنا فيه الفعل العربي، وقسم ثانٍ تناولنا فيه بمقارنة بين الفعل العربي والفعل الفرنسي، قصد اثبات أن اللغة العربية تعبر بدقة عن مختلف دلالات الأزمنة الموجودة في الفرنسية.

(6) علي عبد الواحد وافي: اللغة والمجتمع، ص: 19.

وسئلت ذلك - بإذن الله - بالدليل المقسح والبرهان القاطع ، والحجة الدامغة ، لأن المسائل العلمية لا دخل للمواطن فيها . أما الباب الثامن في تخصصاته للتطبيق ، وهو يحتوي على ترجمة كتاب هام يندرج في إطار كتابته تاريخ الجزائر المعاصر . ويحمل هذا الكتاب العنوان اللاتيني : " L'Algérie en marche " وسنطبق في ترجمتنا القواعد التي توصلنا إليها في القسم الأول من بحثنا . وقد يبدو مشروعنا هذا ، على جانب كبير من الجراءة خاصة ونحن نعلم علم اليقين أن لكل لغة بصوتياتها وبكلماتها الصرفية " وجود خاص مستقل . . . عن استعدادات المتكلم اللفظية . واللفظة تفرض نفسها عليه في صورة نظام قد أعد من قبل ، في صورة آلة وضمت فسي يده وهو يستخدمها لغايات شتى " (7) ولكننا بفضل العون الذي سئلناه من أساتذنا المشرف الدكتور حمدان حجاجي ، ومن طائفة من الأصدقاء الذين لهم دراية بأمور الترجمة واللغات التطبيقية ، وبفضل العمل الدؤوب والبحث الدقيق والمطالعة والتمحيص ، نستعمل بإذن الله السي تحقيق برمانا وتجسيد مبتغانا . وما دام الفرنسيون يقسمون أزعمهم السي بسيطة (Temps simples) وأخرى مركبة (Temps Composés) ، فإن بحثنا سيقتصر على الأزمنة الأولى ، فلا نتعرض للثانية إلا إذا دعت الضرورة إلى ذلك . ويهود ذلك إلى ضيق الوقت ، ويبقى علينا كبيرا فسي أن نقوم بالعمل المتدبق فيما بعد ، إن أتاحت لنا الظروف ذلك .

ومهما يكن من أمر ، فإنه يتعين علينا بعد أن نعرضنا بإيجاز للكتاب القائم بين اللغتين العربية والفرنسية ، أن نشعر إلى أن ما يهتما في هذه الدراسة المقارنة هو الزمن اللفظي لاغيره . وإن ما نجد أنفسنا مضطرين إليه هو إبراز أهمية القرائن الزمنية التي تضيف على الفعل في لغتنا صبغة زمنية محددة . وسنتعمق في هذا الجانب لأنه يمثل صلب موضوع رسالتنا ومحط أظاننا . وسنخضع هذه الرسالة إلى الواقع اللفظي لتأمين الحصار

(7) فدريس : اللغة ، ترجمة القصاص والدواخلي ، ص : 299 .

والخلط ، وللمتعدد من التحيز الذي لا يتماشى والمنهج الوصفي . ولطريق
هذه المنهجية الصّارة ، ارتأينا أن تكون ثلاثية محمد ديب مدرّساً
(Corpus) الأساسية ، وسلجاً في كثير من الأحيان إلى القرآن الكريم
لسببين هامين : أولهما أننا ندرك أن السبب الذي من أجله وضع أبو الأسود
الدولي النحو ، موسعاه رجلاً يقرأ في كتاب الله : " أن الله يسري
من المشركين ورسوله " (8) بالخفي . فاستمّظ ذلك منه (9) ولا
سدرك أن المستشرق الفرنسي " ريجيس بلاشير " ، كان على صواب حين
قال : " وسعد ظهر الاسلام ولم تعد اللغة العربية آلة عادية للكلام
والتخاطب ، ولا لغة إنسانية محضة ، بل شيئاً آخر . نعم ، لن نفهم
جوهر العربية وكلياتها ، بل لن نستطيع لها فهماً ، إذ نحن أهملنا أهمية
هذا الحدث القرآني " (10)

وأخيراً فالتساؤل سهل الأمثلة المؤيدة لآرائنا من مصادر أخرى
ان اقتضت الحاجة ، ابتغاء التوصل إلى ما سطح إليه ، وستتضمن
خاتمة بحثنا خلاصة ما تفدينا إليه دراستنا ،
والله سأل أن يسدّد خطانا وأن يوفقنا إلى بلوغ مقصدنا .

-
- (8) سورة التوبة : الآية الثالثة .
(9) ابن الأنباري : (تحقيق أبو الفضل إبراهيم) ، يزعة الألفاظ ، ص : 10 .
(10) مجلة الفكر التونسية : العدد الخامس ، ص : 16 .

التقسيم الأول :

المبحث

في اللغة العربية
جزء ٥

انه لا بد لنا من توضيح بعض المفاهيم قبل التخلُّص في أعماق الموضوع الذي نودّ دراسته دراسة علمية ، قائمة على التحليل والمقارنة ، قصد الوصول في نهاية المطاف الى استنباط قواعد وقوانين في ميدان الترجمة :

اللفظ : (*Le mot*) فاللفظ بالنسبة الى النحو التقليدي مجموعة أصوات أو حروف تمثل أصغر قطعة مطابقة لصورة ذهنية عن شيء أو شخص ، أو عمل ، الخ ... وتوَّلف اللفظ بجملا . ولم يعد اللفظ منذ فردناند دي سوسور ، بالنسبة للخويين ، كما كان . فالدليل اللغوي (*Signe Linguistique*) يتكوّن من الدال والمدلول المتلازمين كوجه الصفحة وظهرها " (1)

فاللغة تتقدّم لنا تقطيعين : تقطيع أول وتقطيع ثان .
فالتقطيع الأول (*La première articulation*) يعطينا وحدات متعاقبة لكل منها معنى ، وتسمى بحروف المعاني (*monèmes*) . ويمكن أن يسمو فيها الوحدات المعجمية (*lexèmes*) عن الوحدات النحوية (*morphèmes*) . أما التقطيع الثاني ، فيعطينا الوحدات التي تكوّن الدال (*signifiant*) والتي تسمى بحروف المعاني (*phonèmes*) ، والتي لا مدلول لها . والتقطيع الأول والتقطيع الثاني يحرفان بالتقطيع المزدوج (*la double articulation*) الذي يمثل إحدى المسلمات التي أقام عليها أندريه مارتيني (*A. Martinet*) نظريته . (٢٠٤٠)

وللمندليل اللغوي (*signe linguistique*) دال (*signifiant*) ومدلول (*signifié*) . فالدال هو الصورة أو الشكل المحسوس ، أمّا المدلول فهو المعنى ، أي الظهور الذي يفضي اليه الدال . فعندما نقول مثلا : " حصان " ، فالدال هو الحاء والصاد والفتحة ، الخ ... أما المدلول فهو : " حيوان " .

وعلى أن نلاحظ أن المتكلم لا يشعر بالعلاقة القائمة بين الدال والمدلول . فعندما يقول الراوي مثلا : " ويحكس أن ... " فانه لا يفكر في أن الفاء حرف عطف و " يحكس " فعل مضارع مهني للمجهول .

(1) - Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale, P.97.

ولتوضيح كل ما تقدم ، نسرى أنه من الأفضل أن نقطع الجملة التالية :
 " ذهب الرجل مع ولده " .

فيعطينا التقطيع الأول ما يلي :

ذهب / الرجل : مع / ولده

وما تلاحظه هو أنه يمكن لنا أن نبدل كل وحدة بوحدة أخرى ، فمناك
 اذن اختيار ، فتصبح الجملة مثلا

ذهب	الرجل	مع	ولده
خرج
.....	الجار

فمناك اذن اختيار ، ولوقمنا بالتقطيع الثاني لتحصلنا مثلا
 في ذهب على : ذ / تـ / هـ / تـ / ب / تـ .

ومن هنا يتبين لنا جيدا أن وحدات التقطيع الثاني محدودة في كل لائحة ،
 في حين أن وحدات التقطيع الأول تشكل قائمة مفتوحة لأن كل عصر يأتي
 بألفاظ جديدة تضاف الى الألفاظ الموجودة .

وعليها علاقة على ما تقدم ، أن نشير الى أن هناك أشياء أخرى
 موجودة على هامش التقطيع التدرج كما يقول مارتينو . ومن بين هذه
 الأشياء : " نبرة الصوت " (ton) مثلا ، ولكن اللساني يحجر هذه
 الأمور ثانوية . فاللساني لا يهتم إلا بما هو تفاضلي (pertinent) ، فمنا
 هذا التقطيع التدرج ، فالأشياء الأخرى تعتبرها مشبهة ، ولتوضيح التفاضلية
 (pertinence) نورد المثال التالي : " قال " ، فلاحظ أن هناك من يقول :

" قال " ، وهناك من يقول : " قال " أو " آل " .
 قلنا : قال - قال - آل .

فالتفاضلية غير موجودة بين " قـ " و " قـ " و " قـ " ، والتفاضلية غير
 موجودة في الفرنسية بين الراء والخين في قولهم : روب ، غوب (Robe)
 أي فستان .

ولفت الانتباه الى أن ما هو متفاضلي في لغة قد لا يكون متفاضلياً في لغة أخرى .
فالمثنى متفاضلي في لغتنا ، وغير متفاضلي في الفرنسية .

وقد فسح تصريف الدليل اللغوي بهذا الشكل ، المجال ، لدراسة العلاقات القائمة بين الدال والمدلول . وان اللغويين يعرفون اليوم اللفظ كالتالي : " اجتماع أصوات في نظام ثابت ، يعتمد تقطيعها في المفوظ ، ولما معنى (2) واللغة الشفهية تقطع الجملة الى قطع أكثر أهمية من الألفاظ . فلو تأملنا في هذا المفوظ : " الأطفال الصغار " ، لوجدناه ، في اللغة العربية الشفهية ، يمثل وحدة ، وكذلك الشأن بالنسبة الى " ماذا " .

واضافة الى هذا ، فان التقطيع الخطي ، موجود وملحوظ في كثير من الصيغ الاتحادية (Les Synthèses) : عدم الاكتراث ، برماثي ، لامقول ، وإذا قلنا أن اللفظ يكون كلمة لأنه لا يمكن ادخال أي شيء بين عناصره ، فماذا عسانا أن نقول في " كنا خرجنا " ، وما دام يمكن تبديل الصيغ الفعلية المركبة بصيغ تدعى بسيطة ، فمثل " كنا خرجنا " ، توه لف لفظين أو لفظاً واحداً ؟ وانه يمكن لنا أن نحشر " قد " بين الجزمين ، فنقول : " كنا قد خرجنا " . وعلى المقيض من ذلك ، فانه لا يمكن لنا أن نحشر شيئاً بين " ليل ونهار " في قولنا " أعمل ليل نهار " . ومن خلال هذه الأمثلة كلها نستنتج أنه ليس من اليسير تعيين حدود اللفظ ، وذلك يختلف من لغة الى أخرى ، وهو على كل حال ، لا يستجيب لمعايير دقيقة ومحددة . وقد شعرنا بذلك من خلال ما سبق ،

الوحدة الحوئية : (Le Monème)

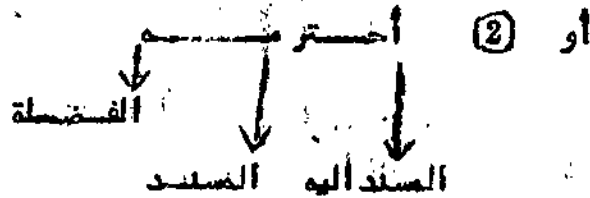
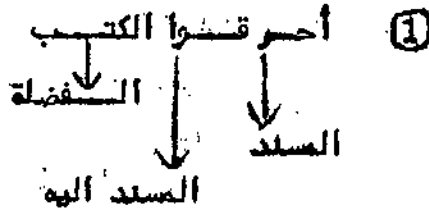
من المؤلف أن يتم تخصيص اللفظ في الجملة بجمع معان في نفس اللفظ . وهذا صحيح بالنسبة الى الأفعال ، مثل " سنخني " الذي نلاحظ فيه وجود أصل (أي جذر) هو " غني " وعنصر هو " س " الدال على المستقبل قبل الترتيب ، وعنصر آخر هو " ن " (أعني وحدة حوئية) .

فمذه العناصر الثلاثة قابلة للتعديل . ولكن ، ليس الأمر كذلك بالنسبة إلى " في الطريق " . فكما أن " على " الذي يقوم مقام اللواة يتحد مع عنصرين (قابلين للتغيير في عناصر أخرى) ، فإن الوحدة التالية " الطريق " ، تتحد بدورها مع عنصرين قابلين كذلك للتغيير نحو : " على الطريق " أو " إلى الطريق " . فإن " على " و " طريق " يمكن استخدامها وحدهما ، ولكن " س " و " ب " و " على " لا يجوز استعمالها وحدهما . ومع ذلك ، فإننا في النحو التقليدي نضع في فئة الألفاظ كل من " سنفتي " و " طريق " ، ونعتبر " س " و " ب " من عناصر اللفظ ، غير أن الفرق بين " س " و " ب " ، ينتج عن الموقع ، لا غير .

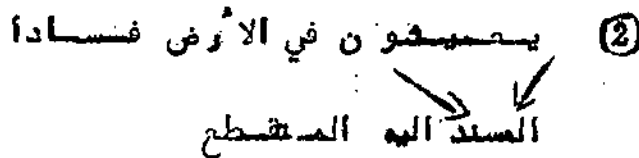
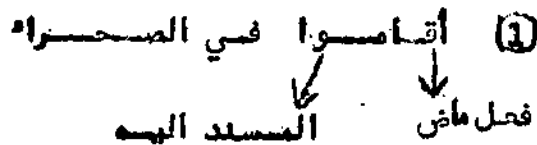
ومن خلال ما سبق ، يمكن أن نستنتج أن وحدة الدليل لا تمثل اللفظ . ولهذا اقترح مارشليه أن نسمي " وحدة معنوية " (monème) أصغر دال له معنى . فكل من " س " و " ب " يعتبر وحدة معنوية مثله كممثل " مطبخ " .

ومن المعلوم أن المتحدث يختار بين الأشكال الجديدة والمتنوعة . فهو يختار بين " ب " و " يد " الخ مثلما يختار بين " هذا " (الولد) و " ه " (ولده) . ويمكن لدلول أن يتوزع على أدلة (signes) منفصلة . ففي " نحن نركض " ، للاخط أن " نحن " و " ب " وحدتان نحويتان تدلان على جماعة المتكلمين في آن واحد . وقد اقترح مارشليه تقسيم الوحدة المعنوية إلى قسمين : وحدة معجمية (lexème) و وحدة نحوية (morphème) . فالوحدة المعجمية وحدة معنوية تنتمي إلى جرد غير محدود ، ومن شأن الوحدات المعجمية أن تزداد عدداً ، والوحدات المعجمية تتناسب جذور الألفاظ في القواميس . وليست " الوحدات النحوية " " س " و " ب " الخ . . . التي هي أكثر استعمالاً من الوحدات المعجمية إلا علامات نحوية . ولهذا ، يرى مارشليه أنه بالإمكان الاستغناء عن استعمال مصطلح " اللفظ " .

ومن الواضح أننا نجد أنفسنا أمام تركيبين رئيسيين في لغتنا العربية : تركيب فعلي ، و تركيب اسمي ، وهذا التركيب الثاني ، لا يعلينا في شيء ، إذ لا ينتمى إلى موضوعنا بأية صلة ، ويتأتى التركيب الفعلي على الوجه التالي :



إن ما استخلصه من المثالين السابقين هو أن المسند إليه الضروري لا المعجمي قد لا يأتي فالسابق قبل مسنده الفعلي إلا في صيغة المضارع . أما إذا كان في الماضي فإنه يأتي بعد المسند . أضف إلى هذا أن المسند إليه قد يجيء على هيئة دال متقطع (*significant discontinu*) ومثال ذلك :



وإذا جاء المسند فعلاً مضارعاً ، فإن المسند إليه يأتي سابقاً له في هيئة ضمير متصل متزوج مع القرينة الفعلية المضارع ونحو :

أدرك ذلك
 فصل مضارع
 الصند إليه / دال ممزوج

ويكون للصند إليه دال منعدم (Signifiant Zéro) مع صيغة الخائب المذكور. وذلك ملحوظ في قولنا "تجول في المدينة"، ومن المعلوم أن الصند الفعلي في لغتنا العربية يلتزم صيغة المفرد الخائب في أغلب الأحيان إذا سبق الصند إليه المعجمي، نحو:

① ذهب الطالب إلى المكتبة
 ↓
 الصند الفعلي
 الصند إليه المعجمي

② ذهب الطالبان إلى المكتبة
 ↓
 الصند الفعلي
 الصند إليه المعجمي

③ ذهب الطلاب إلى المكتبة
 ↓
 الصند الفعلي
 الصند إليه المعجمي

أما إذا جاء الفعل (الصند) بعد الصند إليه المعجمي، فإنه يختلف باختلافه، نحو:

① الطالب ذهب إلى المكتبة
 ↓
 الصند إليه المعجمي
 الصند

② الطالبان ذهبا إلى المكتبة
 ↓
 الصند إليه المعجمي
 الصند

③ الطلبة ذهبوا إلى المكتبة
 ↓ المسند إليه المصممي
 ↓ المسند

وقد يكون الترتيب كالتالي ، أحيانا ، في التظوية العربي :

مسند + فضيلة + مسند إليه مصممي
 نحو : قتلته فأتيتك (بن جهل الأُسدي)
 ↓ مسند
 ↓ مسند إليه مصممي
 ↓ فضيلة

فما نلاحظه ، بادئ ذي بدء ، هو أن الفصل " قتل " في المثال الأُخير ، فقل ما ض جاء في صيغة المفرد الخائب ، وقد أصبح بضمير متصل (ه) . فالمسند إليه المصممي ، في هذه الحال ، يأتي بعد الضمير المتصل بالفعل ، أعني بعد الفضيلة .

وعلى ما بعد كل هذا ، أن نشير إلى أن هناك في اللغة العربية ، روابط (Connecteurs) عديدة ، غايتها ربط أقوال بأخر . ومن تلك الملحقات المستخدمة بكثرة ، نذكر : **بيد أن** ، **أفيمر أن** ، **أذن** ، **بلى** ، **نحو** : **بلى من أوفى بعهدده وأتقى فان الله يحب المتقين** (3) .

التركيب : (le syntagme) أن بين الوحدة المنوية وهي العنصر الأُدسي والجملة توجد وحدات متوسطة هي " التراكيب " (Syntagmes) فالتركيب هو اتحاد وحدات معلوية (مثل " سلفي " و " غسل جميل ") ، علما بأن الملامات الأُدسي للتركيب تنقسم فيما بينها علاقات أكثر وثيقة من تلك التي تربطها بباقي اللفوظ (4) (L' énoncé) .

(3) سورة آل عمران : الآية ، 75 .

(4) A. Martinet, Eléments de linguistique générale, p. 112 .

ففي الجملة : " تلوف صخرة ضخمة على السكة الحديدية " . نلاحظ
بطبيعة الحال وجود تركيبين هما : " تلوف على " و " صخرة ضخمة " .
فالتلفظ المتكون من وحدات معنوية عديدة يمدّ تركيباً (5) ، ونما يلفت
الانتباه أننا لا نزال نتحدث عن الألفاظ لأننا تعودنا على ذلك . ولكن
علينا ألا نخلط بين المناظر المختلفة الوظائف .

الفصل : الفعل هو نواة الجملة إذا كان مسنداً . والجملة هي مجموع
الألفاظ المرتبطة بهذا الفعل نفسه . وليس الفصل سند ودعامة الجملة
فقط بل هو كذلك " يحقق " أمراء أعلي أنه يحدّد زمانه . ومن الناحية
الوظيفية ، فإن الفصل يتخصّص في الاسناد ، وفي هذه الحالة ، فليست له
وظيفة معيَّنة ، فهـ غير تابع لأية نواة . ولكنه يمثل قمة التسلسل
الوظيفي كما يقول اللغويون . فالعناصر الأخرى أو تراكمات الجملة ، تابعة
له . فلا يعقل أن تستغني عنه (أي عن عنصر المسند الذي هو الفعل) ،
فالفعل في اللفوظ العربي يستأثر في أغلب الأحيان بدور المسند ، اللهم
إلا إذا كان هذا الفعل خاضعاً لعنصر من عناصر اللفوظ . مثل : الزمني بأن
أخر الجنبح . ، فالفعل " أخرج " مسند فرعي (أي شبه مسند) . فلا
يمكن بأي حال من الأحوال أن نصنّره " مسنداً أصلياً " ، لأن وجوده موقوف
على وجود " الزمني " .

والفصل يأتي مع جدول القرائن الفعلية . فالفعل وحدة معنوية يكون
في أغلب الأحيان الفرقاً بوحدة من وحدات القرائن الفعلية التي سترأها فيما
يحدث ، ومن الواضح أن تكون هناك علاقات انسجام بين دلالات الفصل ،
ودلالات كل ما يتعلّق به . ففي قولنا " غداً ، ستتمطر السماء " أو " ستتمطر
السماء غداً " ، نلاحظ أن هناك علاقة دلالة بين الوحدة المعنوية
المستقلة (Le monème autonome) " غداً " و " ستتمطر السماء " ،

- A. Martinet, Le mot dans la collection "Diogène", Problèmes du langage par divers linguistes, p.53. (5)

ومسي علاقة كائنية ليتمّ الربط دون سمات ، ودون ترتيب مفروض ، ولكن علاقة الدلالة بين "فداستمطو السطاه" و "هناستمطو السطاه" ، مختلفة . والنحو التقليدي لا يميّز بين العلاقات التحويية والملاقات الدالية . والدراسات الحديثة أثبتت أن الفعل في كثير من اللغات ، ومن بينها اللغة العربية ، يكون "مبهم الفاعل" (avalont) إذا لم يكن الحدث متبظاً بأيّ مشارك ، نحو : "تروقي" . ويكون أحادي الاستخدام (monovalent) ، نحو : "أحدثت" ، وثنائي الاستخدام إذا كان هناك مشاركاً ، مثل : يستتر الحجاب الوجه ، وثنائي الاستخدام ، نحو : يكتب الولد رسالة التي أبىم ، ونادراً ما يكون رباعي الاستخدام ، نحو : "رفعت المحلمة شكواها إلى مالي الوزير عن طريق السلم الإداري" . وكثيراً ما يلجأ المتحدث إلى فعل من الأفعال المحققة (Verbs actualisateurs) مثل : يوجد ، يحدث ، الخ ، أو إلى تغيير من التعابير المسماة بالوحدات الاخبارية (Los présentatifs) مثل : هناك (هناك) (بمعنى يوجد) ، هو (ضمير الشأن) ، نصم ، بثس ، ثم ، ثمة ، الخ ... والاسم الذي يأتي بعدما يكون هو المسند ، نحو : هناك الأذغال ... ومكذا ، يتميّن لنا أن "هناك" ، "يوجد" ، "لا بدّ من" ، الخ ... تعتبر محققات المسند الاسمي . والملاحظ أنها على كل حال أبدية مقولبة جامدة لا تتبدل في اللغة العربية . و "محقق" هنا ، يعني أذن ، بما محدوداً من العناصر الجامدة والضرورية لتركييب صنف من الوحدات المعنوية التي يكون مسندها اسماً . ويقول السامرائي : "الفعل ركن مهمّ في بناء الجملة العربية . والجملة العربية اسمية أو فعلية ذات طرفين هما المسند اليه والمسند ولم يبحث النحويون الأقدمون في الجملة من حيث أنها قضية اسنادية ، وأن الفصل طرف في الاسناد الاقليلا" (6) ويضيف أن "أصحاب النظر اللغوي الصحيح من المحدثين أن الفعل مادة لغوية مهمة في بناء الجملة ، وهو لا يبدو أن يكون حدثاً يجرى

(6) السامرائي ، الفصل زمانه وأبديته ، ص : 15 .

على أزمة مختلفة في الماضي كما تختلف في الحال والاستقبال كما يحرب عن اتفاق وتركيب هذه الأزمات ببعضها " (7).

التمييز بين الفعل والتركيب الفعلي : أننا لو تأملنا في الجملة " يحفظ التلميذ درسه " لاحظنا أن القطع الفعلية " يحفظ درسه " تكون من الفعل " يحفظ " ومن فنضله أي من تركيب اسمي " درسه " ، جاء مفعولاً به .

ولو تأملنا الآن في الجملة التالية : " سيحفظ التلميذ درسه " ، لاحظنا أن التركيب الفعلي " سيحفظ " ، متألف من عنصرين يمكن لكل منهما أن يدخل في تركيبات مختلفة ، فالقطعة " سـ " هي عنصر دال على المستقبل القريب ، أما القطعة " يحفظ " ، ففهي الفعل . وهكذا ، يتضح لنا أنه من الضروري التمييز بين الأفعال والتركيب الفعلية المشافهة من قطع عديدة ، فالتركيب الفعلي المحدد بدوره في الجملة ، يمتاز بكون العناصر التي يتألف منها ، تستطيع أن تتسبب أن أبواب لغوية مختلفة ، فالشرط اللازم والكافي لتحقيقه هو أن تسلطوي على قطعة بسيطة تنتمي إلى باب الأفعال ، ولنحسني بذلك الوحدة الوظيفية .

الحدث والزمن : جاء في المفصل ما يلي : " ان الفصل ما دل على اقتران حدث بزمان " (8) . ويؤكد تمام حسان أن " النحاة يعرفون الفعل بأنه ما دل على حدث وزمن ، ودلالته على الحدث تصدر عن اشتراكه مع مصدره في مادة واحدة . والمصدر كما هو معلوم اسم الحدث " (9) .

(7) السامرائي ، الفعل زمانه وأهليته ، ص : 15 .

(8) الزمخشوري ، المفصل ، ص : 243 .

(9) تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص : 104 .

فالحديث (10) يصحّر عن الزاوية التي من خلا لما يروى المتحدث مختلف لحظات سير الوقائع . وللتصوير عن الحدث يقدّم النظام الفعلي للمتحدث :

① أشكالاً لغوية : أعني أشكالاً فعلية بسيطة وأشكالاً فعلية مركبة ، نحو : خرجت - كنت خرجت - كنت قد خرجت . . .

② أشكالاً تركيبية : أعني أشكال فعل مركبة تتكوّن من شبه فاعل مساعد واسم فاعل أو مضارع نحو : كان قائماً ، أخذ يقضم الجبنة ، ومهما يكن من أمر ، فإن لكل حدث مدة تقع بين لحظتين (أ) و (ب) ، ويمكن للمرء أن يتطّلع إلى انجاز الحدث في مجراه من (أ) إلى (ب) ، نحو : خرج الولد - يخرج الولد .

ومكذا ، يتبين لنا أن الفاعل الماضي يقدّم في أغلب الأحيان الحدث كعجز في حين أن المضارع يقدّمه على أساس أنه غير منجز أو في طريق الانجاز : فمذه هي الميزة الجوهرية التي يمتاز بها تقابلهما ، وليست القريبة هي وحدها التي تميز من الناحية الزمنية الحدث أو الحال التي يعصفها الفاعل . فقد تتدخل بعض العناصر كالظروف أو ما يعرف في علم اللغسة ، بالوحدات المعنوية المستقلة (monèmes autonomes) ، مثل : أمس ، اليوم ، غدا ، الخ . . . والتراكيب المستقلة (Syntagmes autonomes) مثل : في المساء ، في الصباح ، عند الظهر ، الخ . . . وموشرات الألفاظ ، مثل : " بعد أن " ، والوحدة المعجمية الفعلية ذاتها . وأنه بإمكان المقام أن يتدخل بدوره ، ففي قولك : " جاء الأب " ، يعلم المتحدث أن الأمر متعلق بال حاضر (لا بالماضي) . فباب الحدث لا يحتوي إلا على وحدة واحدة هي " المنجز " أو ما يسميه البعض بـ " التمام " . والمنجز يكون في تقابل مع " غير المنجز " أو ما يسميه البعض بـ " غير التمام " ، وقيمة " المنجز " الأصلية التي يمنحه له اسمه هي قيمة الفاعل المنجز ، وهذا

(10) هناك من يفضل استخدام " الجهة " أو " الهيئة " بدلا من الحدث (Aspect)

فهنسي الوقت الذي نتحدث فيه ، وهذه هي القيمة التي تتجلى في
الملفوظات من مثل : " مات " " أنهيت " حيث لا يكون " المعجز "
مرفوقاً بأي تحديد زمني . ولا نجد في هذا النوع من الملفوظات إلا التأكيد من
وجود أمر واقع عند وقت التكلم ، فلو أضفنا إلى " أنهيت " توضيحاً زمنياً ،
مثل : على الخامسة ، لكان لدينا كذلك " معجز " ، ولكنه من المحتمل أن
يكون متواتراً . وإذا كان هناك ما يدل على حقبة زمنية ماضية ، نحو : أنهيت
عملي البارحة على الخامسة صباحاً ، فإن " المعجز " يتأخذ قيمة الماضي أي
قيمة عمل محدد في زمن ماضٍ . فلو أضيفت إلى " ولد " أو إلى " مات " ،
الفضلة " على الخامسة " ، لكان " المعجز " تحبيراً عن الوقت المتصرم لأن
حالة التواتر غير واردة في كل من " ولد " و " مات " .

وما تجدر الإشارة إليه أن المعجز الذي لا يورد فيه تحديد زمني يكون
بمعنى الماضي . وتوجد في اللغة العربية وسائل كثيرة للدلالة على " المعجز "
بوضوح تام نحو : " البناء قائم " ، ولكن موضوعنا يحتم علينا أن
نقتصر على الصيغ الفعلية الثلاثة (فعل - يفعل - أفعل) فقط .

وقد أشرنا من قبل ، إلى أن النظام الفعلي العربي ، يتقدم للمتحدث
أفعالاً متساعدة ، ونقصد بالأفعال المساعدة ما اصطلح عليه في النحو
التقليدي بالأفعال الناقصة وأفعال المقاربة والأحرف المشبهة
بالفعل ، نحو : كان يحمل - أخذ يقضم الجبنة بأسنانه - شرع الأستاذ
يشروح الدرس لكاد الصبي يسفح على الأرض .

وإن ما يمكن استنتاجه من كل ما تقدم أن الحدث هو غير الزمين ،
وأنه قد يتحقق بزيادات معروفة . ومن محاسن هذه الزيادة :

① العطاوعة كما في وزن فعل : وأفعل : وأفتعل . وتفعلل .

② الهالفة كما في وزن فعل : وأفعل : وأفعلول : وأفعلل .

وأفعلل .

- ③ الطلب كما في وزن استفضل
- ④ التصديفة كما في وزن تفعل وأفعل وفعل .
- ⑤ الدخول في الصفة أو في العيب والحيلة واللون والتعبير عن التحويل والتظاهر كما في وزن افعل وأفعل وتفاعل .
- ⑥ المشاركة كما في وزن فاعل وتفاعل .

فإضافة قرائن الزمن والحدث والصيغة، تشكل الوحدة المنطوية الفعلية
سواء التركيب الفعلي، متضمنًا قيم هذه القرائن . وبدون إضافة القرائن،
فالوحدة المنطوية المجردة، تستعمل الإشارة عن الحدث، ونصفي بذلك :

- ① حين يقع الحدث في وقت الكلام، نحو : أكتب بقلم الرصاص .
- ② في التأكيدات ذات الطابع العام مثل الأقوال المأثورة، نحو :
" يفعل الجاهل بنفسه، فلا يفصل العدو بحدوه . "
- ③ في وصف الذواهر الطبيعية، نحو : يجمد الماء عندما تبلغ درجته الصفر .
- ④ في وصف الصادات البشرية والحيوانية : اجتر البصر .
- ⑤ في العروض الخلية والتقنية، وفي القصص والتحقيقات الصحفية
حيث يكون تحديد الزمن قد تم في البداية بصفة نهائية فليس هناك، إذن،
داع للرجوع إلى ذلك .
- ⑥ حين يملأ السياق معلومات عن نوع الزمن والحدث والمصفا فيصير
مثلاً عن :

- أ - طاعة، نحو : يقرأ جريدته عند الفطور .
- ب - تسكوار، نحو : يستمع إلى نشرة الأحوال الجوية كل صباح .
- ج - قيم زمنية، نحو : ① يعود أبي غداً على الماشرة صباحاً .
② سأذهب معك، لو سأفرت غداً .

ونلاحظ من خلال كل الأمثلة السابقة، أنه يمكن للوحدة المنطوية
الفعلية المجردة أن تنطق من النص الواردة فيه، وجدولاً من القيم التي تتكون
بمعي قرائن الزمن والمصفا والحدث قد عبرت عنها، ومهما يكن من أمر، فبيان

الأشكال النحوية لا تسمح إلا بالتقابل القائم بين " المنجز " (أي العمل التام) و " غير المنجز " (أي العمل غير التام) وستخلص من ذلك أن الزمن الصرفي ثلاثي الحدود إذ يصبر عن ماض وحاضر ومستقبل . أما الحدث (أي مضي الفعل أو الجهة أو الهيئة) فثنائي الحد ، وشروطه أن يتحقق أو أن لا يتحقق . ومن المعلوم أن معنى الفصل (أي هيئة) يتغير بتغير وزنه . وقد يختلف فيه الوزن أحيانا دون أن يختلف المعنى كما لاحظنا ذلك من قبل ، حين أشرونا الس وجود أفعال مساعدة . فالزمن يدل على الوقت الذي يقع فيه العمل أو تحدث فتيه الحالة التي يصبر عنها الفعل . وهناك ثلاثة أزمنة طبيعية : حاضر وماض ومستقبل . فالحاضر ضمير عن حصول عمل في زمن التكلم . أما الماضي والمستقبل ، فبماكانها أن ينقسم كما سترى ذلك بالتفصيل ، إلى فئات مختلفة ، بحسب الفترة الزمنية المختلفة التي يصبران عنها ، وهذا ما دفع هانز ميرهوف إلى أن يقول :

" ونحن نعني بالوقت نفسه أن هذه الحوادث لما صفة مفيدة تماما ، إذ هي تشكل قسا من ترتيب الزمن الذاتي في الخبرة الشخصية " (11) .

فالزمن " يتأثر بانفعالاتها التي قد تسدده أو تقلصه " (12) .

فالزمن مطاظ كما يقول بعض علماء اللغة ، والحاضر كما أشار إلى ذلك ولين جيمس ، متأكرا بمرجسون له " شرفسة خاصة به نجتم عليها ، ونستطلع منها إلى الزمن في النجاسين اثمين " (13) . وللزمن قيمة لا يتكرها أحد . ولذا اعنى العلماء كثيرا بقضية الزمن في اللغة . ويحتقد فندريين الألمان أن الزمن بمعناه الحقيقي لا وجود له في اللغات السامية (ومن بينها اللغة العربية) ، إذ يؤكد أن " السامية يسيطر فيها التعبير عن الاستفراق ، لاعن الزمن " (14) . فاللغة العربية ، وهي واحدة من اللغات

(11) هانز ميرهوف ، الزمن في الأدب ، ترجمة أسعد زروق ، مراجعة للموضي الوكيل من 19 .

(12) نفس المصدر ، ص : 20 .

(13) نفس المصدر ، ص : 23 .

(14) فندريين ، اللغة ، ص : 15 .

السامية ، لا تصحح حسب كثير من الأبحاث عن الفروق النسبية للزمن ،
ناسين أو متناسين أن اللغات تختلف في الوسائل المستخدمة ، تحويراً
عن الزمن ، وحسب السامرائي ، فقد دل "الاستقراء على تضييق الفعل العربي
وقدرته على الاعراب عن دقائق الزمن" (15) ، فالفئة العربية طرائق مختلفة
للتعبير عن دقائق الزمن كما سئلت ذلك بالأدلة القاطعة المقنعة والحجج
الدامغة . ويكفي الآن أن نذكر إلى ما قاله فليش : " لا يجهل استخدام
اللغة العربية مفهوم الزمن . فممن يعرفون حق المعرفة كديفان يصفون
أخاديدهم بالنسبة للزمن " (16) . وهذا دام الزمن الصرفي وظلاله
الصيغة الفعلية المنزلة (فصل - يفصل) . والزمن النحوي وظلاله
السياق ، فإنه لا مناص من أن تقوم القرائن الزمنية بدور كبير في تحديد
هذا الزمن بدقة كما سنبينه في تصديلاً لدراسة الصيغ الفعلية لفوقية
بشئ القرائن . وقد قال السامرائي في هذا الباب ما يلي : " فبناء
(فصل) وبناء (يفصل) لا يمكن إلا يدل على الزمن بأقسامه وحدوده
ودقائقه . ومن هنا ، فإن الفعل العربي لا يفصح عن الزمان بمهنته .
وأما يتحصل الزمان من بناء الجملة . فقد تشتمل على زيادات تصنيف الفصل
على تقرير الزمان في حدود واضحة " (17) .

ومهما يكن من أمر ، فإن النحويين الأقدمين لم يكتفوا بالوظيفة الفعل
اللغوية الصحيحة في تركيب الجملة . ولفي بذلك الخصوصية الزمانية .
وللتأمل الجملتين التاليتين :

① سافر الوالد إلى البقاع المقدسة .

② يسافر الوالد إلى البقاع المقدسة .

فلا حظ أن عمل الفصل في الجملة الأولى قد أجز في حين أن عمل الفصل في
الجملة الثانية لم يجر بعد . ويشير علماء اللغة إلى هذا الأمر فيقولون إن الفعل
يظهر في اللغة التفاضل أو التخالف التالي :

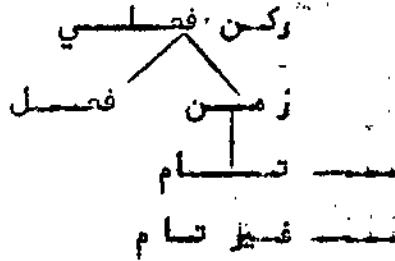
(15) السامرائي ، الفعل زمانه وأهنته ، ص : 15 .

(16) - Flesch (Henri.S.J.), L'Arabe Classique, p. 113 .

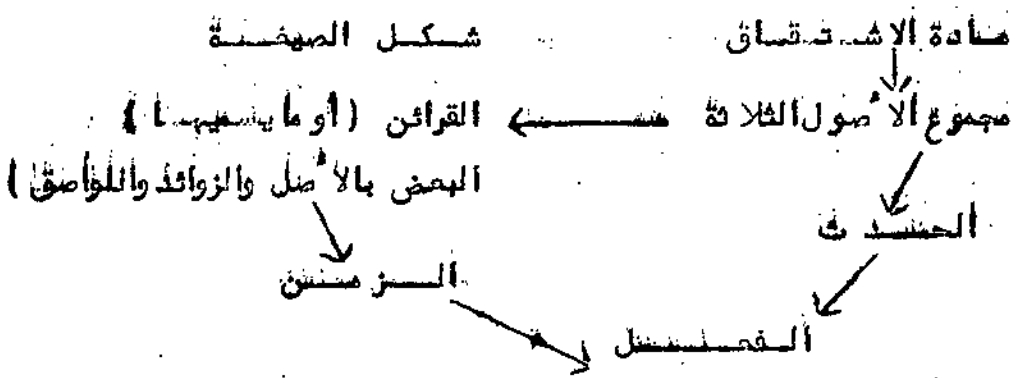
(17) السامرائي ، الفعل زمانه وأهنته ، ص : 24 .

تمام / غير تمام
أو مجزئ / غير مجزئ

ويشار إلى هذا التقابل بواسطة المشجر التالي: (18)

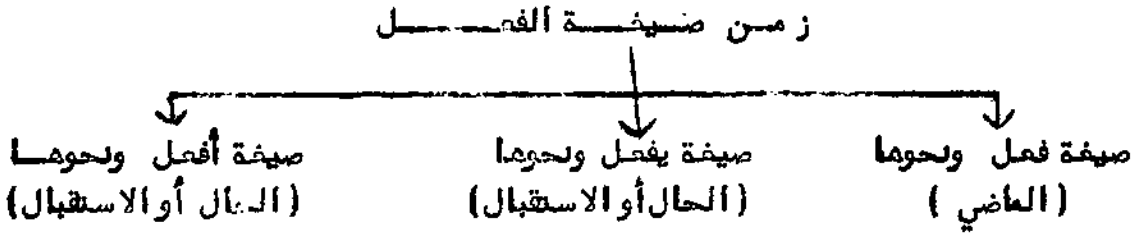


فلا يندرج مفهوم الزمن ضمن الفعل أو ضمن الـ وكن الفعلي ، إنما يجرز مستن خلال الجملة ككل ، ولعل هذا ما جعل هذا الواحد وأفي يقول : " ليس للفعل في معظم اللغات السامية إلا زمان : فعل انتهى زمنه (ماض) ، وفعل لم ينته زمنه (أمر ومضارع للحال أو للاستقبال) على حين أن له في اللغات الهندية الأروبية أزمنة كثيرة لكل منها صيغة خاصة " (19) . ويأتي مصطلح الزمن على المستوى الصرفي من شكل الصيغة ، في حين أنه يأتي على المستوى النحوي من مجزئ السياق ، فالزمن في النحو وظيفة السياق ، وليس وظيفة صيغة الفعل الصرفي ، ويتسلسل لنا من الناحية الصرفية أن بمقتضى العلاقة القائمة بين الحدث والزمن على النحو التالي: (20)



(18) ميشال زكرياء الألسية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية ، ص 65-66 .
 (19) علي هذا الواحي وأفي ، اللغة والمجتمع ، ص : 19 .
 (20) نفس المصدر ، ص : 104 .

فدلالة الفعل على زمن ما يتوقف على موقعه وعلى ترتيبه في السياق ،
أما صيغة الفعل ، فيمكن أن تمثل دلالتها على الزمن على النحو التالي :



وقد أشار السامرائي⁽¹⁾ إلى عدم اكتمال الدارسين قديماً أو حديثاً إلى المركبات الواردة في "البخلاء" مثل قول الجاحظ : " وقد كان هذا المذهب صار عندهم كالسب " (22) ، " وأسه كان إذا صار في يده " (أي الدرهم) (23) ، " وكان ذلك لا يكون منه إلا في آخر لقمه " (24) ، و " فقد يكون أن يكون الرجل سليم الصدر " (25) . ومثل هذه الاستعمالات - بطبيعة الحال - تقوي الذهاب عندنا في الكلام على الأزمنة المركبة .

فالفعل كما تقدم ، يدل على أمرين : معنى (أي حدث) وزمن . فلنستو قلنا مثلاً :

" رجع الحاج " ، لوجدنا أن " رجع " كلمة تدل بنفسها على أمرين وذلك من غير أن تكون في حاجة إلى غيرها من الكلمات ؛

أولهما : معنى تدركه بالعقل وهو الرجوع ، ويسمى " الحدث " .
وثانيهما : زمن حصل فيه ذلك المعنى ، أي ذلك " الحدث " ، وانتهى قبل النطق بتلك الكلمة ، فهو زمن مضى وانقضى قبل الكلام .

- (21) السامرائي : الفعل زمان وأبديته ، ص : 49 .
(22) الجاحظ : البخلاء ، ص : 51 .
(23) نفس المصدر ، ص : 207 .
(24) نفس المصدر ، ص : 191 .
(25) نفس المصدر ، ص : 305 .

وإذا غيّرنا صيغة الفمّل ، وقلنا " يوجع الحاج " ، دلّ الفمّل في صيغتها الجديدة على الأمرين نفسيهما أي المصلى (الحدث) (والزمن) . ولكن الملاحظ هنا ، هو أن الزمن لم ينقض ، وإنما هو زمن صالح للحال ، والاستقبال . فالفمّل - إذن - بصيغته يدل على الماضي أو الحال أو الاستقبال . ويكون الحال : الزمن الذي يحصل فيه الكلام ، والماضي : الزمن قبل الكلام ، والاستقبال : الزمن الذي يبدأ بعد انتهاء الكلام مباشرة .

وما تجدر الإشارة إليه هو أن العرب اهتموا كثيرا بالفمّل ، وما ذلك إلا بسبب غلبة الجملة الفعلية على كلامهم ، ويسمّون السامرائي : " فحين أنشئ على الجملة الفعلية في هذه المقالة ، أريد منها ما كان فيها الفمّل طرفا في الاسناد ، فهو مسند أبدا . وعلى هذا ، فقلنا : " جاء محمد " جملة فعلية مؤلفة من مسند ومسند إليه . ثم إذا قلنا " محمد جاء " ، لم يتبدل شيء في حقيقة الاسناد فطرفا الاسناد هما كما كانا في الجملة الأولى ، وهنئذ بهذا جملة فعلية أيضا مؤلفة من مسند ومسند إليه ، والمسند إليه هو الفاعل في كلتا الجملتين . وإلى هذا ذهب نحاة الكوفة⁽²⁶⁾ . والسلف في هذه البقطة بالذات ، تدعى ما يراه السامرائي لأن طرفي الاسناد لم يتبدلا في كلتا الجملتين .

وعلى ما بعد كل هذه التوضيحات الهامة والضرورية حول كل من الحدث والزمن ، أن نتصدى لدراسة الصيغ الفعلية الثلاثة (فعل ، يفعل ، أفعل) مرفوعة بالقرائن الزمنية ، ولتثبت بالدليل القاطع ، أن اللغة العربية تعبر بدقة عن الزمن ، منذ القديم ، غير أن طرائقها في ذلك تختلف من طرائق اللغات الأجنبية الحديثة الأروبية ، كما سنبينه من خلال الدراسة المستفيضة التالية :

أ- الفمّل الماضي : فالماضي يدل على حدوث عمل وقع قبل زمن التكلم . وعلامة هذا الفمّل الماضي أن يتقبل في آخره تاء التأنيث الساكنة الدالة

(26) السامرائي : فقه اللغة الحقارن ، ص : 54 .

على الفاعل ، أو التاء المتحركة التي تكون فاعلا ، نحو : قبّلت أمّها ثم انصرفتم
حدّثتك حديثا بقلته الى صديقك . وليس شرطاً أن تكون التاء ظاهرة
في آخر الفعل الماضي ، بل يكفي أن يكون صالحاً لقبولها ، نحو : ذهب السـ
السفارة العربية . فاستطاعتنا أن نسقول : " ذهبت الى السفارة ، وهذا
ما جعل ابن مالك يقول :

" وماضي الأفعال بالتّام وسم بالنون فصل الأمر ، إن أمر فمّم " (27)

والماضي هو الحدث الذي فات وانقضى ، غير أننا لانعلم في أي زمان
من الماضي ، فيمكن أن يدل على حدث انقضى منذ لحظات ، كما يمكن أن يدل
على حدث مضى عليه زمن طويل . فلا يستطيع المستمعون ، الكلام الصّرب أن
يحدّد الزمن تحديداً دقيقاً كالذي يحرفه في اللغة الفرنسية أو غيرها مسن
اللغات المدينة الأوروبية إلا بفضل القرائن الزمنية (modalités temporelles)
التي ستعرض لها بالدراسة فيما بعد ، أو بفضل السياق . والزمن الماضي
يمرّ عنه أحيانا بذاكرة الشعوب ، فهو مستودع التأثير والفاخر والذكريات .
لذا ، أتمّ أبناء البادية العربية بهذا الزمن بصفة خاصة . وقد اختلف
الحويون واللغويون في موضوع أي الأفعال أقدم من غيرها في اللغة العربية .
فقال البعض بتقديم فعل الحال (أي الحاضر) ثم المستقبل ثم الماضي . ويرى
الزجاجي من جمته أن أسبق الأفعال هو المستقبل إذ يقول : " اعلم
أن أسبق الأفعال في التقدّم الفعل المستقبل لأن الشيء لم يكن ثم كان . . .
ثم الحاضر ، ثم الماضي " (28) . وجاء في الأشباه والنظائر أن قوما كانوا يخزون
أن الأصل هو المستقبل لأنه يخبر عن المصدوم ثم يخرج الفعل الى
الوجوه فيخبر عنه بخدم وجوده " (29) ويرى المطايع أن " الفمّصل

(27) ابن عقيل ، شوح ابن مالك ، ص : 23 .

(28) الزجاجي ، الأيضاح في عمل النحو ، ص : 58 .

(29) السيوطي ، الأشباه والنظائر ، ج 2 ، ص : 9 .

الماضي فهنا (يقصد اللغة العربية) هو الأصل . ويأتي الفعل المضارع بالتصريف " (30) ومهما يكن من أمره فإن هذه المسألة لا تعدو أن تكون كما يقول السامرائي : " مجرد افتراضات يلقصها الدليل الحقيقي " (31) .

① دلالة الفعل الماضي على الزمن الماضي :

ان الأصل الغالب في الماضي أن يتعين معناه في زمن فات وانقضى ، أي قبل الكلام ، سواء أكان انقضاؤه قريبا من وقت الكلام أم بعيدا . وهذا ما يسميه البعض بالماضي لفظا ومعنى ، وما يسميه البعض الآخر بالماضي المطلق لأن صيغة الفعل الماضي مجردة ، نحو : كتب ، سافر . فالقارئ من السياقية أو الزمنية هي التي تحدد الفروق النسبية الزمنية . وهذا ما دفع الدكتور حسن ظاظا إلى التأكيد بأن " التعبير عن الزمن في الفعل أمر يحدده الأسلوب والسياق والملازمات وبعض الأدوات الإضافية مثل السين وسوف والأفعال الناقصة ، ولن ولم وقد ونحوها ، ومثل ذلك منطرد بشكل يشهد في سائر اللغات السامية ما عدا البابلية الآشورية التي أخذ تصريف الفعل فيها بتأثير الشومريين شكلا أقرب للمعروف في اللغات الأروبية من الدلالة على الزمن بالصيغة التي ينصرف فيها الفعل " (32) . وهذا في نظرنا دليل آخر على أن وسائل التحديد الزمني في اللغة العربية وغيرها من اللغات السامية وغيرها في اللغات المدينة الأروبية .

وما يذهب إليه بعض النحاة (33) أن " كان " النسخة سلبت الدلالة على الحدث واقتضرت دلالتها على افادة الماضي وحده ، نحو : كان المنظر جميلا . ثم إن " كان " وأحوالها قد تستخدم في صيغة الماضي متلوثة .

(30) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ج 14 ، سنة 1962 ، ص : 42 .

(31) السامرائي ، الفعل زمانه وأبنيته ، ص : 49 .

(32) حسن ظاظا ، السامريين ولغاتهم ، ص : 22 - 23 .

(33) ابن جيمش ، شرح الفصح ، ج 7 ، ص : 97 ، الأزهري ، التصريح على التوضيح ، ج 1 ، ص : 190 .

بأفصال أخرى في صيغة المنصارع ، ويكون ذلك عادة في سرد أحداث ماضية ، كما يقع في القصص والحكايات نحو : كان يتصدق على الفقراء ويقري الضيف ويخيث المصوف .

أضف الى هذا أن الفعل الماضي اذا سبق به (كان) ، دل على حدوث فعل في الماضي وتقع قبل حدوث فعل آخر ماضٍ أيضاً ، نحو : كنت أنهيت عملي عندما حضر الزائر .

والملاحظة الأولى هي أن كثيراً ما يقترن الفعل الماضي به (قد) إذا دخلت عليه "كان" ، نحو : كنت قد أنهيت عملي . . . ، وتكمن الملاحظة الثانية في أنه يجوز حذف "كان" اذا دلّ على معناها سياق الكلام . ويكون هذا الحذف عادة في الجملة الواقعة حالا ، نحو : حضر الضيف وقد أعددت له الطعام (فيكون المعنى : حضر الضيف وكنت قد أعددت له الطعام) .

ويأتي الفعل الماضي دالاً على الزمن الماضي اذا سبق به (اذا) التي تعتبر ظرفاً للزمن الماضي في هذه الحال ، نحو قوله تعالى : واذا رأوا تجارة أولموا انفضوا اليها (34) . أما "اذ" فتعدّ ظرفاً للزمن الماضي المصم (أي غير المحدد) ، وقد تضاف الى الجمل الفعلية والاسمية نحو قول الشاعر :

" فرحنا اذ قدمت قدوم سعد وأذ رؤيتك في الأيام عيسد "

واذا سبق الفعل الماضي به (لما) الظرفية المستعملة في جملة ، فانها نجد أنفسنا أمام حدثين يتم أولهما في اللحظة التي بدأ فيها الثاني ، نحو قولك : لما وصل حدثته عن كذا ما حدث .

(34) سورة الجمعة ، الآية 11 .

② دلالة الفعل الماضي على الزمن الحالي :

يتضمن معنى الماضي في زمن الحال في الحالات التالية :

أ - إذا وجدت " ما " النافية قبل الماضي ، كان زمن الفعل قريباً من الحال كقول القائل : قد مر القطار ، فتجيب : ما مر القطار ، فإن " ما " نفت المعنى وأفادت به القرب من الزمن الحالي .

ب - إذا كان الفعل الماضي مسبوقاً بالقرينة " قد " ، ومتبوعاً بوحدة معلوية مستقلة (الآن ، الساعة ...) وهذا باتساق البصر بين والكوفيين . ويمكن أن تمثل لمذاكله بالمعادلة التالية :

قد + الماضي ← الآن ← الحال ، نحو : قد خرج الآن .

ج - إذا كان ماضي اللفظ دون المعنى ، أعني إذا قصد بالفعل الماضي شيئاً بالإنشاء ، مثل : وصبت واشتريت وبصت ، وفيهما من ألفاظ المقينود التي يراد بكل لفظ منها أحداث ماضية في الحال ، يتقاربه في الوجود الزمني ويحصل معه في وقت واحد ،

د - إذا وجدت وحدة معلوية مستقلة دالة على الوقت الذي أنت فيه ، مثل : الآن ، الساعة ، نحو : الآن فهم الدرس . وهذا يعني العبارات الجامدة وذلك :

إذا سبق الفعل الماضي بـ (لا) النافية . ويرى الحجازيون أنها تعمل فعل " ليس " مع وعلى كل حال - فإنها تفيد النفي في الزمن الحالي إلا إذا وجدت قرينة تدل على النفي لزمن آخر . ويفيد الماضي منها الدعاء في أغلب الأحيان ، نحو : لا سمح الله .

③ دلالة الماضي على الاستقبال :

يتضمن مدناه في زمن المستقبل :

أ - في العبارات الجامدة :

1 - في عبارات الدعاء ، نحو : رزقك الله . والدعاء غالباً ما يكون بصيغة الماضي في اللغة العربية .

2 - إذا تضمن الفعل وعدا نحو : " انا أعطيتك الكوثر " (35) .

3 - إذا تضمن رجاء . والرجاء قسم من أقسام الانشاء . وأفعال الرجاء كلها جامدة بلفظ الماضي (وان حكى عبدالقاهر الجرجاني المضارع واسم الفاعل من عسى) ، نحو : " لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم " (36) .

ب - إذا أفاد السياق اللغوي ذلك ، نحو : أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه " (37) . (فسقناه مجاز أي فسوقه) .

ج - عند انزال حوادث المستقبل منزلة الماضي لتأكيد وقوعها الذي لا ريب فيه في المستقبل ، نحو : " أتى أمر الله ، فلا تستعجلوه " (38) (أتى بمعنى يأتي) .

د - مع أدوات الشرط الجازمة ، نحو : " ان زرني أكرمك " .

هـ - إذا عطف الماضي على ما علم استقباله ، نحو قوله تعالى : " يوم يفتخ في الصور ففزع من في السموات " (39) . (أي يفتزع)

(35) سورة الكوثر ، الآية 1 .

(36) سورة الحجرات ، الآية 11 .

(37) سورة فاطر ، الآية 9 .

(38) سورة النحل ، الآية 1 .

(39) سورة النمل ، الآية 37 .

و- إذا سبق به (إن) النافية المسبوقة بقسم ، نحو : " وليكن
زالتا أن امسكهما من أحد من بعده " (أي ما يمكهما) .

ز- بعد " إذا " الظرفية الشرطية ، نحو : إذا جئني ، لقيت مني
الأكرام والرعاية .

من- إذا اقترن به (يكون) . وفي هذه الحالة ، يصير الفاعل الماضي دالا
على حدوث الفعل في المستقبل ، قبل حدوث فعل آخر يقع في المستقبل
أيضا ، نحو : أكون ذهبت إلى العمل عندما يصل جدي إلى المطار .

④ احتمال دلالة الماضي على الزميين : العاضى والاستقبال :

يحتمل الفصل الماضي الدلالة على الماضي والاستقبال ، شريطة
أن لا توجد قرينة تخصّصه بأحدهما وتعيّنه له ، وذلك في سبعة مواضع :

① بعد هجرة التسوية ، نحو : " سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم

تستغفر لهم " (40) ، ومثل قولك : " سواء عسدي حضرت أم غبت " . ولا

فرق في التسوية بين أن توجد معها " أم " أو لا توجد ، ولكن الذي لا بد

من لفت النظر إليه هو أن الزمن يتضمّن للماضي إذا ورد الفعل بعد " أم " ،

مرفوقا به (لم) ، نحو قوله تعالى : " سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم " (41)

② إذا وقع بعد " حيث " ، نحو : أسكن حيث سكن أجدادك " .

فالفاعل للماضي لأن الاستقبال يناقض صحّة المعنى . فلا يصلح أن يسكن

أجدادك في المستقبل ، وقد أدركتهم المنية .

(40) سورة المنافقون ، الآية 6 .

(41) سورة البقرة ، الآية 6 .

(فحيث : ظرف مكان مبني على الضم في محل نصب ، مفعول فيه متعلق بالفعل سكن ، ويضاف الى الجملة الفعلية "سكن ... " "وسكن أجدادك " : جملة فعلية في محل جر بالاضافة الى حيث) .

أما عندما نستوقوليه تعالى : " فكلوا منها حيث شئتم رغدا " . فإنا نلاحظ أن الفعل الماضي " شئتم " الوارد بعد " حيث " لم يحد مصرا عن الزمن الماضي لأن " كلوا " يقتضي أمرا ، وازمن الأمر " فكلوا " للمستقبل لأن المطلوب به ، وقوعه يتم في المستقبل . فالأكل مستمر ومتكرر حيث شئتم " . وقد تلحق حيث (ما) الزائدة . فتصبحان كلمة واحدة تسميها في علم اللغة الحديث صيغة اتحادية (حيثما) . وتدل هذه الصيغة الاتحادية على الاستقبال ، نحو قوله تعالى : " وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره " . (43)

③ إذا وقع صيغة نحو : الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام هو الله . فمذا للمضي بدلالة أن ذلك جرى في وقت ماضي .

④ إذا وقع صيغة للكسرة عامة ، نحو : رب فقير صادفته فأصدق عليه ، فمذا للمضي لوجود " رب " التي يفتلج دخولها كما يؤكده النحاة عن الماضي . أما إذا تمينا في قوله صلى الله عليه وسلم : " نصر الله أمرا سمع مقاتلي فوجها ، فأداهما ، كما سمعها " ، فنسدرك أن هذا الاستقبال لأن في هذا القول تنوع غيب لكل من أدرك الرسول في أن يحفظ ما يسمعه منه ويؤديه .

⑤ إذا كان الفصل الماضي هو " كان " الذي يحتوي على الأزمنة الطبيعية الثلاثة (الماضي والحاضر والمستقبل) بشرط وجود ما يتبدل على ذلك مثل قوله تعالى : " وكان الله غفورا رحيما " أي كان ولا زال رحيما . ولا يتضمن " كان " هذا المعنى الا في القرآن الكريم .

⑥ بعد حرف من حروف التحضيض : والتحضيض هو الأسلوب الذي يكون فيه الحث على فعل أمر معين بشدة وعنف ، نحو قوله عز وجل : " ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم " . وأدوات التحضيض خمسة : ألا ، إلا ، لولا ، لو ما ، هنأ .

أ - ألا ، إلا : يبخي أن لشرفي هذا الصندد إلى أن " ألا " و " ألا " ، يحتهران حرفا تحضيض وعرض فسي نفس الوقت . والعرض ، مثل التحضيض ، من معاني الاستفهام ، وهو طلب الشيء برفق ولين ، نحو : ألا ترافقني ؟ فالمتحدث يعرض على المخاطب برفقته ، فقد خاطبه بأسلوب لين وصوت هادي ، والله يور فيه فيجمله برفقه .

وحيث أعربت " ألا " أو " إلا " حرف تحضيض أعربت عرض تبعاً لما يلي :

- يأتي بعدها مضارع ظاهر ، نحو : " ألا تقدم واجبك أو ألا تقدم واجبك " ، أو مضارع مفعول بينهما بمفعول للمضارع ، نحو : ألا واجبك تقدم أو ألا واجبك تقدم (واجب : مفعول به مقدم في كلا المثالين) أو مضارع محذوف دل عليه ما قبله ، نحو : ألا واجبك تقدمه أو ألا واجبك تقدمه (واجب : مفعول به لفعل محذوف ، والتقدير : ألا أو ألا تقدم واجبك تقدمه) .

- يصبح المضارع مع (ألا) أو (إلا) دالاً على المستقبل .

- قد يأتي بعد (ألا) أو (إلا) جواب ، نحو : ألا (أو : ألا) تجتهد

فتفوز . وقد لا يأتي ، نحو : ألا (أو : ألا) تجتهد ، وقد يكون الجواب مقترناً بفناء السببية ، نحو : ألا (أو : ألا) تدرس فتتجح ، وقد لا يقترن ، نحو : ألا (أو : ألا) تدرس تتجح .

ب - لولا ، لو ما : كل منهما حرف تحضيض ، ولهما الأحكام

التالية :

- يجب أن يأتي بعدها مضارع ، نحو :
 - لولا عديت بأمرورك .
 - لولا نقاتل المشتركين .
- يصبح المضارع بعد " لولا " أو " لوما " ، دالاً على المستقبل .

(4) قد يأتي بعد لولا (أو: لوما) جواب ، نحو : لولا (أو : لوما) تجتهد فتفوز ، وقد لا يأتي بعدها ، جواب ، نحو : لولا (أو : لوما) تكساح ، فإذا جاء بعدها جواب ، جاز اقترانه بفاء السببية وجاز عدم اقترانه ، نحو : لولا (أو : لوما) تجتهد فتتجح ، أو لولا (أو : لوما) تجتهد تتجح (حذفت الفاء فجزم المضارع جواباً للطلب) .

ومن المفيد في هذا المجال أن نورد الملاحظة التالية الخاصة بجواب الطلب : يجزم الفعل المضارع اذا وقع جواباً عن طلب (اجتهد تتجح ، والأصل : اجتهد فتتجح) لأن جواب الطلب في أساسه حذف فاء السببية التي ينصب المضارع بعدها (أن) مضمرة . ولا بد ليصحح الجزم بالطلب من اجتماع ثلاثة شروط :

- (1) أن يكون المضارع سبقاً بأحد أنواع الطلب الثمانية (الأمر، النهي، الدعاء، التمني، الترجي، العوض، التحضيض، الاستفهام) .
- (2) أن يكون المضارع جواباً للطلب الواقع قبله (لا تامل واجبك تقدم، ان التدم جواب وجزء للاممال .
- (3) أن يصح وضع جملة شرطية مكان جملة الطلب وجوابه . ولا يفسد المعنى : لا تكن عبداً شمواتك تقدم = ان تكن عبداً شمواتك تقدم .

ج - هـ : حرف تحضيض ، ولما الأحكام الظالمة :

- أن يأتي بعدها مضارع ، نحو :

هـلاً ترتدع من غيبك .

- يصبح المضارع بعد "هَلَّا" دالاً على الاستقبال نحو :

هَلَّا تجتهد ، تنبل خيراً

(فإنك تنال خيراً ، إذا اجتمدت من الآن فصاعداً ، أي في

المستقبل) .

- قد يأتي بعدما جواباً نحو : هَلَّا تجتهد فتفوز ؟ وقد لا يأتي

نحو : هَلَّا تجتهد . وقد يكون الجواب مقترناً بفاء السببية : هَلَّا تدرس
نتفجح وقد لا يكون مقترناً بما : هَلَّا تدرس تتجس .

(4) إذا جاء بعدما ماضى كان بمعنى المضارع ، نحو : هَلَّا قدمت واجبتك ،

فكنت قدوة لغيرك ، (المضى : هَلَّا تقدم واجبتك) .

لا - الفعل المضارع : جاء في الكافية أن "المضارع ما أشبه الاسم بأحد

حروف نأيت لوقوعه مشتركاً وتخصيصه بالسين . فالهمزة للمتكلم
مفرداً . والنون له مع غيره ، والتاء للمخاطب مطلقاً ، والمؤنث والمؤنثين
غيبه ، والياء للخاصة غيرهما ، وحرف المضارعة مضموم في الرباعي
مفتوح فيما سواه " (43) .

ويضيف الاسترادي قائلاً : "عرف المضارع بمشابهة الاسم لأنه لم

يسم مضارعاً إلا لهذا . ومعنى المضارعة في اللغة المشابهة مشتقة من
الضوع كأن كلاً الشبهين ارتضعا من ضوع واحد ، فهما أخوان رضاعاً " (44) .

والمضارع لا يشير إلى زمن معين محدد لأنه بصيغته يدل على الحال

والاستقبال ، نحو : أسافر . والقرائن الزمنية ، إضافة إلى السياق جعلته
خاصاً بالحال أو خاصاً بالمستقبل . وقد ترشدها هذه القرائن إلى أن المضارع

يدل على أزمنة أخرى غير الحال والاستقبال . فلو تأملنا في قوله تعالى : " قل
فلم تقفون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين " (45) ، لوجدنا أن " تقفون "

(43) الاسترادي ، شرح الكافية ، ص : 250 .

(44) نفس المصدر ، ص : 251 .

(45) سورة البقرة ، الآية 91 .

لا يدلّ على الحال أو الاستقبال ، وإنما يشير إلى الزمن الماضي ، والتركييب الاتحادي " من قبل " هو الذي دلّ على ذلك . فصيغة المضارع ، اذن ، تدلّ على الحال والاستقبال ، ولكن القرائن الزمنية قد تميّنه لأزمة أخرى كما سنفصل ذلك تفصيلا :

أ - دلالة المضارع على الحال والاستقبال :

يصالح المضارع للحال والاستقبال (وستعرض في القسم الثاني من بحثنا للحال ، كما يعرفه كل من الاسترأباضي ، وبوالو) .

① عندما لا توجد قرينة تقيدّه بأحدهما ، نحو : يكتب درسه : فيكتب للحال والاستقبال ، غير أن الكثير من النحاة يروى أن اعتباره للحال أرجح ، معللين ذلك بأن للزمن الماضي صيغة خاصة ، ولكن لا توجد أية صيغة تختص بالحال ، لذا جعلت دلالاته على الحال أرجح .

② في أفعال المقاربة ، مثل : أوشك المطر أن ينزل . فان الزمن للاستقبال مع شذوّة قوبله من الحال ،

ب - دلالة المضارع على الحال :

يتصين زمنه للحال :

① إذا اقتتن بتركيب مستقبل (Syntagme autonome) ، نحو : أذهب الآن (أو الساعة أو حالا ...)

② إذا دلفي بليس التي يحترهما النحاة الأقدمون فعلا ناقصا جامدا لا يتصرف الا في الماضي ، أو بما يشبهها معنى وعملا كـ (ما) و (إن) ، نحو : ليس يسافر محمد ، ان يسافر ، ما يسافر . ولكي نفي المضارع بـ (ما) لا يجمله للحال دائما ، إذ السياق يؤدّي دورا كبيرا في تحديد الزمن كما يتبين ذلك من قوله عزّ وجلّ : " وما تسقط من روقة إلا بحلمها " 4 .

فعلم الله يستوفى الأوراق ليس مقصودا على الحال ، ولكنه يشمل جميع الأمانة .

③ إذا نفي بليس ، نحو : ليس يتهنئ الخامل لا داء واجيبه .
وان ما ينهني أن لشير اليه بسبب أهميته ، هو أن النحاة القدامى
اختلفوا في " ليس " . فمنهم من (رأى أنها فصل لا يتصرف) (47) ، ومنهم
من رأى أنها " كلمة نفي وهي فصل ما ض وأصلها ليس فكسر الياء " (48)
وبن ، كوظيفية ، ترى أن " ليس " (49) نافية ، مثلها كمثل " لا " و " ما " .
فحتى يصح القدامى قد اتفقت إلى ذلك فحصر عن ذلك بقوله ان معنى
ليس " نفي الخبر عن الاسم في الحال " (50) نحو : ليس الرجل حاضرا .
وقد تصحح " ليس " هيئة انحرافية فعلية
إذا أسبقت بـمزة الاستفهام ، فيسري اليها ما في الاستفهام من معنى

(47) السامرائي ، فقه اللغة المقارن ، ص : 69 .

(48) نفس المصدر .

(49) يرى الخليل أنها مركبة من " لا " و " ليس " . وتدل " ليس " على الوجود . فليسرى تمام حسان أن قولهم " ليس " للدلالة على الوجود يقابلها في العربية مادة " شيء " . وهي مقبولة للكلمة " ليس " السامية التي وجدت في السريانية في هذا المعنى ، وقد تحجرت في العربية في جمل معدودة مقيدة في كتب اللغة بقولهم " ليس " ، فكأن " ليس " ، " لا ليس " أي أنها من " لا ليس " ومعناها " لا شيء " . ثم قوي التركيب على طريقة النحت فصارت " ليس " . ولعل هذا ما يجد دليله في قول الصوب : " اثنتي به من حيث ليس وليس ، أي من حيث هو ولا هو " .

(50) محمد سعيد أسبر وبلال جليدي ، معجم الشامل ، ص : 760 .

الانشاء لأن العلماء قد نصحوا على أن أداة الاستفهام إذا دخلت على جملة ، عم الاستفهام الجملة بأسرها . وقد استعملت " ليس " فصي شكل صيغة اتحادية فعلية في كثير من الآيات ، نذكر منها على سبيل المثال ، لا على سبيل الحصر :

1- " أليس الله بأحكم الحاكمين " (51)

2- " أليس الله بكاف عبده " (52)

وعليها أخيرا أن نشير الى أنه إذا جاء بعد ليس " الا " ، لا يجوز أن تكون صيغة اتحادية فعلية .

(4) إذا وقع مع مرفوعه في محل نصب على الحال ، نحو :
أقبل الوالد يزمجر .

(5) إذا عر عن حالة أو حدث في الحاضر أو عر عن تكرار الفعل أو استمراره ، نحو : قال المعلم للتميذ : مالي أراك متفكرا .

(6) إذا عطف فعل مضارع على فعل مضارع آخر ، وكان زمن المعطوف عليه للحال كقولك : أعود حالا الى البيت وأتيك بالكتاب . فزمن الفعل " آتيك " للحال كزمن المعطوف عليه وهو " أعود " ، لوجود كلمة " حالا " التي هي وحدة معنوية مستقلة تقصر الفعل المضارع على الحال .

(7) إذا دل سياق الكلام على الزمن الحالي مثل قوله تعالى :
" يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى " (53) . فالسياق يدل على أن المعنى لبشرك الآن .

(51) سورة التين ، الآية : 8 .

(52) سورة الزمر ، الآية : 36 .

(53) سورة مريم ، الآية : 36 .

ج - دلالة المضارع على الاستقبال :

في اللغة العربية حروف مهيئة أو قرائن زمنية ،
إذا دخلت على المضارع ، جماعته خاصة بالدلالة على الاستقبال ،
فلا يدل المضارع معها على الحال الحاضرة أبداً . وهكذا ، يتعين زمنه للاستقبال .
(أ) - إذا سبقته :

① السين : وتسمى حرف استقبال أو حرف تنفيس (أي توسيع) لأنها
تسقل المضارع من الزمن الضيق ، (وهو الحال) إلى الزمان الواسع (وهو
الاستقبال) ، والسين تدل على المستقبل القريب ، بحوقوله تعالى : " وسيعلم
الذين ظلموا أني مصقلب يديقلمون " (56) .

② سوف : وتسمى حرف استقبال أو حرف تسوييف ، فتدل على المستقبل
البعيد ، نحو : " كلاسوف تعلمون ثم كلاسوف تعلمون " (57) .
وتختص " سوف " (لا " السين ") بقبول لام ، نحو : " ولسوف يعطيك يسسك
فتراضى " (58) .

③ قد : وتدل على امكانية حصول الفعل في المستقبل ، نحو : قد يعود
إلى وطنه .

④ لا : النافية والدالة على المنع وقوم الفصل في الحاضر أو في المستقبل
القريب ، نحو : هذا التلميذ كأنه صخرة لا تتحرك ، أنه لا يخرج حتى ينتهي
الدرس .

⑤ هل : الاستفهامية ، نحو : هل تكرمني ؟

⑥ أداة شرط . جازمة أو غير جازمة . باستثناء (لم ولما) . ومن أدوات الشرط

نذكر : أن ، لو ، كيف ، نحو : لو تكسل نخرّب بيوتنا بأيدينا ، كيف
تعاملني أعاملك ، " ان تصروا الله يصركم " (59) .

(56) سورة الشعراء ، الآية : 227 .

(57) سورة التكاثر : الآية : 3 و 4 .

(58) سورة الضحى ، الآية : 5 .

(59) سورة محمد (ص) ، الآية : 7 .

(7) ناصب من نواصب الفعل المضارع وتعني بذلك :

- أن ، نحو : أريد أن تجز عمك .
- لن ، نحو : لن أعود إلى غيبى أبداً .
- اذن : ومما تجدر الإشارة إليه أن " اذن " تكتب بالنون وبدونها . وهناك من يفسر أنه ينبغي أن تكتب بالنون حينما تكون عاملة (أي ناصبة) كأن يقول صديقك : سأزورك ، فتجيبه : اذن سأكرمك ، وبدون نون عندما تكون مهملة أي لم تستوف شروط النصب ، نحو : اذن ، نرد عليك .

— كي ، نحو قوله تعالى : كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم " (60)

— كي لا ، لكي ، لكي لا ، نحو قوله تعالى : لكي لا تناسوا على ما فإتكم " (61) .

— حتى ، نحو : لن تدخلوا الجنة حتى تتأبوا .

— لام التعليل ، نحو قوله تعالى : " ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر " (62) .

— لام الجحود : وهي اللام الصبغة (ما كان) أو (لم يكن)

نحو : لم أكن لأخون الوطن .

— فاء السببية : المصبوغة بجميع أنواع الطلب وهي الأمر

والنهي والاستفهام والدعاء والرجاء والتضي والحروض والتخضيس . ومثل التخضيس

قوله تعالى : " لولا أخرجني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين " (63)

ومثل الحروض : ألا تزورنا فنقدم لك المدينة ، ومثل التمني قوله تعالى :

" يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً " (64) ، ومثل الرجاء قوله تعالى :

" لعلي أبلغ الأسباب ، أسباب السموات فأطلع . . . " (65) .

— واو المعية : وقد سمع النصب معها بعد أربعة من أنواع

الطلب وهي الأمر والنهي والاستفهام والتمني . أما الأمر ، فمثل قول دثار بن شيبان

(60) سورة الحشر ، الآية : 7 .

(61) سورة الحديد ، الآية : 23 .

(62) سورة الفتح ، الآية : 2 .

(63) سورة الطائفون ، الآية : 10 .

(64) سورة النساء ، الآية : 73 .

(65) سورة غافر ، الأيتان : 36 و 37 .

النمري :

"فقلت ادعي وأدعو ان أدعى . لو صبت أن ينادى داعيان"

وأما النهي ، فمثل قول أبي الأسود الدؤلي (وقيل المتوكل الكناني) :

"لأنه عن خلق وتأتي مثله . عار عليك إذا فعلت عظيم"

ومثل الاستشهام قول الشاعر :

"أتهيت ريان الجفون من الكرى . وأهيت منك بليلة المسوع"

ومثل التلمي قوله تعالى : "يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين" (66) .

(ب) - إذا صحبته :

① قريبة متقبلة ، نحو : "يوم تقوم الساعة" (67)

② لام جواب القسم ، نحو : أنك لصلى أعمالك الصالحة . تجازى الخرفة .

③ نون التوكيد الخفيفة أو الثقيلة لأن التوكيد كما يقال يليق بحالم

يقع ، نحو : أتمدقن على الفقراء والمساكين ؟

④ لام الأمر ، وهي تدل على طلب القيام بالفعل في المستقبل القريب .

نحو : لنذهب إلى المعهد .

⑤ لام النهي أو لا الناهية ، نحو قولك : لا تكن من الذين يقولون مالا

يفعلون ، ونحو قوله تعالى : "ولا تقطروا النفس التي حرم الله إلا بالحق" (68) .

⑥ أداة رجاء ، نحو : لصلّ الوالد قادم .

(ج) - إذا اقترن بمنظوف من ظروف المستقبل أو باسم مستعمل دال على

الاستقبال كغد أو قريباً ، نحو : أزورك غداً .

(66) سورة الأنعام ، الآية : 27 .

(67) سورة السورم ، الآية : 12 .

(68) سورة الاسراء ، الآية : 33 .

(د) - إذا كان مستداً إلى شئٍ متوقَّح حصوله في المستقبل ، نحو : تكفل أعمال المجتهدين منكم بالدجاج في آخر السنة .

(هـ) - إذا اقتضى الفعل المضارع وعداً أو وعيداً ، نحو قوله تعالى : " يهدب من يشاء ويغفر لمن يشاء " (69) .

- إذا دلّ السياق على زمن المستقبل ، نحو : " كما بدأنا أول خلق نعيده " (70) .

- إذا دلّ الفعل المضارع على ظاهرة كونية أو حركة طبيعية ، نحو : " لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون " (71) .

- إذا دلّ على عمل يتكرر حيناً بعد حين ، نحو : " ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق " (72) .

- إذا دلّ على صفة راسخة في النفس ، نحو : " والذين لا يشهدون الزور " (73) .

- إذا كان الفعل المضارع فعل شرط أو جواب في جملة شرطية ، نحو قوله تعالى : " قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله " (74) .

- إذا اقتضى طلب الفعل وذلك في الدعاء والنهي والأمر والحوض والتضييض . أمّا الدعاء ، فمثل قولك : يرحمك الله ، ومثل النهي قول الشاعر :

" لا تنقل أصلي وفصلي أبداً . . . إنما أصل الفتى ما قد حصل "

ومثل الأمر ، قوله تعالى : " لينفقوا بغيرهم من سمعته " (75) .

وللتضييض خمسة أحرف هي :

(69) سورة المائدة ، الآية : 40 .

(70) سورة الأنبياء ، الآية : 104 .

(71) سورة يس ، الآية : 40 .

(72) سورة الفرقان ، الآية : 7 .

(73) سورة الفرقان ، الآية : 72 .

(74) سورة آل عمران ، الآية : 29 .

(75) سورة الطلاق ، الآية : 7 .

- مالا : مالا توجع عن غيبك (فهذا القول أحثك على الرجوع عن غيبك) .
- ألا : ألا تحميد الشكير في ما قرأت .
- لولا : لولا تستخفرون الله ، فلولا تشكرون (76) .
- لوما : لوما تتوب من ذنبك .
- ألا : "ألا تحبون أن يغفر الله لكم" (77) .

وأما أحرف العرض ، ففي ثلاثة :

ألا : ألا تشرفنا هذا المساء (فهذا القول أعرض عليك وأطلب منك بلين أن تشرفنا .

لو : لو تماشرونا فتري منا ما يسرك .

أما : أما تقيم عندنا فتوتوسلسنا .

ويتعين الفعل المضارع للدلالة على الاستقبال :

- مع أفعال الترجي الجامدة وهي عسى وأخلولق وزاد ابن مالك حوى ،

نحو : "فحسى أن تكبروا وشيئا ويحصل الله فيه خيرا كثيرا" (78) .

- مع التمني والترجي : لبيت ولعل ، نحو : "بأليتنا نرد ولا تكذب

بآيات ربنا" (79) ، وبحوقولته تعالى أيضا : "لعل الله يحدث بعد ذلك

أمرا" (80) . والذي ينبغي أن نلاحظه هو أن "لعل" تستخدم لترجي شيء

متوقع ، أما "ليت" فليتنمي شيء مستحيل الوقوع .

- مع صار التي تفيد التحول ، نحو : صار البخار ماء .

- مع كان التي بمعنى صار ، نحو : جمد الماء فكان ثلجا .

- مع ظل وأصبح وأضحى وأمسى التي تكون بمعنى صار ، نحو :

"وإذا بنشر أقدامهم بالأرض ، ظل وجهه مسودا" (81) .

- مع الأفعال التي تشترك مع صار في المعنى والحل ، وهي : آض (آض

الشاب رجلا) ، ورجح (لا ترجعوا بعدي كفارا ، يضرب بعضكم رقاب بعض) ، وعاد

واستحال وقعد وجر وأرند وتحول وفدا وراح وجاه .

(76) سورة الواقعة ، الآية : 70 .

(77) سورة النور ، الآية : 22 .

(78) سورة النساء ، الآية : 19 .

(79) سورة الأنعام ، الآية : 27 .

(80) سورة الطلاق ، الآية : 1 .

(81) سورة الحل ، الآية : 58 .

— مع مازال وما فتى وما برح وما ذلك التي تفيد مع مضمولها اتصاف
اسمها بمعنى الخير اتصافاً مستمراً لا يتقطع أو مستمراً إلى وقت
الكلام .

فمثال المستمر الدائم : مازال الله رحيمًا بعباده .
ومثال المستمر إلى وقت الكلام قولك : " لا يزال الحارس واقفاً " (82)

د - دلالة المضارع على الزمن الماضي :

يتمصرف زمن الفعل المضارع للمضني :

1 - إذا سبقته القرائن الزمنية الآتية :

① لم ولما الجازمتين ، بحوقله تعالى في سورة الاخلاص : " لم
يلد ولم يولد " ، وبحوقولك : خروج الطالب ولما يبعد .
والفرق بين لم ولما أن المضارع المجزوم بـ (لم) يدل على عدم حدوث
الفعل في الماضي ، نحو : لم يلد ، أما المضارع المجزوم بـ (لماً) ، فيدل على
عدم حدوث الفعل في الماضي مع توقع حدوثه فيما بعد ، نحو : خرج ولماً
يبعد .

ولا بد أن نلاحظ أن " لم " و " لماً " يصحان دالين على المستقبل عندما
يسبق كل منهما بـ (أن) أو (إذا) ، نحو : ان لم تتقاعس عن العمل ، تحقق
أمنيتهك .

② إذ : التي يدلّ المضارع بعدها على الزمن الماضي ، بحوقولك : أعجبتني
كلامك إذ تختار ألفاظك (بمعنى اخترت) ، وبحوقوله تعالى : " إذ تقول
للمؤمنين ألن يكفّيكتم " (83) . ويرى حامد عبدالقاهر أن " سياق الحديث
والأحداث التاريخية تدل على أن كلّ فعل مسبق بـ (إذ) ... يدل على وقوع

(82) سبحان حسن ، النحو الوافي ، ج 1 ، ص : 403 .

(83) سورة آل عمران ، الآية 124 .

حدث في الزمن الماضي ، ولعل في استعمال المضارع بدلا من الماضي نكتة بلاغية طريفة هي الإشارة الى تكرار حدوث الفعل مرة بسنة أخرى " (84) .

③ ربّما : والفرق بين (ربّ) و (ربّما) يكمن في أن (ربّ) تدخل على الأسماء غالبا ، و (ربّما) على الأفعال ، نحو : حروب كثيرة في تاريخ هذا العالم ربّما أمقتها أي ربّما مقتها .

④ قد : التي تفيد التقليل كأن تقول لمن حملك على السفر كرهما : " قد أسافر مكرّما ، فماذا عليك لو تركتني " (85) .

⑤ كان : فيصبح المضارع دائما على استمرار وقوع الفعل في زمن ماضٍ ، وعلى تكرار الفعل ، نحو :

- كان البحتري لا يفارق باب الخليفة المتوكل .
- كنت أزور قبر أبي أثناء الصلاة .

وما تجدر الإشارة إليه هو أن (كان) حين تصبح فعلا مساعدا ، تبوء لف مع المضارع فزكها يدل على أن الحدث كان مستمرا في الزمن الماضي ، نحو : كان النبي يوصي بمعاملة الجار بالحسنى ، وبحقوقه سبحانه : " وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه " (86) . ونحن نرى ما يراه السامع من أن (كان) وأخواتها نحو : " مازال وأضحى وأمس وأصبح وصار وسائر الأفعال الأخرى " ، وقد تستعمل في صيغة الماضي مستنوية بأفعال أخرى في صيغة (يفعل) وذلك في سرد أحداث ماضية كما يحدث في الحكايات والقصص ، نحو : وكان يتصدق على الفقراء ويقي الضيف ويخيم الملموف . (87) ومعلوم أن (أصبح) إذا استعمل بمفرده ، يدل على زمن الصبح ، وأمسى على زمن المساء ، الخ . . .

(84) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ج 13 (1961) ص : 153 .

(85) عباس حسن ، النحو الوافي ، ج 1 ، ص : 35 .

(86) سورة البقرة ، الآية : 75 .

(87) السيوطي ، مجمع الروايع ، ج 1 ، ص : 8 .

وقد تزداد الباء في خبر " كان " ، شريطة أن تأتي (كان) مسفية ،
نحو : ما كان الله بضلالاً للعبيد .

2 - إذا سبقته :

(أ) فعل ماضٍ : فيصير المضارع دالاً على وقوع الفعل في الماضي ،
نحو : خرج الولد يتنزه ، وأخذت الفتاة تكتب .
(ب) فعل مضارع مجزوم بلم ، نحو : لم تخرج وتشسري
الكتاب ، ونحو قوله تعالى : " ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ، فتصبح
الأرض مخضرة " (88) ، أي أصبحت .

3 - يأتي المضارع بمعنى الماضي :

- إذا احتوت الجملة على الصيغة الاتحادية " من قبل " الدالة على
زمن الماضي ، نحو : " فلم تقتلون أنبياء الله من قبل " (89) .
- إذا كان المضارع في جملة صلة الموصول وكان مسوقاً بفعل ماضٍ ،
نحو : أشده القصيدة التي يمجوها الخليفة المنصور .
والملاحظة الأخيرة تكمن في أن السياق يؤيد دوراً كبيراً في الدلالة
على وقوع الفعل في الزمن الماضي ، نحو : " يسألونك عن الخمر... " (90) ،
فـ (يسألونك) فعل مضارع ، ولكنه يدل على وقوع الفعل في الماضي ، ويستفاد
ذلك ، لا من صيغة الفعل ولا من مادته وإنما من سياق الكلام .

فعل الأمر : هو ما دلّ بنفسه مباشرة على طلب وقوع الفعل ، من
غير زيادة على صيغته . فإذا قلت " ليعد " كان الفعل فعلاً مضارعاً ،
لا فعل أمر ، بالرغم من أنه يدلّ على طلب شيء لا يحصل إلا في المستقبل ،

(88) سورة الحج ، الآية : 63 .

(89) سورة البقرة ، الآية : 91 .

(90) سورة البقرة ، الآية : 219 .

لأن الدلالة على الطلب جاءت من لام الأمر ، لا من صيغة الفعل نفسها .

ويسرى البصريون أن فعل الأمر صيغة مأخوذة من المضارع بعد نزع حرف المضارعة . أما الكوفيون ، فقد ذهبوا إلى أن فعل الأمر مربوب مجزوم بلام محذوفة هي لام الأمر ، ولمذا لا يمكن أن يكون قسيما للمضارع والماضي . وقد قال ابن الحاجب : " الأمر مثال أو صيغة يطلب بها الفعل من الفاعل المخاطب بحذف المضارعة ، وحكم آخره حكم المجزوم " (91) . والزم من الذي يعبر عنه الأمر هو المستقبل في أغلب الأحيان ، فإذا قلت " اجتهد في دروسك " ، فالاجتهاد مستمر ما دامت الدراسة قائمة . وإذا قلت " يا فلان ، أخش ربك ، فالمراد استمرار الخشية في الإنسان . قيمة الأمر : الأمر من أنواع الإنشاء الطلبي ، وموطلب حصول الفعل على وجه الاستعلاء والالتزام .

وقد يخرج الأمر من معناه الأصلي ، فيدلّ على معانٍ أخرى تستفاد من سياق الكلام ، وتبدرك بسفرائها ، ومنها :

(1) الدعاء ، نحو : رب اغفر لي ، وبحوقوله تعالى : " ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسوأنا " (92) .

(2) التخدير : (أو الإباحة) : وهو أن يختار المخاطب أحد الشيئين نحو : انصرف إن شئت .

(3) الالتئام : وذلك عند تساوي الأمر والمأمور أو تقاربهما في المنزلة ، نحو قول امرئ القيس :

" قف لسبك من ذكوى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل "

(91) ابن الحاجب ، أبنية الفعل ، ص : 203 .

(92) سورة آل عمران ، الآية : 147 .

(4) التّصحّح والارشاد ، نحو قول المتنبي :

"كذا فليسر من طلب الأعداء
ومثل سراك فليكن الطّلاب "

ومذا الباب كثير في المواعظ والوصايا والحكم ، نحو قولك : تصدّق على الفقراء ،
أرحم من في الأرض .

(5) التمني ، نحو قول امرئ القيس :

"ألا أيها الليل ألا أنجل بصبح وما الاصباح منك بأمثل "

(6) التصجير ، نحو قولك : أربي من عاش ولم يموت .

(7) التحقير ، نحو قول جرير :

"فخض الطرف أنك من عمر فلا كعبا بلغت ولا كلابا "

(8) التمديد : ومعناه تحذير المخاطب من عاقبة استمراريته في

الفعل ، نحو قولك : يا خامل ! تسكح في الشوارع وأهمل واجباتك وسترى
كيف تكون عاقبتك .

(9) الامانة ، كقول الخطيب :

"دع المكارم لا ترحل لبيبتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي "
وكقوله تعالى : " كونوا حجارة أو حديدا " (93) .

والفرق بين الامانة والتحقير هو ان الامانة لا بد من أن تظهر بالقوة
والفعل . ولا يكفي فيها الاعتقاد أو الشعور النفسي .

وما يجب أن نلاحظه هو أن علامة فعل الأمر مزدوجة (مثل :

اعمل - اعلمي) ، ومن فعل الأمر كلمة (تعال) لقبولها علامته ، فتقول :
تعال - تعالي .

فان دلت الكلمة بصيغتها على ما يدل عليه فعل الأمر ، ولكنها لم تقبل
علا منته ، فليست بفعل أمر ، وإنما هي اسم فعل أمر ، مثل : نزال بمعنى
النزل . فأسماء الأفعال هي أسماء قامت مقام الأفعال في الفعل ، وهي غير
متصرفة تصرف الأفعال . وقال النحاة الأقدمون ان " دلالتها على الزمان
بالموضع لا بالطبع وعلى هذا ، فهي اسم لمعنى الفعل وموظف أمر كسلام
سبويه "

ومن أسماء فعل الأمر ، تذكر على الأخص :

- | | | |
|--------------|---|----------------------|
| صيه | : | بمعنى اسكت . |
| أيك | : | بمعنى احذر . |
| حسي | : | بمعنى أتسهل . |
| هائم | : | بمعنى أقبل أو أسرع . |
| أمين | : | بمعنى استجب . |
| عليك نفسك | : | بمعنى الزمها . |
| وراءك | : | بمعنى تأخير . |
| أمامك | : | بمعنى لتقدم . |
| رويدا أوروبك | : | بمعنى أمهل . |

IV - الخلاصة (الخاصة بالزمن)

وفي الختام ، فإنه يحق لنا أن نردّد بعد هذا الاستقصاء والاستقراء
أن يردّد مع د . عبدالله درويش الذي قال رداً على الحقاد أن
المستشرقين " عندما يحيون الأجرومية العربية بأنما تقصر
الزمن الفعلي على ثلاثة أنواع فقط ، فلا يوجد بها مثلاً : الماضي المستمر والماضي
المنقطع ، مخطئون ! فالحقيقة أن هذا النوع موجود في لغتنا غير أن الحويين
لم يتخذوا له اصطلاحاً يحييه " (94) . وهذا بالفعل ما سنبيته في الفصل الثاني الخاص
بالمقارنة بين العربية والفرنسية .

القرائن الزمنية: (Les modalités temporelles)

من خلال دراستنا المستفيضة للأزمة المتوعدة التي قد يدل عليها الماضي والمضارع ، تبين لنا أن القرائن الزمنية تتصل دوماً بالفعل لتزوده بالذات الزمني . ويمكن لنا بعد كل هذا أن نستخلص الملاحظات المأمومة التالية :

(1) عطف قرينة على قرينة أخرى : لا يمكن عطف قرينة على قرينة أخرى مباشرة . فلا بد من إعادة ذكر المبتدأ الفعلية ، نحو : " فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار " (95) . فلاحظ أن القريبتين الدالتين على " الماضي " و " المستقبل " لم يكن عطفهما ممكناً إلا بفضل تكرار الفعل "فعل " .

فلا يمكن في نظر النحو التقليدي أن نقول " لم ولن تفعلوا " لأن "لم" تغلب معنى المضارع " تفعلوا " إلى الماضي في حين أن " لن " تخلصه للاستقبال . فلو عطفنا " لم " على " لن " ، لن يستقيم الكلام في نظر الدراسة التقليدية للسبب المذكور . ولكننا سنكون معياريين لو جئنا من هذا الكلام مبدأ وقاعدة . فنحن ، كوظيفيين ، نجد أنفسنا مضطرين إلى وصف اللغة كما هي مستخدمة اليوم . ولذا ، يتحتم علينا أن نلاحظ في أيامنا هذه : — كثرة عطف " لم " على " لن " في الأدب والصحافة ومن ذلك قول نجيب محفوظ : " ... فمن جهة يمزونه بأن حياته لم ولن تقطع ، ومن ناحية أخرى يذكرونه بأن شخصه يتراجع ويبدأ عن مركز الاهتمام الذي كان يستأثر به ... " (96)

وأنا تكاد نسمح ونقرأ يومياً في صحفنا العربية عبارات من نوع : " لم ولن نسمح بذلك (97) ... فلم ولن نحقق مكتوفي الأيدي ... " (98)

(95) سورة البقرة ، الآية : 24 .

(96) نجيب محفوظ : السكرية ، ص : 26 .

(97) ياسر عرفات ، الشمسة الأخبارية يوم 90/08/04

(98) لقاء الصحافة ، مهري ، يوم 90906/28 .

(2) قد يحدث ، عندما يكون للقريضة دال مقطوع (Signifiant discontinu) أن يفصل جزءاً عن الجزء الآخر ، بحقوقه تعالى : " لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا " (29) .

(3) ما تجدر الإشارة إليه هو أننا نتصرف القريضة بتقطيع التركيب الفعلي ، " كان يبحث عن الحل " الى وحدتين معنويتين هما " بحث عن الحل " والقريضة الدالة على الماضي " كان " . وفي التركيب الفعلي " قد بحث عن الحل " نلاحظ أن للقريضة الدالة على " الماضي " دال متصددم " (Signifiant zéro) .

(4) ومهما يكن من أمره ، فإن التراكيب تخضع لقواعد عامة . فكل فعل ، باستثناء الأفعال الجامدة (عسى وأخلوق وبئس ونعم وحبذا ، الخ . . .) قابل للاختلاف مع جميع القرائن تقريباً . والقريضة الزمنية الدالة على المستقبل (السين مثلاً) أو غيره من الأزمنة الأخرى لا بد من أن تصحب المسند الفعلي . فلو أقمنا مقارنة بين " سيموت " و " مات " لرأينا أن الشكل " مات " لا يمثل التعبير عن الفعل مات فقط ، ولكنه يصبح كذلك عن الزمن الماضي لأنها صيغة مجردة من القرائن . ومن المعلوم أن العلاقة تقوم بين المسند إليه والمسند أي بين " الناس " مثلاً و " سيموت " في قولنا " سيموت الناس " . فمذان اللفظان لازمان لتكوين الملفوظ ، وحذف الفاعل (المسند إليه) أو المسند (الفعل) يقضي على بنية الملفوظ . غير أن حذف فضلة أو إضافتها لا يغير في شيء العلاقة الموجودة بين المسند والمسند إليه . فالعلاقة التي تقوم بين الفضلة وغيرهما من الملفوظ ، لا تكون واضحة إلا إذا وجد كل من المسند والمسند إليه . وعلى كل ، فإن للمسند إليه والفضلات وظيفة محددة بالنسبة الى المسند البياني لا يرتبط بأي عنصر آخر . ولذلك نرى هذا المسند يحتل أعلى مرتبة في الترتيب . والله بإمكانه أن يؤولف ملفوظاً بنفسه . وما يمكن أن نتبه إليه هو أنه لا يمكن للأفعال أن تأتلف مع جميع القرائن .

⑤ يمكن لنا أدراج " طفق " في جرد القرائن . فقد يكون (مثل "كان" وغيرها) فعلا مساعدا إذا كان ماضيا متبوعا بمضارع ، نحو : طفق يفعل كذا .

⑥ بعد هذا كله يتسنى لنا أن نؤكد أنه ليس للقرائن فضلات خاصة . ويمكن أن نشير إلى أن :

أ - القرائن تتعارض مع بعضها البعض (لم ولن مثلاً) .

ب - هناك تقييدات تتعلق باختيار القرائن قد تطرأ

على عطف التراكيب الفعلية ،

ففي سياق معين ، تتعارض القرائن مع بعضها البعض : فاختيار قرينة يقصي القرائن الأخرى .

⑦ ان ما يلفت الانتباه كذلك هو أن قرينة الفصل التابع في الجملة

المركبة تخضع لقيود تعرف في عدد من اللغات بتوافق الأزمنة . وانه من اللائق فيما يتعلق بدراسة توافق الأزمنة أن نوضح جانباً كل سياق يتحقق فيه الغاء التقابلات (neutralisation) . ولعني بذلك ، السياق الذي لا يكون فيه مجال لاختيار الصيغة الفعلية . ولذا ذكر على سبيل المثال الوحدات المعنوية العلائقية ، مثل : رجا ، أن ، من أجل أن ، قبل أن ، شريطة أن ، الخ ...

فلا يمكن استخدام الماضي بعدها . ومن ثم ، فلا يمكن أن نقول على سبيل المثال : "التجأت إليك رجا" أن عفوت عني " ، بل نحن مضطرون إلى استعمال المضارع المنصوب ، لاغيره ، فنقول : "التجأت إليك رجا" أن تعفو عني " .

⑧ ما يلفت الانتباه كذلك هو أن عدد التجارب الانسانية التي يريد

الناس نقلها ، أكثر بكثير من عدد القرائن والصيغ الفعلية . وما لا يجب فيه أن هذه القرائن ، لا بدّ لها من أن تشارك السياق في دور التحقق الزمني كما بيناه في الأمثلة السابقة . أضف إلى هذا أنه ليس هناك ما يمنع وجود

ولستخلص من كل هذا أن مجموع استعمالات ودلالات " ما " ، لا تغطي مجموع استعمالات ودلالات " لم " . وانه بإمكاننا أن نقوم بدفس العملية باختيار " ما " و " لن " أو غيرهما من القرائن .

ومن هنا يمكن لنا أن نوه كد أنه من الضروري الاطلاق من فهم وتحليل السياق خاصة في ميداننا ، ميدان الترجمة . فالتأمل في هذا السياق سيسمح لنا بالوقوف على القوالب الممكنة والمستعملة ، كما سيسمح بالتصرف على الاختسيارات الممكنة بين القوالب الصالحة للتصير عن تجربة معينة . وسيتيح لنا أخيرا ، التصرف على التغيرات الدلالية للقرائن من سياق الى سياق آخر . ومهما يكن من أمر ، فإن أية دراسة لا بد لنا من أن تأخذ بعين الاعتبار الحدد الهائل من الاستعمالات ، سواء كان ذلك لدى جماعة لسانية ضيقة أو لدى جماعة لسانية موسعة . وأخيرا ، فانه لا ينبغي الاكتفاء بالبنى الجامدة والمقولة . وما دامت الاستعمالات مختلفة ، فإن قيمة بعض القرائن تتغير وتتوسع . فلا يستخدم المتحدثون نفس القرائن حتى في نفس الظروف . ولا شيء - اذن - يدفعنا الى أن نفرض أنه كان للجميع تجارب متمشابهة للافادة والتبليغ (نحو : ما تحدثت - لم أتحدث) .

القسم الثاني:

الفصل الثاني في السجلات
المصرية والفرنسية

① العربية والفرنسية لغتان كسائر اللغات الحية :

ان المدف من هذه المقارنة هو الوصول الى قوانين عامة تساعد المترجم على نقل مفهوم الألفنة الفرنسية الى اللغة العربية ، وتوؤتي بنا الى استخلاص ملاحظات وتبهيها من شأنها أن تدفع بالمترجم الى توؤسي الدقة فسي التعبير ، والأمانة في نقل النصوص من اللغة الفرنسية الى اللغة العربية .

فالكمل ففلم أن الفرد يجد في البيئة التي ينشأ ويتروغ فيها نظاما لغويا قائما بذاته . فلا يتسنى له التملص منة فففسير عليه هو وسائل أفراد مجتمعه بلخلف وسائل التعاليم والمحاكاة ، فالإنسان اذن مضطرا الى الخضوع لقواعد اللغة التي لافسير وفقا لإرادة الأفراد ، وتهما للنزوات الشخصية ، وانما تخضع في سيرها وتطورها لقواعد مطردة . ومما لا ريب فيه أنه يحدث بين اللغات ما يحدث بين الجماعات . فالاحتكاك بين الشعوب يؤدى الى السي الاحتكاك بين الثقافات . واللغة الحية هي التي تأخذ من اللغات الأخرى أشياء ، وتعطي لها أشياء أخرى . فالعملية عملية أخذ وعطاء ، على فففسن اللهجات التي تكتفي بالأخذ ، ففففسن فأنة على غيرهما ، مثلها كمثل شجرة اللباب تلتف حول شجرة أخرى . ففتمتص عصارتهما . وما دام الصراع قائما بين الأمم ، فالسعي وراء السيطرة اللغوية يظل قائما . لذا ، تبذل الدول العظمى تضارى جمدها في نشر لغاتها ، واصفار أمر اللغات الأخرى لتبقى الشعوب المستضعفة مغلوبة على أمرها . وقد قال مصطفى صادق الرافعي في كتابه " وحي القلم " (1) : " فاللغات تتنازع القومية ، ولهي والله احتلال عقلي في الشعوب ، التي ضعفت عن هبتها ، واذا هانت اللغات القومية على أهلها ، أثرت اللغة الأجنبية في الخلق القومي

(1) وحي القلم : مجموعة من المقالات الأدبية والنقدية وبعض القصص القصيرة ، نشرت في المجلات والصحف ما بين 1934-1937 ، وتم جمعها في ثلاثة أجزاء ، ومعظمها يدور حول قضايا اسلامية وعربية .

ما يؤثّر الجوّ الأجنبي في الجسم الذي انتقل اليه وأقام فيه . أما إذا قويت العصبية ، وعزت اللفظة وشارت لما الحميدة ، فلن تكون اللغات الأجنبية الأخرى يترفق بها . ويرجع شجر الأجنبي شجراً لا متراً " .

ومهما يكن من أمر ، فإن لكل لفظة :

- سلسلة مفصلة من حروف المباني (Phonèmes)
- وسلسلة مفصلة من الوحدات النحوية (Morphèmes)
- وسلسلة مفصلة من الوحدات المعجمية (Lexèmes)

ومن الجدير بالملاحظة أنه لا تترك الحرية - بطبيعة الحال - إلى كل شخص لاختراع وحداته المعجمية الخاصة وعدد الوحدات المعجمية كبير جداً . فلا يستطيع أي كان أن يدعي أنه ملّم بما جميعاً . أضف إلى هذا ، أن سلسلة الوحدات المعجمية بإمكانها أن تتطور أكثر مما تتطور السلسلتان السابقتان .

فمذه السلاسل الثلاث تتألف من وحدات منتظمة في جداول خاصة . وإطلاقاً من الجملة ، وهي الوحدة الأساسية للإبلاغ اللغوي ، فإنه يتسنى لنا أن نكتب الآن ما يلي :

* جملة = تأليف بين تراكيب (أو مكونات مباشرة) (constituants immédiats)

* تركيب = تأليف بين وحدة معجمية (أو وحدات معجمية) ووحدة نحوية أو وحدات نحوية .

* وحدة معجمية = جزء لا يتجزأ من سلسلة الوحدات المعجمية .

* وحدة نحوية = جزء لا يتجزأ من سلسلة الوحدات النحوية .

② الجملة في اللغتين العربية والفرنسية :

إن النحاة الأقدمين قد قسموا الجملة العربية إلى نوعين : اسمية وفعلية . وما يلفت الانتباه هو أن الجمل في اللغات اللاتينية ومنها الفرنسية ، قد صلفت

هذا التصنيف . ويرجع البعض هذا التصنيف الى تأثر العرب والفرنسيين على السواء ، بالتقسيم الأفرقي . وعلى كل حال ، فإن الجملة الفعلية هي وحدها التي يكون لها معنى تاماً في الفرنسية ، إذ أنه يجب أن تميز بين الجملة وبين العبارات من مثل : غرفة فسيحة (أو الغرفة الفسيحة (Une chambre vaste) التي لا يمكن اعتبارها جملة .

وعلاوة على ذلك ، فإنه بإمكان الجملة الفعلية في اللغة العربية أن تكون جزءاً من الجملة الاسمية ، ولكن العكس غير وارد تماماً ، نحو :

- (أ) المدرسة ، أشجارها مجردة من أوراقها .
- (ب) الأبريق ، عذروته مكسورة .

ومن التباين القائم بين لغتنا واللغة الفرنسية ، قبول مطرف فعلين متباينين للمجهول ، أو أكثر في الجملة العربية ، غير أن ذلك يستصدر في اللغة الأجنبية . ولهذا السبب ، يلجأ مستعمل اللغة الفرنسية الى حذف العنصر (la copule) "etre" من كل الأفعال المبنيّة للمجهول - ماعداً واحداً - لتبقى هذه الأفعال عبارة عن صيغ تعدل على اسم المفعول (Participe passé) ، نحو : " La natte étalée à terre était recouverte d'un tapis Confortable" (حصيرٌ قد بسط على الأرض وألقي عليه بساط لا بأس به) .

ومن الجدير بالملاحظة هو أن للفعل الأول في الجملة العربية المركبة دوراً هاماً جداً . فالجملة الأصلية الفرنسية هي التي تفرض على الجملة التابعة الزمن الذي يخضع له الفعل الموجود فيها . وهذه القاعدة غير واردة في لغتنا . والأمر الذي ينبغي أن يسترعى الانتباه المترجم هو أن القيمة الزمنية للأفعال العربية الواردة في الجملة التابعة ، سواء أكانت ماضية أم مضارعة ، تجد نفسها محددة بالقيمة الزمنية للفعل الأول المذكور في الجملة ، نحو :

- (أ) يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً (2)
(ب) لن ندخلها أبداً ما داموا فيها .

③ أصل المشتقات : يرى بعض الباحثين أن أصل المشتقات هو المصدر ، ويرى البعض الآخر أن الأصل هو الفعل . ولئن ذهب البعض إلى القول بأن الفعل هو الأصل في اللغات السامية - ومنها العربية - ، والمصدر في اللغات المدية الأروبية ، فإن المسألة في نظرنا عبارة عن جدال عقيم لا يؤول إلى أية فائدة علمية . ثم إن من المسائل التي اختلف فيها البصريون والكوفيون قديماً هي مسألة الأصل الاشتقاقي في العربية . ولا تهمنا آراء هؤلاء وأولئك في هذا الميدان ، إنما الشيء الذي لا بد من تأكيده هو أن العرب اشتقوا من غير المصدر والفعل . وهكذا ، فإنهم اشتقوا كثيراً من المفردات من المصدر ومن أسماء الأئمة والأمكنة ، الخ . . . نحو : ربح ، خمس ، هويبة .

وإن ما يلفت الانتباه في العربية ، على عكس الفرنسية هو تكرار مشتقات من نفس الفعل ، نحو : شار فائره ، على الباغبي تدرر الدوائر . وما يميز العربية عن الفرنسية كذلك هو امكانية :

أ - تكرار نفس الفعل في الجملة ، نحو : فخرج بمن خرج ، قالت العرب فيما تقول :

ب - تكرار أفعال مترادفة متماثلة الصوت ، نحو : الحقوني ، أدركوني .

ج - استعمال الفعل ومصدره ، نحو : فجاش جاش الأسد .

وإن ما ينبغي أن يجمله المترجم دائماً لخصب عينيه هو أن التكرار الموجود في العربية ، وفقاً لانسجام الأصوات ، وتناسق الكلام ، يستغنى عنه في الفرنسية ، لأن لكل لغة ميزاتها الخاصة .

④ الترتيب :

الترتيب من الطرق المستخدمة في علم التراكيب (La Syntaxe) لمعرفة وظيفة عنصر من عناصر الملفوظ . فلما تأملنا في الجملتين التاليتين :

- (أ) استأذن الأعرايبي الأمير .
(ب) Le chat mange la souris

للاحتظنا أن الجملة الأولى ، وهي جملة عربية ، قد تكونت من عناصر ثلاثة :

- (أ) المسند (استأذن)
(ب) المسند اليه (الأعرايبي)
(ج) الفعلة (الأمير) .

وأما الجملة الثانية ، وهي جملة فرنسية ، فقد التزمت عناصرها الترتيب التالي :

- (أ) المسند اليه (Le Chat)
(ب) المسند (Mango)
(ج) الفعلة (La Souris)

فالترتيب هو الذي يبين العلاقة القائمة بين استأذن والأعرايبي والأمير في الجملة العربية . والترتيب هو الذي يبين لنا كذلك العلاقة الموجودة بين " le chat " و " mange " و " La souris " .

وما استنتجناه من هذا كله ، هو أن ترتيب عناصر الملفوظ في اللغتين متباين . ولترتيب أممية كبرى . فبفضله ، مثلاً ، نعرف أن " موسى " هو المسند اليه (أي الفاعل) ، وأن " عيسى " هو المسند (المفعول به) في الملفوظ التالي :

ضروب موسى عيسى

وخلاصة القول أن الأصل في ترتيب عناصر الملفوظ العربي أن يذكر :

المسند (الفعل) أولا
والمسند اليه (الفاعل) ثانيا
والفضلة (المفعول به) ثالثا .

وأما الأصل في ترتيب عناصر الملفوظ الفرنسي ، فهو أن يذكر :

المسند اليه (الفاعل) أولا
والمسند (الفعل) ثانيا
والفضلة (المفعول به) ثالثا .

ويمكن أن يتخذ عناصر الملفوظ العربي ترتيبا آخر . وقد رأينا ذلك بالتفصيل في الفصل الأول من بحثنا هذا .

⑤ الفعل في اللغتين : العربية والفرنسية :

يمتدح الفعل في كلتا اللغتين دعامة الجملة . ومن الناحية الوظيفية ، فهو يتخصص في الاسناد ، ويأصلف مع جدول خاص موجود في القرائن (3) ، غير أن الفعل الفرنسي حينما يظهر في تركيب تابع ، وذلك في جملة صلة الموصول (Une relative) مثلا ، فانه يكون نواة شبكة الوظائف الداخلية لجملة صلة الموصول : فهو إذن شبه مسند (prédicatoide) . وبعض الأفعال الفرنسية كالجماد " être " (أو avoir) تستطيع على سبيل المثال في بعض الاستعمالات الخاصة أن لا تكون مسندات ، فتصبح محققات لمسندات اسمية . ففي " il ya du bruit " (هناك ضجيج) ، فان " du bruit " (ضجيج) مسند اسمي . وتجدر الإشارة إلى أن الفعل في هذه الحال ، يظهر في تركيب مقولب جامد . فليس هناك استبدال (Commutation) ممكن لـ " il " أو " y " في قول الفرنسيين " il ya du bruit " .

أضف إلى ما تقدم أن الفعل قد يكون متعديا في العربية ، ولازما في الفرنسية ، والعكس صحيح ، نحو :

دخول (مكانا) ← Entrer (dans un liour)
سلم عليه ← Saluer quelqu'un

ومما تجدر الإشارة إليه كذلك هو أن طرق التعديّة مختلفة في اللغتين .
فبعض الأفعال تتعدى بنفسها في العربية إذا استخدمت في معناها الحقيقي .
أما إذا استعملت في المعنى المجازي ، فإنها تتعدى بواسطة حرف من حروف الجر ،
بحو :

أشاد البناء (معنى حقيقي) ← (Elever un édifico)
أشاد بذكره : (معنى مجازي) ← Elever la renommée de quelqu'un
رمى الشيء (تعدى الفعل بنفسه)
رمى بالشيء (تعدى الفعل بواسطة حرف الجر : البناء) :

وإذا كانت هناك أعمال تتصرف تصرفاً غير قياسي (verbes irréguliers) في اللغة
الفرنسية (مثل : acquérir, aller, asseoir, croire, croître, etc.) فإن في العربية
أفعالاً جامدة لا تتصرف في كل أزمنتها ، وقد تحدثنا عن ذلك في الفصل الأول ، ناهيك
عن وجود أفعال عربية نادرة . وقد أشار السامرائي⁽⁴⁾ إلى الفعل " هد " في
قول العرب : " هذا الرجل صدك من رجل " ، أي " حسبك من رجل " ،
وفيه لفظان ، منهم من يجره مجرى المصدر ، فلا يؤنثه ، ولا يثنيه ، ولا
يجمعه ، ومنهم من يجره فعلاً فيثنى ويجمع . وفي نفس السياق ، يذكر
السامرائي الفعل " كذب " الوارد في قول القدامى من العرب " كذبك الحجج " ،
أي ليكذبك الحجج أي ليثبطك ويثبطك على فعله ، فهو مقيد للحمل على
الشيء ، والأغراء به والحث عليه .

وعلياً أن نشير إلى الفعل الفرنسي " Quérir " (بحث عن ...) النادر
الاستعمال . فهو أقل استعمالاً في اللغة المتداولة من فعل " Chercher " ، ولا يستخدم
إلا في صيغة المصدر (Infinitif) بعد فعل " aller " أو " venir " أو " envoyer " .

(4) السامرائي ، مباحث لغوية ، ص : 96 .

أ - المبني للمجهول في اللاتين :

يصاغ المبني للمجهول في اللغة العربية بتغيير صورة الفعل . أما في الفرنسية ، فيصاغ المبني للمجهول (passif) من اسم المفعول مع الضميمة (copule) " être " الذي يعدّ في هذه الحال ، فعلاً مساعداً ، نحو :
" Je suis élu " (انتخبنت) .

وان ما يلفت الانتباه هو أن الفعل المتعدي ينقسم في الفرنسية - كما في العربية - إلى مبني للمعلوم (Actif) ومبني للمجهول . ولا تستخدم صيغة المبني للمجهول في لغتنا إلا عندما يكون المسند إليه (الفاعل) مجهولاً . أما في الفرنسية ، فيمكن استخدام هذه الصيغة سواء أكان المسند إليه مجهولاً أم معلوماً ، مثلاً :

(أ) في حالة عدم معرفة المسند إليه أو عدم ذكره على الأقل :

" Ce sportif sera éliminé " .

(سيقضى هذا الرياضي)

(ب) في حالة ذكر المسند إليه :

" (5) " Un enfant a été mordu par un chien "

(حرفياً : عَضَّ طفل من طرف كلب)

والأصح في لغتنا العربية أن نقول : عَضَّ كلب طفلاً .
ولكن احتكاك اللغات بعضها ببعض جعلنا نلاحظ استعمال عبارتي " من طرف " و " من قبل " بكثرة في اللغة العربية .

وهناك عبارة أخرى (أي صيغة اتحادية) وردت في كلام العرب وفي القرآن الكريم بنفس المعنى وهي " من لدن " . وإذا كان البعض يروج هذا الأسلوب إلى تأثر العربية بالفرنسية إذ كثيراً ما يقال في لغة الأندلس :

(5) - Chevalier, Blanche Benveniste, Arrivé et Peytard : Grammaire Larousse du français contemporain, p.322.

"استقبل مدير الصدوق اللغوي العالمي من طرف الرئيس . . ." فاننا نرى بأن لهذا الأسلوب وجود في القرآن الكريم . ودليلنا على ذلك قوله عز وجل :

- (1) "وايك لهلكتي الكتاب من لدن حكيم عليم" (6) .
(2) "ألو كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير" (7) .

وعليها أن نأفت الانتباه الى أن الفاعل في الآية الكريمة الثانية وهو الخالق الحكيم الخبير قد ذكر بعد وجود فعلين مبدئين للمجهول معطوفين على بعضهما البعض (أحكمت ثم فصلت) .

أما الفعل المشددي في اللغة العربية فينبى للمجهول بكسر ما قبل آخره وضم كل متحرك قبله ، وان كان ماضيا ، نحو :

- (1) "وخلق الانسان ضعيفا" (Car l'homme a été crée faible) (8)
(2) "من طابت سريرته جمدت سيرته" (Celui dont la pensée est bonne, sa Conduite est digne d'éloges) (9)

وان كان مضارعا وضم أوله وفتح ما قبل آخره ، نحو :

- (1) تَشِيدُ الرِّجَالُ الى ثلاثة مساجد
(2) وما المال والأهلون إلا ودائع . . . ولا يد يوما أن تيرد الودائع
(10) (Les biens et les familles ne sont que des dépôts confiés ; il faut bien qu'un jour les dépôts confiés soient rendus)

وان كان ما قبل آخر الماضي ألفا كباع واختار ، قلبت ياء وكسر ما قبلها ، فنقول : بيع واختير ، وان كان ما قبل آخر المضارع مبدأ كيبيع ويسقول ، قلب ألفا كيباع ويسقال :

- (6) سورة النمل ، الآية : 6 .
(7) سورة هود ، الآية : 1 .
(8) - Ahmed Bonhamouda, Morphologie et syntaxe de la langue arabe, p.381 .
(9) idom, page : 382 .
(10) idom, page : 381 .

وفي القرآن : " وأسروا اللجوى الذين ظلموا " .
وقال جل ذكره : " ثم عموا وسموا كثير منهم " (11) .

ومهما يكن من أمر ، فإن هذه الاستعمالات نادرة وأن وجد نالها آثارا في
دارجتنا الجزائرية كأن تقول العرأة الجزائرية : ما تديوليش أولادي .
وقد قال أحد الصحافيين الجزائريين (يفصح) يوم الأحد 11/08/1991
في نشرة الأخبار على الثامنة مساء ، معلقا على هجرة الألبان إلى إيطاليا ،
ما يلي : " ليست إيطاليا للدورادو الذي حملوا به الألبان " . فإن
هذه الاستعمالات جدد محدودة ، وهي بالتالي هامشية .

(2) أما إذا جاء الفعل (المسند) بعد المسند إليه المحملي (الفاعل) ،

فإنه يختلف باختلافه ، نحو :

- ... التلميذ جلس .
- ... التلميذان جلسا .
- ... التلاميذ جلسوا .

ومن الملاحظ أن مثل اللغتين ، العربية والفرنسية في عدم وجود
المثنى في التكلم ، إذ نقول في لغتنا : " نخرج " ، ونقول الفرنسيون
في لغتهم : " nous sortons " ، ولكن العربية ، وهي إحدى اللغات السامية ،
قد احتفظت بنظامرة تحقير المثنى في الغائب والمخاطب ، إذ نقول :
" مما خرجا - مما خرجتما - أنتما خرجتما " .

وقد اعتقد البعض من الأوروبيين أن تقدم الحضارة يقضي على
المثنى ، ونحن نرى ما يراه ريمون طحان حين يقول : " إن رأي موييه
(Moillot) ومن نهج نهجه موراي خاطبي " ، ووجود المثنى أو عدم وجوده
لا علاقة لما بسنة التقدم والتأخر إذ لا تصدق دراسة اللغات إلا التي

(11) أبو منصور الثعالبي ، فقه اللغة وسر العربية ، ص : 308 .

تحريتي تنظيمها واستخلاص مجموعة من القرائن الالسنية الوصفية المحضنة دون الاستعانة بعوامل خارجية عن طبيعة اللغة ، وما عملية وصف ميكانيكية اللغة الا عملية الندية لا علاقة لها بتقدم اللغات أو تأخرها " (12) .

د - التمييز بين الفعل والتركيب الفعلي في اللغتين :

لقد عرفنا في الباب الأول كيف لميز في اللغة العربية بين الفعل والتركيب الفعلي ، ولكننا نجد أنفسنا مضطرين الى ايجاز ما قلناه بطريقة أخرى حتى نتسلى لنا المقارنة .

فلو تأملنا في المفرد العربي " سيتناول الولد طعامه " ، للاحظنا أن التركيب الفعلي " سيتناول " المتكوّن من ثلاثة عناصر هي : السمين والياء وتناول . أما القطعة الأولى " سـ " ، فهي كما أسلفنا الذكر ، عنصر دال على المستشبه القريب ، فالسمن اذن ، قريبة زمنية . وأما القطعة الثانية " يـ " ، فهي دال مزوج يدل في آن واحد على المضارع والغائب المفرد والمذكر ، وأما القطعة الثالثة فهي الفعل " تناول " .

ومن الواضح أن القرائن الفعلية (الفرنسية) ، وهي وحدات مميزة تختلف عن الوحدات الفعلية التي تصف اليها وتأتلف معها ، تتوأسف مع الوحدات الفعلية تركيباً (Syntagme) . فنقول مثلاً أن " Chantait " (كان يعني) تركيب يحتوي على الوحدة المصنوية ، " Chant " (الشان) ووحدة الماضي التي لها في " Chantait " الشكل التالي " -ait " . والماضي لا يعني من حيث المبدأ الا هذا الشكل (-ait) . فلا يعني بأي حال من الأحوال الوحدة الفعلية التي لولاها لما كان له وجود . ولكن لا مانع من أن نسمي بالماضي التركيب كله ، لا الوحدة الفعلية وحدها . فنقول مثلاً : " Chanto-ra " هو مستقبل " Chanto " ، و " Chant-ait " هو ماضي ناقص " Chanto " . وهكذا دواليك .

أضف إلى هذا أنه لا بد من التمييز بين التركيب الفعلي في الأزمنة البسيطة ، والتركيب الفعلي في الأزمنة المركبة .

فالتركيب الفعلي الأول لا يحتوي على مساعد . ومثال ذلك :
خرجت - أخرج في اختلا ، و " donnait " و " marchera " في الفرنسية .
وأما التركيب الفعلي الثاني فيتضمن مساعداً أو أكثر من مساعد . ومثال ذلك : " كان يعمل " (يوحى لصائح أمه) ، " لزال يهمني " (إليه) الخ . . .
في العربية ، و " j'ai déjeuné " و " Je suis tombé " في الفرنسية .
وأن ما يهمني ملاحظته هو أن التركيب الفعلي في " déjeuné " استعمل فيه الصماد الحيازي (أي الفعل المساعد " avoir ") في حين أن التركيب الفعلي في " Je suis tombé " قد استخدم فيه الصماد الحالي (أي الفعل المساعد : être) ؛

ولو تأملنا في التركيب الفعلي " marcherai " (Je) (سأمشي) ،
للاحظنا أنه يتكوّن من الجذر (Le radical) الذي يطابق الوحدة الفعلية " marche " ، واللاحقة التي هي كل ما تبقى أعني " -rai " . فلو كانت الوحدة الفعلية ، تحفظ . دوماً بنفس الشكل الذي بدوره يأتلف مع أهيئة لاحقة ، لتمكنا دونما صعوبة من فصل الجذر عن غيره . وما دام الأمر على التقريب من ذلك ، فإنه يحدث أن يتردد الفرنسي في تحديد الجذر واللاحقة (13) .

فالفعل " chanter " يحفظ دائماً بنفس الجذر " chant " . أما الفعل " dormir " (نام) . فإنه عند التصريف يحفظها الجذور التالية :

dormi-	أو	dorme -		dor -	
dormi-r (infinitif	(المصدر)	dorm-ons	} Impé- ratif (الأمر)	Je dor- s	(أنا)
dormi-ra	} Futurs المستقبل بنوعيه	dorm-oz		tu dor- s	(تأمر)
dormi-raït				Il dor-t	(يتأمر)
					présent المضارع المرفوع

ولنتقل الى مسألة أخرى يطرحها أحيانا التركيب، الفعلي العربي .
ولنتضمن في الأمثلة الثلاثة :

- (1) يذهب الطالب الى المكتبة
- (2) سيذهب الطالب الى المكتبة
- (3) سوف يذهب الطالب الى المكتبة .

فاننا نلاحظ أن المثال الأول يحتوي على مضارع هو " يذهب " والمضارع كما هو معلوم يدل على حصول عمل في زمن التكلم أو في المستقبل . و " يذهب " اذن يمكن كما سنرى ذلك فيما بعد ، أن يترجم الى الفرنسية بالحاضر أو بالمستقبل . وإذا انتقلنا الى المثال الثاني فاننا نجد أن " يذهب " وهي صيغة المضارع ، قد سبقته السين أي القرينة الزمنية التي تخلص الفعل للدلالة على المستقبل القريب . فـ (سيذهب) لا يمكن أن يترجم الا بالمستقبل القريب المسمى بـ " Futur proche " . ولو انتقلنا الى المثال الأخير " سوف يذهب " لوجدنا أن المضارع ، هذه المرة ، سبقته قرينة زمنية أخرى وهي " سوف " التي توهم جعل حدوث الفعل الى بعيد في المستقبل . فيكون التركيب الفعلي " سوف يذهب " دالا على المستقبل البعيد ، وهو ما يسمى بالفرنسية : " Le Futur lointain " .

هذه القرائن الزمنية والقرائن الفعلية في اللغتين :

وأينما في الباب الأول أن القرائن الزمنية هي القرائن التي تتصل بالفعل العربي لتزود به بالدال الزمني ، ورأينا أن الفصل بصيغته المجردة المختطفة لا يدل في لغتنا إلا على الأزمنة الطبيعية الثلاثة : الماضي والحاضر والمستقبل ، وهذا خلافاً للغة الفرنسية التي تصرّ بالصيغ الفعلية نفسها عن الزمن . فالقريضة الفعلية هي الوحدة اللحوية (morphème) التي تصاحب الفعل الفرنسي وتدل على الزمان . ويؤكد ما رتبيناه أن القرائن الفعلية الفرنسية هي وحدات منوية (monème) أعني وحدات تختلف عن الوحدة المنوية الفعلية التي تحددها والتي تنضم إليها بطريقة وثيقة ، فإن " chantait " (كان يغني) توكيسب فطلي يحتوي على وحدة منوية أولى هي " chant " (غناء) . ووحدة الماضي الذي أخذت منها شكل " -ait " (14) ، فالوحدة المعجمية الفعلية الفرنسية تكون حتماً مرفوقة بقريضة فعلية دالة على الماضي " أو " الماضي الناقص " (Imparfait) ، الخ . . . وأما القرائن الفعلية التي تصلينا في اللغة العربية ، ففي القرائن التي لا يمكن أن يكون لها وجود إلا بوجود الفعل ، ونسني بذلك :

① الضمائر المتصلة بالفعل الماضي من لواحقه ، نحو :

خرجت / ت - خرجت / يا - خرجت / متاً
 خرجت / وا - خرجت / ن

فإننا نلاحظ أن هذه الضمائر تقوم بدور المسند إليه .

② الضمائر المتصلة بالفعل المضارع من سوابقه ، نحو :

تخرجت / ين - تخرجت / ان - تخرجت / ون
 ↙ ↘ ↙ ↘ ↙ ↘
 مسند إليه مسند إليه مسند إليه

فإننا نلاحظ أنها دوال تقوم بدور المسند اليه ، وهي تمثل علامة المضارع . ويتعين علينا أن نشير الى أننا لسنا - في بحثنا هذا - في حاجة الى الحديث عن المضار التي تتصل بالفعل وبغير الفصل من مثل : يضرب / ه - كذا بـ / ه ، الخ . . .

وإن ما يلفت الانتباه هو أنه لا يمكن في اللغتين (العربية والفرنسية) عطف قرينة زمنية أو فعلية على قرينة أخرى زمنية أو فعلية مباشرة . فلا بد من إعادة ذكر الوحدة المعجمية الفعلية ، نحو قولنا :
" لم تذهب ولن تذهب الى فرنسا " .

ونحو قول الفرنسيين : " Le rebelle résiste et résistera encore " (ان المتمرد يصرم وسيظل صامدا) . فلاحظ أن القريبتين " لم " و " لن " في اللغة العربية ، لم يكن عطفهما ممكنا الا بفضل تكرار الفعل " ذهب " (لم تذهب ولن تذهب) . لأن " لم " تعقب معنى المضارع " تذهب " الى الماضي في حين أن " لن " تخلص " تذهب " للاستقبال . ولكننا كثيرا ما نلاحظ اليوم في القصص والمقالات العربية ، " لم " معطوفة على " لن " . ونذكر على سبيل المثال ما قاله نجيب محفوظ في السكريدية : " حياته لم ولن تنقطع " (15) . ونعود الى هذه المسألة في الصفحة : 7 .

أما في الفرنسية ، فإننا نلاحظ أن عطف القريبتين الفعليتين الدالتين على " الماضي " و " المستقبل " لم يكن ممكنا الا بفضل تكرار الفعل " resister " . وما تختص به الفرنسية هو أن القرينة الفعلية لا تختلط بخصائص الفاعل المحتملة التي يمكن أن تكون مستمدة به . ففي قولهم : " nous cherchons " (نحن نبحث . . .) و " nous chercherons la solution " (سنبحث عن الحل) ، فالفاعل له دال مستقطع nous nous . أما

أما القريبتان الدالتان على " الحاضر " و " المستقبل " ، فلكل منهما دال خاص إذ للأولى (ons) دال منعدم ، وللثانية (rons) دال مر * * . والتراكيب الفعلية الفرنسية التي تختص بوجود القريضة الفعلية مع ضمير فاعل ذي دال متقطع هي : " nous...ons " ، و " vous....ez " (16) ، في جميع الأزمنة .

ومما لا بد منه ، هو أن يميز في هذه اللغة الأجدبية بين القريضة الفعلية وما يسمى في أغلب الأحيان باللاحقة . ففي الفعل " finir " (أنهي) ، يوجد الأصل (أو جذر الكلمة " fin " (نهاية) . والجسز المتقطع (أن السلا حقة) وهو " ir " . وفي " finirons " (سألني) ، هناك في الحقيقة اجتماع القريضة والفاعل (r/ons) والقريضة الفعلية هي وحدهما التي ترتبط بالفعل ارتباطاً وثيقاً ، نحو : " dit - e " بالنسبة إلى الماضي الناقص (L'imparfait) . فالقريضة الفعلية لها قيمة تختلف اختلافاً كبيراً عن الفاعل . وإنما عندما نتحدث عن القريضة الدالة على " الحاضر " أو " الماضي الناقص " ، لا نفكر في تركيب متألف من صيغة المثبت (L'indicatif) ، ومن زمن " الحاضر " أو " الماضي الناقص " . فمثل هذا التقاطع إلى صيغة وزمن ، لا يمكن في الحقيقة أن يستساغ إلا إذا كان لكل زمن ، وكل صيغة قيمة ثابتة في جميع الاستعمالات ، وهذا ما لا يحدث .

وأضافة إلى ما تقدم ، فانه ينبغي أن نشير إلى أن لكل فصل فرنسي صيغة . وعليه ، فإنه يمكن لنا أن نعتبر كل صيغة تركيباً مكوناً من وحدة معنوية فعلية ، ومن مجموع " يمكن أن يكون مزيجاً من الفاعل المتقطع والقريضة الفعلية . فالجذر (le thème) هو دال الوحدة المعنوية الفعلية . أما اللاحقة ، فهي مزيج من الدال المتقطع والقريضة . فالصيغة " chantions " (كنا نغني) ، يمكن تحليلها إلى جذر هو " chant " ، ولاحقة هي " ions " . وعليه ، نلاحظ أن " ions " متألف بدوره من دال الفاعل المتقطع " ضمير المتكلم - الجمع " ، ومن القريضة الفعلية الدالة على " الماضي الناقص " أو " المتعلق " .

وان دراسة الأفعال في اللفتين : المركبة والفرنسية ، لابد من أن تميّز بين دراسة المصيغ ، ودراسة الاستعمالات . فلا يتهفي الخلط بين زمن الفعل وبين صيغة الفعل والقريضة . ففألبها ما ينتج المعنى ، لا عن اختيار الصيغة الفعلية ، ولكن عن السياق ، فقولك مثلا " ادخل " ، أو قول الفرنسي " Entrez " ، بإمكانه أن يكون محبّرا عن أمر أو التماس أو نصيح ، الخ . . . وفألبها ما يسمح سياق الكلام بمعرفة ذلك . وهذا مما يجعلنا نعتقد أنه ليس هناك ما يمنع من وجود معان تكون بقصد السياقات المختلفة .

وتختلف الفرنسية عن المركبة ، فيما يتعلق بالنظام الفعلي المبني على تقابل الأشكال البسيطة والأشكال المركبة : فكل شكل بسيط يطابقه شكل مركب ، وفي أغلب الأحيان شكل مركب مضاعف (surcomposé) ، نحو : " Je chanto - J'ai chanté - J'ai ou chanté " . فكل شكل مركب يحبر عن عمل منجز ، وكل شكل بسيط يحبر عن عمل لم ينجز بعد . ويكون الشكل الفعلي مركبا تركيبيا مضاعفا عندما ينطوي على اسم مقمول مسهوق بفعل مساعد متزدوج مثل الأشكال التالية :

(1) - Nous avons été déçus

(خيبت أماننا)

(2) - Il a été malade

(قد كان مريضا)

(3) - J 'ai été admis...

(قد قبلت)

ومن هذه الأمثلة ، نلاحظ أن الفعل المساعد ، ما هو إلا الشكل المركب للفعل المساعد الذي يتطوّل به بناء الفعل . ويرى مارتنيه أنه لا بدّ من التمييز (في اللغة الفرنسية بطبيعة الحال) بين الأزمنة

البيسطة والأزمة المركبة . فالأولى تركيبات بدون فعل مساعد ، والأخرى تحتوي على فعل مساعد واحد أو على أكثر من ذلك (17) .

ويسرى السامرائي من جهته ، أن " تركيب الأزمة (في اللغة العربية) ، يفرضي بنا إلى التخالف فيها ، وذلك في الجملة الواحدة كأن يكون الحدث الأول مشيراً إلى الماضي في حين أن لصيغته الآخر يكون مستقبلاً ، بالإضافة إلى الأول . وهذا ما اصطاح عليه في الفرنسية مثلاً بتوافق الأزمة " (18) . وفي هذا الباب بالذات ، تلفت انتباهنا أقوال الجاحظ في " البخل " : " وقد كان هذا المذهب صار معدماً كالسب " (19) " وأنه كان إذا صار في يده " (20) ، " ولو قد ذهب هو لا الثقل ، لقد أكلنا " (21) ، الخ . . . ومن الملاحظ أن هذه الأساليب قد اقترضت ، فلم يجد هناك من ينسج على منوالها . وما دام للسياق دور هام في تحديد الزمن في اللغة العربية ، فإنه لا بد من اللجوء إليه كل مرة . وأن هذا ما دفع ريمون طحان إلى أن يقول : " وقد تلجأ إلى السياق لتعيين الزمن أو إلى ظروف الأزمان الغربية عن تعظيم الأزمة وبتأنيدها ، والتي تساعد على ضبط مفهوم الزمن أو إلى التوافق الزمني الذي يقوم بعملية تقعيد الزمن وتحويله إلى عملية صوفية بحتة ، وذلك حين نستعمل فعلين مختلفين صيغة في الجملة الواحدة ، ويشير أحدهما إلى الماضي في حين أن ثانيهما يشير إلى المستقبل أو العكس (22) ، نحو :

- ① ذهبت إلى المحطة لأسافر .
- ② رأيتهم يخرجون فرأى وجعاً .
- ③ أشرت إليه أن أسكت .

(17) - André Martinot, Grammaire fonctionnelle du français, page 90.

(18) السامرائي ، الفصل زمانه وأبنيته ، ص : 26 .

(19) الجاحظ ، البخل ، ص : 51 .

(20) نفس المرجع ، ص : 207 .

(21) نفس المرجع ، ص : 241 .

(22) ريمون طحان ، الأسنوية العربية ، ص : 9 - 148 .

وعلاوة على كل ما تقدم ، فإننا في كلتا اللغتين نلاحظ أنه ليس لجميع القرائن نفس الاستعمال الواسع . فيمكن أن يعتبر استعمال بعضها جزءاً لا يتجزأ من استعمال جميع الناطقين بالعربية أو الفرنسية ، وذلك كتابة أو مشافهة . فمذة القرائن - تحديد - إذا صح القول ، قرائن العربية أو الفرنسية الموحدة نحو : ما خرج (في العربية الشفاهية) . فان " ما " مستخدمة في التعبير الكتابي والشفاهي على السواء ، على عكس " لم " الذي يؤدّي نفس المعنى ولكنه لا يستعمل إلا في الكتابة . ومن الملاحظ أن كثيراً من الفرنسيين ، مثلاً ، لا يستعملون القرينة الدالة على الماضي البسيط كتابة أو مشافهة . وهناك من يستخدم هذا الماضي كتابة فقط في حين أن البعض يلجأ إليه مشافهة أما رغبة في ذلك ، وأما محاكاة للشعر (23) .

و بعد هذا كله ، فانه يمكن أن نشير إلى أن القرائن تتعارض في اللغتين مع بعضها البعض . فاختيار قرينة يقضي القرائن الأخرى ، وتبديل وحدة من الوحدات يغير معنى الجملة كلها . وليس هناك اختيار ممكن للقرينة الفعلية (في الفرنسية) أو للصيغة الفعلية (في العربية) في بعض السياقات ، ومثال ذلك في لغتنا " لم أذهب إلى فرنسا " . فاستعمال القرينة الزمنية " لم " من المفروض أن يقضي استعمال " لن " التي تفيد المستقبل . غير أننا كثيراً ما نجد في القصص والمقالات الصحفية " لم " معطوفة على " لن " . ومثال ذلك قول نجيب محفوظ في السكرية : " حياته لم ولن تنبسط طمغ " (24) . وهذه ظاهرة قائمة في العربية اليوم . ومن المعلوم أنها بكثرة الاستعمال ستصبح ظاهرة مألوفة ، فتحل محل قاعدة يستخدمها أبناء العربية غير شاعرين بما قاله الأقدمون . وإذا لجأنا في العربية إلى الروا بط (Connocteurs) ، وقد فصلنا ذلك في الباب الأول - تفصيلاً - فانه لا يكون لنا مجال لاختيار

- Maurice Rat, Le Verbe, page 94. (23)

(24) نجيب محفوظ ، السكرية ، ص : 26 .

السيففة الفعلية ، نحو : " جئت من أجل أن أتعلم " . ومثال ذلك في الفرنسية " Il faut que tu viennes " (عليك أن تأتي) . فاختيار "المتعلق" (Le Subjonctif) حاضر أو ماض يفرضه السياق " Il faut que " . كما أن اختيار الشرطي (Lo Conditionnel) - حاضر أو ماض - يفرضه Au cas où " في قولهم : " Au cas où tu serais parti, laisse-moi une clé " (إذا ما ذهبت ، اترك لي مفتاحاً) . فلا يمكن لا يمة قرينة أخرى أن تظهر في مثل هذا السياق .

وإنه لمن المنسبر عطف قرينة على أخرى دون عنصر سياقي إضافي في كلتا اللغتين . فإنا إذا تمكنا مثلا من عطف الماضي التام قصص على الماضي المركب (Passé Composé) أو الأتم (Plus-quo-parfait) . فلا بد من علامة إضافية (ظروف ، أسماء مستقلة ، وحدات موظفة) ، لمصطف ماض ناقص على مستقبل (25) نحو : " Autrefois, je travaillais dans cette ville et nous y retournerons un jour " (26)

(كنت ، فيما مضى ، أعمل بهذه المدينة ، وسنعود إليها في يوم من الأيام) . ومثل هذا كمثل قولنا : " كنا بالأمس قد زرنا هذه الآثار الرومانية التي تحدث عنها وسأعود حتما لا زورها قبل قدوم الشتاء " . فإدراج التركيب المستقل (Syntagme autonome) " Autrefois un jour " ، قد جعل العطف ممكنا ومستساغا . ولنفس النتيجة قد حصلنا عليها باستخدام " بالأمس " و " قبل قدوم الشتاء " .

وهنا نجد أنفسنا مضطرين إلى الإشارة إلى أن الأصل في الوحدة المستقلة " Autrefois " أو غيرها ، أن لا تلزم موضعا معيناً في الملفوظ . فحينئذ أقول ، على سبيل المثال : " سأزورك غدا " ، فإنه بإمكانني أن أقول : " غدا سأزورك " .

(25) - Mahmoudian, Pour enseigner le français, page 263.

(26) idem.

وإنه ليس من الخوِّيب أن تحتوي قرائن عديدة (أزمنة في العربية، وفعلية في الفرنسية) على نفس الدلالة في بعض السياقات، نحو قولهم:

① - J'aurais aimé qu'il vionne.

(كنت أودُّ أن يأتي)

② - J'aurais aimé qu'il vint.

(نفس المعنى)

ونحو قولنا:

① ما تحدثت
② لم أتحدث. (27)

فاختيار هذه القريضة أو تلك لا يميِّز معنى الجملة. فإن "ما" أدت في الجملة الأولى، ما أدته "لم" في الجملة الثانية من معنى. ونفس الشيء نلاحظه في الجملتين الفرنسيتين: فنفس المعنى نحصل عليه باستعمال "المتعلق" أو "الماضي البسيط".

والمسألة منوطنة، في الواقع، بتوعات أسلوبية لا غير - وهي توعات لا يلجأ إليها تفسير المعنى، ولكن ما تميز به كل قريضة هو أن مجموع استعمالاتها ودلالاتها، في كلتا اللغتين: العربية والفرنسية، لا تغطي مجموع استعمالات ودلالات قريضة أخرى. ومن هنا، يمكن لنا أن نسوِّد أنه من الضروري الاستطلاق من فهم وتحليل سياق الكلام. فالتأمل في هذا السياق سيسمح لنا بالوقوف على القوالب الممكنة والقوالب المستحيلة، كما يسمح بالتصرف على الاختيارات الممكنة بين القوالب الصالحة للتعبير عن تجربة معينة. ويتيح لنا كذلك الوقوف على التفسيرات الدلالية للقرائن من سياق إلى آخر. ومهما يكن من أمر، فإن أبهة دراسة، لا بدّ لنا من أن نأخذ بعين الاعتبار العدد الدائل من الاستعمالات، سواء أكان ذلك لدى جماعة ضيقة أم لدى جماعة لسانية موسعة. وأخيراً، فإنه لا ينبغي الاكتفاء بالبنى الجامدة والمقولة.

(27) سبق أن تحدثنا عن هاتين البديلتين في صفحة: 76

وما دامت الاستعمالات مختلفة ، فإن قيمة بعض القرائن تستفيرو وتتوسع حسب النظام المعتمد . فلا يستخدم المتحدثون في كتابنا اللغتين ، نفس القرائن حتى في نفس الظروف . ولا شيء من أذن - يدفعنا الى أن نفرض أنه كان للجميع تجارب متشابهة للافادة والتبليغ (ما تحدثت - لم أتحدث) .

وعلينا في هذا المضمار أن نؤكد أنه من العسير أن نذكر في الفرنسية قريضة فعلية الى زمان وصيغة (28) . فلا يمكن لنا الا أن نقر ببعض الخاصيات التركيبية لمجموعات من القرائن ، مثل الأشكال التي ليس فيها / x / والواردة بعد " si " (لو . . .) الدالة على حادث مفترض . فمذه الأشكال التي يمكن تسميتها بالمثبت (L'Indicatif) ، تتعارض مع القرائن التي فيها / x / (المستقبل والشرطي) . ويتضح لنا من خلال أمثلة عديدة أن تعريف المثبت " بصيغة الواقع " ، وتعريف الشرطي " بصيغة وقوع الحدث " تحريفان متناقضان (29) . فدراسة الأفعال ، لا بد من أن تميز بين دراسة الصيغ ودراسة الاستعمالات . فلا ينبغي الخلط بين زمن الفعل وبين صيغة الفعل والقريضة لأن غالباً ما ينتج المعنى كما أسلفنا الذكر ، لا عن اختيار الصيغة الفعلية ، ولكن عن السياق .

فلو قلنا في لغتنا : " سيسافر الفائزون " ، لا أدركنا أن :

① السين : قريضة مؤنسية ، لا تدخل الا على المضارع الذي هو في هذا المثال " يسافر " . ولا يجوز أن يفصل بينهما وبينه فاصل كأن نقول مثلا : سأنا أسافر (غير ممكن) .

② يسافر : صيغة المضارع . والمضارع يدل على الحاضر والمستقبل . فان قلت : يسافر الى مصر ، كان معنى ذلك أنه يسافر الآن أي في الحاضر ، أو يسافر بعد أيام أي في المستقبل .

- Mahmoudian, Pour enseigner le français, p.249. (28)

idem, Page 275.

(29)

(3) زمن الفعل في مثالنا هو المستقبل القريب لأن السنين
توهم جل حدوث الفعل إلى قريب في المستقبل فقلنا " عندما قلنا " سيسافر
الفائزون " حددنا زمن السفر . ويمكننا أن نكتب هذا كالتالي :

صيغة الفعل + القربة ← زمن الفعل (في العربية) .

ولو أمعنا النظر في قوله تعالى : " أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه
إلى بلد ميت ... " (30) للاحظنا أن " فسقناه " مجاز أي فسقناه .
فالسباق اللغوي هو الذي أفاد زمن المستقبل . ونحن الشئ يمكن أن
بقوله في الآية الكريمة التالية : " ... انذار الذين يخشون ربهم
بالغيب وأقاموا الصلاة ... " (31) (مجازه و يقيمون الصلاة) .

وما يمكن استخلاصه من كل ما تقدم ، هو أن :

(1) القرائن القمائية تخضع في وجودها للوجود الفعل . ومن بين
هذه القرائن في اللغة العربية الضمائر . وما ينبغي أن نلاحظه هو أن
هناك فرقا كبيرا بين القرائن الفعلية الموجودة في كلتا اللغتين ، والقرائن
الزمنية التي لا تحدث عليهما إلا في اللغة العربية ، والتي قلنا أنها تتصل
بالفعل لتزوده بالذات الزمني ،

وتوضع الضمائر على وجه العموم قبل الفعل الفرنسي عندما تكون
فاعلا أو مفعولا به إلا حين استخدامها مع فعل الأمر ، نحو :
" J'ousser-la " وعندما يكون الضمير مفعولا به غير مباشر (Complément d'objet indirect)
يسبق كذلك في الغالب قبل الفعل ، ويبيضي الانتباه دائما إلى
صيغة الأمر ، نحو :

(1) Il lui dit .

(قال له)

(2) Dis-lui de partir

(قل له أن ينصرف)

(30) سورة فاطر ، الآية : 9 .

(31) نفس السورة ، الآية : 18 .

وعندما يستخدم الفرنسيون مع الفاعل عدة ضمائر بصفة مفعولات ، فإن هذه الضمائر تخضع لترتيب خاص بالنسبة لبعضها بعضاً كما نرى في الجملة التالية :

Je le lui donne ...

(أمدحه إياه ..)

ولا يوجد في العربية الفصحى ما يقابل ضمائر الحياسة (pronoms possessifs) الفرنسية ، ولكن يقابلها في عامياتنا العربية : " أمتاع " أو " أديال " (في الجزائر) أو " بستاع " (في مصر) ، نحو :

① - Ce Cartable est le tien

(هذه المحفظة هي محافظتك)

② - Cette valise est la mienne.

(هذه الحقيبة من حقيقتي)

③ - Ce livre est le sien.

(هذا الكتاب هو كتابه)

والضمائر في اللغة العربية أنواع أهمها الضمائر المنفصلة والضمائر المتصلة . والضمير عند النحاة ما دل على متكلم كأننا ، أو مخاطب كأنت ، أو غائب كهو . والضمير المنفصل هو ما يصح الابتداء به كما يصح وقوعه بعد " الا " ، نحو :

① أنت مجيد ...
② وما اجتهد الا أنتم . (32)

وما يمكن ملاحظته في الضمائر المنفصلة المستعملة في تصريف سيف الأفعال ، هو أنه يجوز تسكينها " مو " بمشد السوار والفاء ، نحو :

① ومو بالاشق الا على شم دنا فتبدلي . (33)

② فموفي عوشة واضية في جنة عالية . (34)

وقد يجوز تسكين هاء " هو " كذلك - بعد لام التوكيد ، نحو :

" ان العلم لمو حياة للاسان " (أو : لمو حياة للاسان) ،

وجاء في معجم الشامل أن " هذا الاستعمال قليل وتحريك الهمزة في " هو " هنا أفصح " . (35)

والضمير المنفصل في لفتنا قسما :

① قسم مختص بالرفع وهو اثنا عشر ضميراً موزعة بين المتكلم

والمخاطب والغائب ، نحو : أنا سافرت .

واللها في العربية - على عكس الفرنسية - استطرح أن نستغني

عن هذه الضمائر في تصريف الأفعال . فبدلاً من أن أقول : " أنا سافرت " أكتفي بـ " سافرت " .

② وقسم مختص بالنصب وهو اثنا عشر ضميراً موزعة كذلك

بين المتكلم والمخاطب والغائب كما يلي :

أ - للمتكلم : أيّاي ، أيّانا .

ب - للمخاطب : أيّاك ، أيّاك ، أيّاكما ، أيّاكم ، أيّاكم .

ج - للغائب : أيّاه ، أيّاهما ، أيّاهما ، أيّاهم ، أيّاهم .

و " أيّا " في كتب النحو ، ضمير منفصل منصوب لتشمل به جميع

ضمائر النصب حرفاً يتراد بها تمييز صاحب الضمير : " أيّانا ، أيّاكم ، أيّاه ،

الخ . . . " ، وذلك لحوقه تعالى : " أيّاك نعبد وإيّاك نستعين " (36) ،

(33) سورة النجم ، الآية : 7 .

(34) سورة المحاقبة ، الآية : 21 .

(35) محمد سعيد أسهر وبلال جليدي ، معجم الشامل ، ص : 930 .

(36) سورة الفاتحة ، الآية : 5 .

أي " نخصك بالعبادة من توحيد وغيره ونطلب المحوثة على
العبادة وغيرها " (37)

أما الضمير المتصل في العربية فهو ضمير لا يبدأ به ولا يقع إلا
في آخر الكلمة ولا يمكن اللطق به وحده لأنه غير مستقل بنفسه
عن عامله ، ولا يتفصح بعد (الا) في ضرورة شعرية . وأن ما ينبغي أن يسترعى
الانتباه هو أن كل موضع يصح فيه الضمير المتصل ، لا يجوز العذول
عنه إلى الضمير المتفصل ، فنقول : " أخرجته من الصف " ، ولا نقول :
" أخرجتاه " . فإذا لم يمكن اتصال الضمير ، تعين انفصاله ، وذلك
في مواضع كثيرة ذكرت في كتب النحو والصرف .

وأضافة إلى ما تقدم ، فإنه لا بد من أن نشير إلى وجود ضمير غير
معيّن (Pronom indéfini) في اللغة الفرنسية ، وهو مع الفعل يطابق
تقريباً صيغة المبني للمجهول في اللغة العربية ، نحو :

① - on dit

(يقال)

② - on raconte que...

(يحكى أن)

والفعل الذي يستعمل مع هذا الضمير (on) يكون دائماً مفرداً نحو :

" on ne voit rien "

(لا يرى شيء)

والفعل في اللغة العربية ، إذا تجرد من القرائن الزمنية ، كان إما منقطع
الحدوث في الماضي أو غير منقطع الحدوث في المضارع ، نحو : " رجسح ،
يرجع " . أما إذا اتصلت بالماضي أو المضارع قرينة زمنية ، فالفعل ،

(37) جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجمال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر
السيوطي ، تفسير الجلالين ، ص : 2 .

في هذه الحال ، يبدل على زمن معين ، نحو : " سأذهب الى فرنسا " .
فالمضارع (أذهب) لم يعد دالاً على الحاضر والمستقبل ، فهو ، بفضل
القرينة الزمنية " ست " ، قد أصبح يدلّ على المستقبل القريب ،

ولا بد من أن نؤكد أن وظيفة المسند اليه ضرورية للمسند
(الفعل) ، وذلك لأن المسند اليه يكون مع المسند القول الأدي
(L'énoncé minimum) . وأن ما يسترعي الانتباه هو أن المسند اليه الضروري
في العربية ، غير مستعمل عن الفصل ، وذلك خلافاً لما نجده في
الفرنسية ، فالمسند اليه متضمن في الفعل العربي نفسه كشمسة
بارزة (سألت ... ، سألوا ...) تارة - وكسمة مقدمية ... تارة أخرى
(سأل) . وينبغي أن ننظر الى المسند اليه من الناحية التركيبية
(أي من ناحية كونه واجب الوجود) ، لامن الناحية الدلالية ، فليس
من الضروري أن يكون المسند اليه هو الذي يفصل الفصل (مات الأب ...) .
ومن هنا ، يبدو أن التعريف التقليدي القديم " الفاعل هو اسم مرفوع
تقدمه فعل ودل على الذي فعل الفصل " ، غير صحيح (تعرضت الدكاكين
والمنازل الى عمليات النهب والسلب) . " فالفعل ، كما يقول مارتينييه ،
هو الذي يحدّد معنى المسند اليه " (38) . وباستثناء كل من المسند
والمسند اليه ، فان بقية العناصر الأخرى ، تعتبر فضلات ، والفصلات
بطبيعة الحال - لا دخل لها في تحديد القول الأدي ، فهي من الناحية
التركيبية ، زائدة ، وذلك لأن القول الأدي ، في كلتا اللغتين العربية
والفرنسية ، يتحقق بالمسند والمسند اليه فقط . والقول الأدي الماكوف
والمتواتر في اللغة الفرنسية هو الشقول المتألف من لفظين يسطويان
على نواة فعلية . فحذف الفضلات في :

(39) " En automne, les mouettes reviendront sur les bords du fleuve "

(ستعود النوارس الى ضفاف النهر ، في الخريف) .

(38) - Martinet, Grammaire fonctionnelle du français, page 158.

(39) - Mahmoudian, Pour enseigner le français, page 146.

يقدم لنا الدليل على ذلك . فلم يسبق من الجملة كلها بعد حذف الفضلات ،
الأ " Les mouettes reviendront " . ثم ان أداة التعريف " les " أو غيرها
من القرائن ضرورية لاستعمال " mouettes " ، اللهم الا اذا كان هناك
عطف " غويان " على " نوارس " ، مثلا في قولهم : " mouettes
" ot corbeaux " ، غير أن أداة التعريف هذه لا تقوم بأي دور في العلاقة
القائمة بين " mouettes " (نوارس) و " ستمود " ، وهي علاقة
أساسية (40) .

ولو تأملنا في قولنا : " سافر الأب الى بلاد نائية " ، لا أدركنا
أن عبارة " الى بلاد نائية " ، ضرورية ليكون معنى الجملة تاما ، الا أنها
لا تعتبر جزءا من القول الأدي .

وأذا كنا نحن العرب ، نعتبر كاد و طفق وكان ، الخ . . . أفعال مساعدة ،
فإن اللغويين الفرنسيين قد أدرجوا " aller " (41) (ذهب) في جود القرائن ،
ولكلهم اشتروا أن يكون حاضرا أو ماضيا ناقصا مضافا الى المصدر .
وانه يمكن لنا بالتفصيل أن نقول ان " aller " لقد فقد قيمته الفردانية
(Valeur lexicale) في قولهم : " Le spectacle va commencer à 7 heures " (42)
(سيبدأ المشهد على الساعة السابعة) . والملاحظ أن هذه القيمة الفردانية
كانت تميزه في قولهم : " (43) " Il dîner chez son ami " (سيدمى
لتناول طعام العشاء عند صديقه) ، فان " aller " في المثال الأخير ،
ينألف مع جميع القرائن الفعلية :

(1) - Il allait dîner chez son ami .

(كان ذاهبا لتناول طعام العشاء عند صديقه)

- idem. (40)

- Mahmoudian, Pour enseigner le français, page 253. (41)

- idem. (42)

- Idem, page 254. (43)

② - Il ira dîner chez son ami.

(سيذهب لتناول طعام العشاء عند صديقه)

③ - Il sera allé dîner chez son ami.

(يكون قد ذهب لتناول طعام العشاء عند صديقه)

④ - Il est allé dîner chez son ami. etc...

(لقد ذهب لتناول طعام العشاء عند صديقه)

أمّا القول الأول ، فإن "الماضي التام" (إضافة إلى الحاضر بطبيعة الحال) ،

موجوده ، الذي يأتلف مع "aller" " Le spectacle allait commencer à 7 heures"

وإننا لو أمعنا النظر في المثالين التاليين المذكورين سابقاً :

① - Le spectacle va commencer à 7 heures

(سيبدأ المشهد على الساعة السابعة)

② - Le spectacle allait commencer à 7 heures.

(كان المشهد سيبدأ على الساعة السابعة)

للاعتناء أن "aller" (ذهب) لم يعد ينطوي على معنى "الحركة" (44) الذي
لستشفه في المثال الآتي :

" Il va dîner chez son ami."

(سيذهب لتناول طعام العشاء عند صديقه)

ويجوز علماء اللغة الفرنسيين أنه بالامكان تشبيه "aller" بوحدة
لحوية ، كما أنه بالامكان اعتباره قرينة فعلية . ويستعمل فعل الذهاب
(aller) قبل مصدر من المصادر للدلالة على المستقبل القريب ، نحو :
" Je vais écrire " (سأكتب) . وفي هذه الحال ، فإنه يشبه السين ، تلك
القرينة الزمنية التي تلصق بالضارع من مقدمته ليتعين معناها في زمن المستقبل
القريب ، نحو : ستعلم أن العمل هو مصدر الثروة الوحيد .

والنا للاحفظ دائما في جميع الأشكال المركبة الفرنسية ، وجود عنصر من عنصرين القريضة قبل الوحدة المعجمية الفعلية ، وقد يفصل عنه أحيانا - عند الاقتضاء - نحو : " Il a longtemps cherché " (بحث طويلا) و " Il va bientôt manger " (سيأكل (قريبا)) .

أما العنصر الثاني - وهو المصدر أو اسم الفاعل أو المفعول - ، فهو يأتي بعد الوحدة المعجمية الفعلية ، وبالنسبة إلى جميع الأفعال ، فإن المستقبل التركيبي (Futur périphrastique) يتكون باستعمال الفعل المساعد (aller) ، نحو :

" Il va rencontrer les concessionnaires d'automobiles " .

(سيدرس ليلاقي بوكلاء السيارات) .

⑥ الحدث والزمن في اللاتين : العربية والفرنسية :

لا يزال مفهوم الحدث شبه مجهول في التعليم الفرنسي (45) . فمذا المفهوم متعلق بالجاز الحدث ، ولكل حدث ، كما قلنا ذلك في الفصل الأول ، مدة تقنع بين لحظتين (أ) و (ب) .

وللتأمل في القولين التاليين :

① - Le chauffeur conduisait vite .

(كان السائق يقود (سيارته) بسرعة)

② - Le chauffeur avait conduit vite .

(كان السائق قد قاد (سيارته) بسرعة)

(45) - Georges Court, La grammaire nouvelle à l'école, p. 109.

فمذا الحدثان يجدان التعبير عنهما في تقابل المجموعات الزمنية البسيطة والمجموعات المركبة ، نحو :

(أبرم) / je conclurai / (أبرمت) / j'eu conclus / (أبرم) / Je conclus
(أكون قد أبرمت) / j'aurai conclu .

فالمجموعات المركبة الفرنسية تقدم الحدث كمنجز ، والمجموعات البسيطة تقدمه على أساس أنه غير منجز أو في طريق الانجاز . فمذه هي الميزة الجوهرية التي يمتاز بها تقابلها . والبحث عن ذلك في الكتب المدرسية يصح من العبث ، لأنها لا تصير له أي اهتمام . وعلى كل حال ، فإن الفرق بين العربية والفرنسية واضح جلي في هذا المضمار ، لأن الفعل الماضي - في لغتنا - يدل على الحدث المنجز في حين أن المضارع يدل على الحدث غير المنجز أو الذي هو في طريق الانجاز ، نحو : سافر / يسافر . فالتقابل ، في العربية قائم بين الماضي والمضارع ، لا بين المجموعات المركبة والمجموعات البسيطة . وليس هذا معناه أننا نكسر وجود المركبات في اللغة العربية . ولقد - في هذا الصدد - إلى ما ورد في كتاب البخلاء للجاحظ من أمثلة عديدة ذكرنا بعضها فمهما سبق ، وعلينا أن نشير إلى أن القريضة (الفعلية في الفرنسية ، والزمنية في العربية) ليست هي وحدها التي تميز في كلتا اللغتين ، من الناحية الزمنية ، الحدث أو الحال التي يصفها الفعل . فقد تتدخل بعض العناصر كالظروف أو ما يعرف في علم اللغة بالوحدات المستقلة (كالبارحة وأمس ، الخ . . .) ، والتراكيب الموظفة (في هذا الصباح ، في المساء - dans la soirée) وموشرات الارتباط مثل " après que " (بعد أن) . ومهما يكن من أمر ، فالمنجز " يكون دائماً في تقابل مع " غير المنجز " ، ولكن علينا أن نقر بأن من بين جميع القرائن الفعلية في اللغة الفرنسية ، فالمنجز هو الذي يزخر بالقيم الأكثر تبايناً .

وتوجد في العربية والفرنسية وسائل كثيرة للدلالة على المنجز
بوضوح تام ، نحو قولنا : " البناء قائم " . ويظهر " المنجز في قول
الفرنسيين مثلاً : " Ayant parlé, il s'assit " (بعد أن تحدث ، جلس) .

أما مجرى الحديث ، فيتجلى في قولهم : " La digale ayant chanté
tout l'été " (ان زير الحصاد ، بعد أن غنى الصيف كله ...) . ولا يعترف
اسم الفاعل والفعول إلا قيمة المنجز ، ما لم يدمج كل منهما في التركيب الفعلي
للتعبير عن وحدة " المبني للمجهول " ، نحو :

" La maison est construite "

(شيد البيت)

فإننا ، حين نقول : " le pont est construit " (شيد الجسر) ، فإننا نكون
قد استعملنا الصاد (la copule) " est " الذي لا معنى له بذاته ،
ومزجاً " construit " يجمع الوحدة المعنوية الفعلية والماضي الذي له
قيمة المنجز ، فالعنى الاجمالي يكون كالطالي :

" La Construction du pont est accomplie "

(ان بنا الجسر قد أجز)

ولكننا حين نقول :

" Le pont est construit par une équipe de génie civil " (46)

(يشيد الجسر فريق من المهندسين المدنيين) . فإن " construit " لا يعنى أن الجسر قد تم بناؤه ، بل يعنى أنه في طريق الإنجاز . فبفضل
" par une équipe de génie civil " يفقد اسم الفعول " construit " قيمة المنجز .
ويصبح بمثابة ما يحيط به شكل وحدة في صيغة المجهول .

ويرى مارتينيه أن الحدث هو " الحركة " ، مثل " Il court " (يركض)
أو الحالة أو كل مفهوم من هذين المفهومين . ومن أجل تبسيط الأمور ،

(46) - Martinet, Grammaire fonctionnelle du français, p. 99.

يؤى أنه من الأفضل أن نقول " حدث " في جميع الحالات " (47).
وما يلفت الانتباه خاصة هو أن الوحدة المعنوية الفعلية المجردة مسن
القارئ ، يُستخدم في كلتا اللغتين ، في جميع الحالات التي يكفي فيها
التعبير عن الإشارة إلى الحدث . ويقصد بذلك على الخصوص الحالات
التالية :

① - وصف الظواهر الطبيعية والعادات والبشرية أو البريانية ، ووصف
تسير آلة من الآلات ، نحو قولنا في العربية : " اجتر البصير " ، ونحو قول
الفرنسيين مثلاً :

" (48) " Les marges servent à régler les marges à droite et à gauche "

(تستخدم المهمشات لتنظيم هوامش الصفحات يمينا وشمالا) .

② - في العروض العلمية والتقنية ، وفي القصص والتحقيقات
الصحفية حيث يكون تحديد الزمن قد تم في البداية ، نحو قولنا في
العربية : " رفعت رأسي ، فأخافني عمق السكون وانغلاق النوافذ ... "
ونحو قول الفرنسيين :

" L' orateur se lève, prend la parole et charme les esprits des auditeurs "
(لهض الخطيب ، فخطب في القوم واختلب عقولهم) .

ويعتقد فندرييس أن الإزمان الفرنسية " تصبر عن اللحظة التي تم
فيها أو يتم أو سيتم فيها " أحداث ، ولا تدخل في حسابها المدة السنتي
يستغرقها وقوع الحدث " . (49) في حين أنه يؤكد أن " السامية
يسيطر فيها التعبير عن الاستفراق ، لا عن الزمن " . (50) . ويمكن للأزمان
الفرنسية أن توجد مع بعضها البعض في التركيب الفعلي مع الصيغ

(47) - Martinot, Grammaire fonctionnelle du français, p.90.

(48) نفس المصنوع .

(49) فندرييس ، اللغسة ، تحرير عبد الحميد الداخلي ومحمد القضا ، ص : 136 .

(50) نفس المرجع ، ص : 137 .

التي هي الطرائق المختلفة التي يعبر عنها الفاعل . والعنق التثنيدي
الفرنسي يحصي سبت صيغ هي : المثبت (l'indicatif) والشرطي (leConditionnel)
والأمر (L'Impératif) والمتعلق (Le subjonctif) ، والمصدر (L'infinitif)
والمشترك (Le Participe) ، ونصني به اسم الفاعل واسم المفعول . ولكن
علم اللغة الحديث قد أثبت أن المصدر والمشارك لا يحملان معنى زمنيا ،
نحو :

(أعتقد أنه علي أن أبرم المعاهدة) .

" Je crois devoir conclure le traité "

ولا بد في اللغة الفرنسية من التمييز بين الصيغ الشخصية والصيغ
اللاشخصية ، فالمصدر (L'infinitif) والمشارك (Le participe) صيغتان
غير شخصيتين .

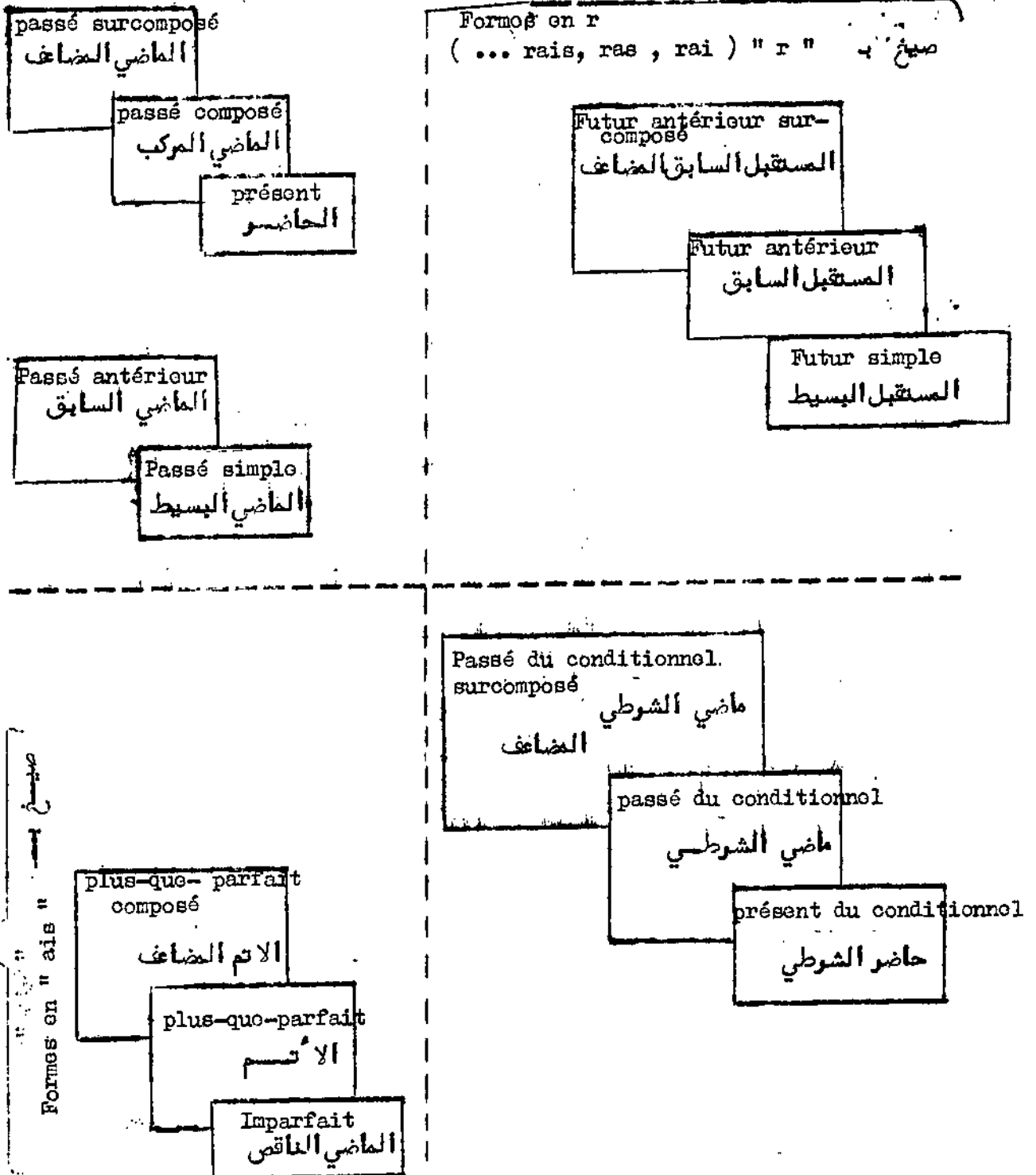
والصفة مناهما الطريقة . والفصل في الصيغ اللاشخصية (المصدر
والمشارك = Infinitif et participe) لا يتصرف نحو :
partir ; parti de bonne heure , il arrive à midi .
(حرفيا : ذميب باكرا ، سيصل عند منتصف النهار . (ذميب)
ذمب باكرا وسيصل عند منتصف النهار .

أما الصيغ الشخصية الفرنسية فهي : المثبت والأمر والشرطي
والمتعلق . . وهذه الصيغ الأربعة تحتوي على أزمنة مختلفة ، نجد
أنفسنا ، مضطرين إلى تسليط الضوء عليها - والوقوف عندها - قصد
استخلاص ما يمكن أن يقابلها في اللغة العربية .

ج - أزمنة المثبت الفرنسي وما قد يقابلها في اللغة العربية : علينا ، أولا
وقبل كل شيء ، أن نعرف أن المثبت في اللغة الفرنسية يعرض الحدث
وهو يتعارض مع المتعلق الذي - بدلا من أن يبسط حدثا حقيقيا - يدل على
حدث غير مؤكد ، أعني حدثا يفكر فيه المتحدث ويخضعه ، بالتالي ، لمواقفه ، نحو :

حدث حقيقي (1) Je sais qu'il vient (أعلم أنه يجي) —
 حدث ممكن الوقوع (2) Je souhaite qu'il vienne. (أتمنى أن يجي) —
 ولكنه غير مؤكد ، فهو يخضع لأمنية المتحدث .

والمثبت من أكثر الصيغ الفرنسية استعمالاً ، ويحتوي على مجموعة زمنية (14 زماً) ، مثل لما « *Imps* » (51) بهذا الجدول :



I - حاضر المثبت (Le Présent de l'indicatif) :

يتحتم علينا أن نشير الى أننا - من الآن فصاعداً - سنضطر الى وضع خط تحت كل الأفعال الفرنسية التي تأتي في الأمثلة دالة على الزمن السذي سنتناوله بالبحث والدراسة ، وخط تحت الكيفية التي بها تم نقل مفهوم هذا الزمن أو ذاك الى اللغة العربية . وبعد ذلك ، سنخلص الى القاعدة أو القواعد العامة .

① ان الحاضر الفرنسي والمضارع العربي قد يميزان عن عمل أو حالة عن حالة موجودة في الوقت الذي يتحدث فيه الشخص ، نحو قولنا في العربية : قالت له امرأته : هالي أراك مفكراً : أي أراك الآن ، في الوقت الذي أحدثك فيه . وهذا ما يسميه الفرنسيون بالحاضر الموقت (présent momentané) ومثال ذلك ، قولهم : " En ce moment , la pendule sonne " (في هذه الآونة ، تدق ساعة الحائط) .

فانت ترى أن المضارع قد أصبح يدل على الحاضر الموقت بفضل سياق الكلام ، في حين أن الحاضر " sonne " قد صار يدل على هذا النوع من الحاضر بفضل التركيب الموظف " en ce moment " (في هذه الآونة) .

② ان الحاصل الذي يدلّ عليه الحاضر الفرنسي والمضارع في العربية ، قد يكون عملاً مستمراً ، نحو قولنا : " يسهل الطفل منذ أسبوع " . وهذا ما يطلق عليه الفرنسيون اسم " الحاضر الممتد (أي المستمر) (présent prolongé) ومثال ذلك قولهم :

" Il est malade et il souffre depuis quatre jours "

(انه مريض ، وهو يتألم منذ أربعة أيام)

وقد قال بوالو (Boilou) : " ان الوقت الذي أحدثت فيه يكون قد بعد عني " (52) ، مشيراً الى هذا الحاضر المستمر . وقد نسف الاسترابادي

أن تكون "الحال" زمناً ، فقال : " ... من المناسب أن يكون للحال صيغة خاصة كما للأخوية ... (وقد) اختلف العقلاء فيه (أي في الحال). فقال الحكماء ان الحال ليس بزمان موجود بل هو فصل بين الزمانين . ولو كان زمانا لكان التصنيف مثلثا تثليثا . والحال عند النحاة غير الآن المختلف في كونه زمانا بل هو ما على جنسَي الآن من الزمان مع الآن سواء كان الآن أيضا زمانا أو الحد المشترك بين الزمانين . ومن ثم تقول ان "يصلّي" في قولك زيد يصلّي حال مع أن بعض صلواته ماض وبعضها باق . فجعلوا الصلاة الواقعة في الآتات الكثيرة المتتالية واقعة في الحال . " (53)

(3) ويمكن للحاضر الفرنسي والمضارع أن يدلّا على عمل مألوف ومتكرّر، يوجه في أغلب الأحيان إلى ماضٍ بعيد، ويمتد في مستقبل مبهم غير محدد، نحو قولنا في العربية : " أقضي - كل عام سه عطلة في الصيفية ، في البداية " ، ونحو قول الفرنسيين :
" Il va chaque jour à l'usine "
(انه يختلف يوميا إلى المصنع)

فمذا النوع من الحاضر ، يسميه الفرنسيون بالحاضر التصوّدي أي المصنوع عن العادة (Présent d'habitude)

(4) وهناك حاضر الحقيقة العامة (Présent de vérité générale) والذي يقابل ما يمكن أن نسميه في اللغة العربية بمضارع الظواهر الطبيعية (54) . فمذا الحاضر يعبر عن وقائع عامة ذات طابع علمي أو أخلاقي ، كما يعبر عن حقائق ناتجة عن تجربة . فهي حقائق صحيحة في جميع الأزمنة ، نحو قولنا في لغتنا :
" تشرق الشمس من المشرق ، وتغرب في المغرب " .
ونحو قول الفرنسيين :

(53) الاسترأبادي (رضي الدين) ، شرح الكافية ، ص : 251 .
(54) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ج 18 / 1961 ، ص : 151 .

" La terre tourne autour du soleil."

(تدور الأرض حول الشمس).

⑤ " ولو تأملنا في قولنا :

" لقد انصرف اللحظة "

وقول الفرنسيين :

" Il vient de rentrer "

(لقد عاد الآن)

لأدركنا أن الفعل الماضي " انصرف " ، بفضل التركيب المستقبلي
" اللحظة " ، والفعل " rentrer " ، بفضل الفعل المساعد " il vient " ، قد
أصبحا يدلان على ما ض قريب . وقد يدل المزارع في اللغة العربية على المستقبل
القريب إذ سبقته السين (وقد أوضحنا ذلك كله في الفصل الأول . ولذا
تفاديا للتكرار الممل ، لا نذكر الأسباب التي تجعل المزارع يدل على هذا
الزمن أو ذاك) في حين أن الحاضر الفرنسي قد يدل على المستقبل القريب
إذا كان متبوعاً بتركيب موظف نحو قولهم :

" J'arrive dans un instant. "

(سأصل بعد لحظة)

⑥ في اللغة العربية تترد صيغة الماضي في عبادة - في سرد
أحداث القصة ، ولكن الفرنسية تلجأ إلى ما تسميه بالحاضر الحكائي أو
الحاضر التاريخي . فتبدو الأحداث في الحالتين (أعني في اللغتين) ، وكأنها
تنقح على مرأى منّا في الوقت نفسه ، ومثال ذلك في العربية :

" ... وحين يلتخ منتصف الواسعة توقف . وكانت لوقفته حكمة ،

فمواذا أطاع سابقه ومشي ، أصبح بعد خطوات قليلة في قلب بيته ، وإذا
أغلق دونه باب الدار ، كان عليه أن يخمد أنفاسه وينام " (55) .

ومثال ذلك في الفرنسية :

" Un agneau se désaltérait... Un loup survient. "

(كان حمل يرتوي ... فوصل ذئب بفتنة)

(7) ثم ان الحاضر في الفرنسية قد يجرّ عن عمل ملجز ، فيستعاض

عنه في العربية بصيغة الفعلي للمجهول ، نحو :

(1) - Le dîner est servi .

(قَدّم العشاء)

(2) - Les raisins sont vendangés

(قطف العنب)

(8) وأخيراً ، فان القاص الفرنسي قد يلجأ أحياناً الى حاضر المثبت

للافصاح عن أحداث بعيدة في المستقبل ، نحو :

" Dans dix ou vingt ans, cette plantation me donne des fruits. "

(بعد عشرين سنوات أو عشرين عاماً ، تُعطيني هذه المشتلة ثماراً) .

واننا رأينا في الفصل الأول من بحثنا أن المضارع في اللغة العربية ،

قد يصبح محبباً عن المستقبل البعيد اذا سبق بسوف ، نحو قوله تعالى :

" ... كلاً سوف تعلمون ثم كلاً سوف تعلمون " (56)

وفن خلال ما تقدم ، يمكن أن نستخلص :

الظواهر الخمسة

(1) ان أنواع حاضر المثبت التالية :

- الحاضر المؤقت : (Présent momentané)

- والحاضر الممتد : (Présent prolongé)

- وحاضر الحقيقة العامة : (Présent de vérité générale)

- والحاضر التصوّدي : (Présent d'habitude)

قد يعبر عنها في لغتنا بالمضارع ، نحو :

La terre tourne autour du soleil

تدور الأرض حول الشمس

② ان الحاضر الحكائي قد يعبر عنه في لغتنا بالماضي نحو :

L'orateur de lève, prend la parole ... (58)

لمض الخطيب ، فخطب في القوم ...

③ ان الحاضر (الفرنسي) الذي له معنى المستقبل القريب قد

يعبر عنه في العربية بالمضارع المسبوق بالسين ، نحو :

J'arrive dans un instant : سأصل بعد لحظة :

④ ان الحاضر (الفرنسي) المصغر عن عمل منجز (action accomplie)

قد يعبر عنه في لغتنا بالماضي المبني للمجهول ، نحو :

Les raisins sont vendangés : قطف العنب :

وان ما يمكن أن نستنتجه من كل هذا ، هو أن جميع الأنواع التي يدل عليها الحاضر في الفرنسية ، موجودة في العربية ، ولكن الذي نفتقر اليه هو إعطاء تسمية لكل حاضر دل عليه المضارع (أو الماضي) بسبب من الأسباب المذكورة أعلاه . وهذا - اذن - يجربنا إلى أن نؤكد أن اللغة العربية ، لا تفتقر إلى أساليب التعبير عن الفروق النسبية للزمن ، كما يدعي البعض ، ولكنها تحتاج إلى المصطلحات التي يطلقها أصحاب اللغات المنديية الأروبية على أنواع الزمن .

وعلياً أن نلاحظ أننا انطلقنا من أنواع الحاضر الفرنسي ، لا من معاني

المضارع كما فعل ذلك حجار (58) مثلاً ، لأن غرضنا يكمن :

① في معرفة ما إذا كان هناك ما يقابل هذه الأنواع في لغتنا .

② في كيفية التعبير عنها باللغة العربية .

- Joseph N. Hajjar, Traité de traduction, page 40. (57)

idem, page 32-35. (58)

II - الماضي الثالثي (L'imparfait) :

علينا - بادئ ذي بدء - أن نلاحظ الالتفات إلى أن الماضي الناقص
واحدٌ يصيغ الماضي الخمس الفرنسية " . ونعني بذلك :

(1) الماضي الناقص (L'imparfait) ، نحو :

" Elle (la pauvre vieille) se lavait sans sans manger. Le fils partait
à son travail sans manger. Sa femme restait sans manger". (59)

كانت (العجوز المسكينة) تتهيئ دون أن تأكل . وكان الابن يذهب إلى
عمله دون أن يأكل . وكانت امراته تبقى بلا طعام " . (60)

(2) والماضي البسيط (Le Passé simple) ، نحو :

" Aïnoucha se souleva un peu, considéra les deux femmes et reprit sa
position." (61)

ونبهضت عينوشة قليلا ونظرت إلى المرأتين ثم عادت إلى وضعها .

(3) والماضي المركب (Le Passé composé) ، نحو :

" J'ai longtemps gouté à la misère." (62)

لقد ذقت الفقر طويلا (63)

(4) والاضم (Lo plus-que-parfait) ، نحو :

(4) " Il avait appris de longs passages de la Borda qu'il débitait pour
le repos de leur âme." (64)

(وكان قد حفظ فقرات من نهج البردة ، فهو يتلوها مترحما على
على أرواحهم) (65)

- Vincent Monteil, Anthologie bilingue de la littérature arabe cont- (59)
emporaine, p. 164. idom, page 191. (60)

- Mohamad Dib , La grande maison, page 58. (61)

(62) محمد ديب ، الدار الكبيرة ، (ترجمة سامي الدروبي) ، ص : 69 .

-Vicent Monteil, Anthologie bilingue de la litté. Contemp. p. 214. (63)

idem, page 215. (64)

(65) محمد ديب، القول (ترجمة سامي الدروبي) ، ص : 7 .

(5) والماضي السابق (Le Passé antérieur) ، نحو :

" Ces paroles superflues, elle eût souhaité ne les avoir pas prononcées " (66).

(وكانت قد وددت لو أنها لم تنطق بهذا الكلام الزائد) (67)

وعليها من الآن ، أن تشير الى أن هناك ظلالا من الفوارق بين هذه الصيغ الفرنسية الخمس . ومن ثم ، فإنه لا بد من أن تتجلى تلك الفوارق الطفيفة في اللغة العربية . لذا ، نجد أنفسنا مضطرين الى استبصار قيم كل زمن لتدرك ما يقابلها في لغتنا . ولنعتمد الآن الى الماضي الناقص . فالماضي الناقص (L'imparfait) : يستخدم بوجه عام للتعبير عن الفعل الماضي الذي يتضمن معنى الدوام والاستمرار أي الذي لم يستم في برهة وجيزة ، نحو : " Quand ils sont rentrés à l'agence, l'employé écrivait ."

(كان المستخدم يكتب عندما دخلوا الوكالة)

فصيغة الماضي الناقص في الفرنسية ، يقابلها في أغلب الأحيان فصي العربية المضارع المسبوق بالقرينة الزمنية " كان " ، نحو : كان يكتب .

ولنأت بأداة عديدة حتى تتضح لهما الأمور :

(1) Une odeur puissante s'exhalait des champs tandis que le ciel s'assombriissait ... " (68)

(ان رائحة قوية كانت تفوح من الحقول بينما الظلام كان يشتد في السماء حلكة ...) (69)

- Mohamad dib, La grande maison, page 58. (66)

(67) محمد ديب، الدار الكبيرة ، (ترجمة سامي الدروبي) ، ص : 69 .

(68) - Mohamed Dib, Le métier à tiser, page 19.

(69) محمد ديب ، البنول ، (ترجمة سامي الدروبي) ، ص : 21 .

(2) - " Elle portait le bidon devant elle des deux mains ..."

(70) كانت تحمل القادوس أمامها بكلتا اليدين ...)

(3) - " Les Cultivateurs de Bni Boublon - le - haut assistaient aux transformations de la plaine..." (71)

(كان المزارعون في بني بوبلان الأعلى يشاهدون الأحداث التي تقوم في السهل ...) (72)

فـلـلـمـاضـي الناقص قسم عديدة نذكرها بالتفصيل لأن بحثنا يمتد بالزمنة البسيطة الفرنسية كلها كما ذكرنا ذلك في المقدمة :

(1) يحترق الماضي الناقص ، أولاً وقبل كل شيء ، عن الامتداد ،

والماضي الناقص منسأه " غير المنجز " ، أعلي - اذن - في طريق الاجاز ، نحو :

" La lune d'été écumait au-dessus des abîmes noirs qui s'ouvraient entre les mots. L'air, la terre resplendissaient ". (73)

(كان قمر الصيف يزيد فوق الوهاد السوداء المنفجرة بين الجنال ، وكان الجو والأرض يتألقان . " (74) .

(2) وغالباً ما تتطوي فكرة الامتداد على فكرة الحادة . وهذا ما

يمكن أن نسميه في اللغة العربية بالماضي التصودي ، نحو :

كان يعود كل أسير براتبه الى أمه .

(70) محمد ديب ، الدار الكبيرة ، (ترجمة سامي الدروبي) ، ص : 178

(71) - Mohamed Dib, L'Incendie , page 36.

(72) محمد ديب ، الحريق ، (ترجمة سامي الدروبي) ، ص : 45 .

(73) - Mohamed Dib, L'Incendie, page 30.

(74) محمد ديب ، الحريق ، (ترجمة سامي الدروبي) ، ص : 36 .

(3) قد يعدل الماضي الناقص على حصول عمل في الزمن الماضي ، ولكنه عمل لا يزال مستمراً في الوقت الذي يحصل فيه عمل آخر مثله في الماضي :
فمما عملان متزامنان ، نحو :

Au moment où je jouais, il arriva

(وصل في الوقت الذي كنت ألعب فيه)

وهذا الماضي يمكن أن نطلق عليه اسم " الماضي الاستمراري " فهي الصريفة .

(4) غالباً ما يكون الفعل الذي حصل والذي لا يزال مستمراً معبراً عن شيء متكرر، وهذا ما يمكن أن نسميه في لغتنا بالماضي المألوف ، نحو قولنا :

" في مثل هذا الوقت كان المطر ينزل كل يوم " .

وبحقوق الفرنسيين :

" En été, ils allaient voir pêcher, ils pronaient des insectes, Cueillaient des bouquets " .

(كانوا يذهبون في الصيف الى مشاهدة الصيادين ، وهم يصطادون السمك ، وكانوا يستولون على بعض الحشرات ويقتطفون باقات من الزهور) .

(5) يستخدم الماضي الناقص في الوصف (وصف اسان أو حيوان أو مشهد من مشاهد الطبيعة ، الخ ...) ، وأحسن مثال على ذلك مقاله فكتور هيجو عن اسحاب الجيوش والتمزام الامبراطور :

" Jo ne sentais pas passer le temps. Pour moi, le temps se confondait avec la nuit . "

(لم أكن أحس منبسي الوقت . كان الزمن كله ليلاً بالنسبة التي)
وعليها أن نلفت الانتباه في هذا المثال الى وجود الفعل الفرنسي (sentais) بين علامتي نفسي " no ... pas " . ونلاحظ كذلك أن المترجم - اهتم في الجملة الفرنسية الثانية ، بنقل المعنى (أي الفكرة) ، لا اللفاظ . لذلك لم يقل : " كان الزمن يختلط بالليل ... " .

وهذا الماضي الذي يتسنى لنا تسميته في لغتنا بالماضي الوصفي ،
جده كثيره من أنواع الماضي الذي تقابل صيغة " الماضي الناقص " ،
متألف من القرينة الزمنية " كان " و " اسم الفاعل " (عائدا) .

ويمكن أن نلفت الانتباه من الآن ، إلى أن الجملة الفرنسية الواحدة قد
تحتوي على أفعال كثيرة في " الماضي الناقص " ، فلا مانع من أن يتجنب
المترجم تكرار القرينة المذكورة و تصويها بحرف من حروف الحذف ، نحو :
" J'aidais ma grand ' mère à nettoyer la maison, je balayais les chambres
et ossyais les vieux meubles . " (75)

(كنت أساعد جدتي في تنظيف البيت ، فأكنس الغرف ، وأمسح
الأثاث المتينق) . (76)

ومهما يكن من أمر ، فإننا نجد في أدبنا العربي نصوصاً كثيرة ، ورد
فيها تكرار القرينة الزمنية " كان " . وخير مثال على ذلك ، نص في
وصف الصديق لابن المقفع : " وكان لا يلوم أحدا . . . وكان لا يشكو
وجماً . . . وكان لا يستشير صاحبا . . . وكان لا يستبرم . . . وكان لا ينقم
على الوالي . . . " (77)

(6) وأخيراً ، قد يسبق الماضي الناقص بأداة الشرط « Si »

نحو : " Si j'étais fie , je donnerais à tous la paix et le bonheur . "

(لو كنت جنياً لوهبت الناس جميعاً سلاماً وسعادة)

وهذا الماضي الناقص هو ما يقابل في العربية الماضي في الجمل الشرطية
" شرطاً كان أو جزاء " (78) ، كما في قوله تعالى :

- Antoine C. Mattar, La traduction pratique , page 82. (75)

(76) نفس المرجع .

(77) ابن المقفع ، الأدب الصغير ، ص : 75 .

(78) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ج 10 / 1958 ، ص : 65 .

" ان أحسنتم أحسنتم لأفْسَكم " (79)

وقوله جَلَّ من قائل :

" ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ، وإذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى " (80)

وبعد أن رأينا الاستعمالات المختلفة للماضي الناقص (L'imparfait) ، فانه يتميّن علينا الآن أن نخلص الى :

الطواعد العامة

① من خلال الأمثلة التالية :

- * كان المستخدم يكتب = L'employé écrivait
- * ان رائحة قوية كانت تفوح من الحقول } Une odeur puissante s'exhalait des champs
- * كانت تحيل القادوس = Elle portait le bidon
- * كان المزارعون ... يشاهدون ... = Les cultivateurs assistaient à ...
- * كان الجو والأرض يتألقان ... = L'air, la terre resplendissaient ...

- = كنت ألعب = Je jouais
- = En été , ils allaient voir pecher =

* كانوا يذهبون في الصيف الى مشاهدة الضيادين ، وهم يصطادون .

نلاحظ أن " الماضي الناقص " قد عبرنا عنه في لغتنا بالمضارع المسبوق بـ (كان)

فبقول : أذن :

- كان + المضارع = L'Imparfait
- كنت أساعد جدتي = J'aidais ma grand'mère

(79) سورة الاسراء ، الآية : 8 .

(80) سورة النساء ، الآية : 142 .

(2) من خلال المثال التالي :

" J'aidais ma grand' mère à nettoyer la maison ; je balayais les chambres et essuyais les vieux meubles. "

" كنت أساعد جدتي في تنظيف البيت ، فأكنس الشرف وأمسح الأثاث المتيق . "

نستخلص أنه يتسلسل للمترجم أن يتفادى تكرار " كان " و تعويضها بحرف من حروف المطف ، إذا احتوت الجملة الفرنسية على عدد مسن الأفعال في الماضي الناقص . ومهما يكن من أمر ، فإن تكرار القرينة الزمنية " كان " لا يعدّ عيباً في اللغة العربية . واعتقاد مطر (Mattar) أن هذا التكرار يصبح مملاً في بعض الحالات ويشتمل الأسلوب والنص مما ، لا يستند إلى أي دليل علمي . وقد أوردنا هنا لابن المقفع ، أحد أقطاب الأدب العربي في المهند المباسي ، لتدعيم رأينا .

(3) لو أمينا النظر في المثال التالي :

" Je ne sentais pas passer le temps. "

" لم أكن أحسّ مضي الوقت "

للا حظنا استعمال النفي . ولو قد مينا نفس الجملة لمترجم آخر ، لقال :
" ما كنت أحسّ مضي الوقت " .

وهذه الترجمة صحيحة أيضاً . وهذا ، يعود في نظرنا إلى ذوق وأسلوب المترجم ، ولذلك ، قد توجد ترجمات عديدة لمؤلف واحد .

وإذا كان هناك نفي ، فإنه - أذن - بإمكان المترجم أن يستخدم طريقتين :

Je ne sentais pas ...

- لم يكن + المضارع ، نحو : لم أكن أحس

Je ne sentais pas ...

- ما كان + المضارع ، نحو : ما كنت أحس

④ لا يحدّ من التمييز في الماضي الناقص بين الفعل المبني للمعلوم والفعل المبني للمجهول ، فإن قلنا :
" Je dormais "

لا أدركنا أن " dormais " ما ض ناقص . وتطبيقا للقاعدة المذكورة أعلاه ، فإننا نترجم " Je dormais " (وهو ما ض ناقص مبني للمعلوم) بما يلي :
" كنت أنام "

أما إذا قلنا " J'étais en dormi " (وهو ما ض ناقص مبني للمجهول) . فلا بدّ من ترجمة ذلك بالتعبير التالي : " كنت نائما " .

⑤ ولو تأملنا في الأمثلة التالية :

- Je suis malade = ألي مريض

Il est mort = مات

La mère est malade = الأم مريضة

لأدركنا أن الضماد الحالي (être) لا وجود له في اللغة العربية . ولكننا عندما نعود الى المثال الوارد في الصفحة 112 :

" Si j'étais féc , je dormerais à tous
la pais et le bonheur " .

لو كنت جنسية لو كنت الناس جميعا السلام والسعادة .

فإننا نلاحظ أن الضماد الحالي ، وهو في الماضي الناقص (j'étais) قد جاء مسبوقا بأداة الشرط الفرنسية الوحيدة " si " . فتمت ترجمة الكل (أي الأداة والضماد) بـ (لو كنت) .

وستخلص من هذا ما يلي :

لو كنت = j'étais Si

أعني :

لو + ماضي كان = " Si + Imparfait " etro

أو

أداة شرط أخرى

(كإذا مثلا)

III - الماضي البسيط (Le passé simple) .

يوجد في الفرنسية زمن يدعى " الماضي البسيط " ، وهو زمن يستخدم في الكتابة بدءاً ولكنه لم يعد يستعمل قط في المحادثة ، إذ قد حلت محله " الماضي المركب " (Le passé Composé) السهل التصريف .
وقيم " الماضي البسيط " الزمنية متنوعة :

① يدل الماضي البسيط على عمل حصل في وقت مضى ، ولكن تأريخه محدد أو يمكن تحديده . وغالباً ما يكون الحدث قد وقع في وقت قصير ، وفي ظروف استثنائية ، وبالتالي ، فقد تمّ إنجاز العمل ، نحو :

① " En quelques heures, les Parisiens s'emparèrent de la Bastille . " (81)

(استولى الباريسيون في بضع ساعات على قلعة الباستيلا)

② " Il s'en fut ailleurs ... Il lonvoya longtemps entre les groupes. Puis, d'un trait, il fondit dans la cohue, arracha son pain à un courtaud. Il courut ensuite se perdre au centro de l'école, où il fut aspiré par le tourbillon des jeux et des cris " . (82)

(ومضى الى مكان آخر ... فطوف بينهم) يقصد المبيتة) مراوفاً خلال مدة طويلة ، ثم انقض على زحمتهم بوثبة واحدة ، فالتزع وغيف صبي قصير منهم ، وأسرع يخبثفي في وسط المدرسة حيث ابتلمته زوبصة اللعب والصراخ) . (83)

فلنن نلاحظ من خلال هذين المثالين أن العمل الذي دلّ عليه " الماضي البسيط " (s'emparèrent) و (lonvoya ، الخ ...) عمل سريع ، فريد في نوعه ، وقد تمّ إنجازه : فليست له علاقة بالحاضر . ويقابل الماضي البسيط في العربية الماضي كنا قلنا أو الماضي المبني للمجهول في بعض الحالات ، نحو :

- A. Souché et J. Grunenwald, Grammaire française, p. 51. (81)

- Mohamed Dib , La Grande maison, page 7. (82)

(83) محمد ديب، الدار الكبيرة ، (ترجمة سامي الدروبي) ، ص : 15 .

(1) - Abdelhanid - Ibn - Badis mourut on 1940

(توفي عبد الحميد بن باديس سنة 1940)

(2) - Le printemps naquit on une nuit . (84)

(ولد الربيع في ليلة) (84)

(2) غالباً ما تعدل مجموعة من الأفعال في الماضي البسيط على تسلسل زمني لأحداث تقع في زمن قصير بالتتابع كما لو كانت منفصلة ومستقلة عن بعضها البعض . وهذه الأعمال تبقى منتظمة في الزمن . ونحن ننتقل دونما عناء من هذا الحدث إلى الحدث الآخر ، نحو :

(A) Il se mit à le frapper à coups de bec...

Il lui creva les yeux , il lui broya les dents;

Il lui pétrit le crane ...

Le jeta mort à terre et s'envola . " (86)

(فأخذ يضربه بمنقاره ...)

ففقأ له عينيه ومروى أسنانه)

وجيبل جمجمته ...

ثم طرحه جثة هامدة على الأرض وطار .)

(B) " Brusquement , Memoun recommença à pleurer , Sa mère voulut parler , mais no put que secouer la tete . Elle regarda Omar , puis autour d'elle comme pour implorer aide et réconfort . " (87)

(وفجأة عادت منون تبكي . أرادت أمها أن تتكلم . لكنها لم تزد على أنها هزت رأسها . ونظرت إلى عمر كأنها تلمس المون والحزام) (88)

- Mohamed Dib , Le métier à tisser , page 75. (84)

محمد ديب ، اليدول ، (ترجمة سامي الدروبي) ، ص : 71 . (85)

- A. Souché et J. Grunenwald , grammaire française , page 51. (86)

- Mohamed Dib , La grande maison , page 47. (87)

محمد ديب ، الدار الكبيرة ، (ترجمة سامي الدروبي) ، ص : 55 . (88)

فالأحداث في مدين المثالين سريعة ، وهي في نفس الوقت متتابعة في الزمن . فالماضي البسيط يعبر عن تصاقب الوقائع تماماً كما يعبر عن ذلك تتتابع الأفعال الماضية في لغتنا ، نحو :
" ... طهبوى رقتته في هاد وراح يشمش بأفسه المقوس الطويل وقد أطبق فمه فانكش جلد وجهه الحاسي الأصفر ، ووازت أطراف شاربه قم حواجبه التي كانت ماتزال مهاللة بماء الوضوء " . (89)

③ ويستخدم الماضي البسيط في سرد الحوادث أعني أنه الزمن الذي يختاره الكتاب للأفصاح عن وقائع متتابعة في القمص التاريخية والخيالية أو الحكايات ، نحو :
" Omar fit le tour de la cour, surgit de derrière un platane , et laisa tomber à ses pieds ce que lui restait d'un crouton. Il fit mine de ne point s'en apercevoir et continua de courir. Arrivé à bonne distance, il s'arrêta, et l'épia. Il le vit de loin fixer le bout de pain, puis s'en saisir d'un geste furtif et mordre dedans " . (90)

(دار عمر حول الساحة ، وظهرو من وراء شجرة دلب ، وأسقط بين قدمي الصبي ما كان قد بقي له من قطعة من الخبز ، وتظاهر بأنه لم ينتبه الى سقوط قطعة الخبز منه ، واستمر يركض حتى اذا وصل الى مكان بعيد عن الطفل مسافة كافية ، تسوقف وأخذ يتجسس عليه . فرأه يحدق الى كسرة الخبز من بعيد ، ثم يتناولها خلسة ويبتلعها . " (91)

فالماضي البسيط في هذه الحالة ، يستعاض عنه في اللغة العربية بالماضي ، نحو :

- Vincent Monteil, Anthologie biligue de la litt. Ara. Contemp. p. 167. (89)

- Mohamed Dib, La grande maison, page 10. (90)

(91) محمد ديب ، الدار الكبيرة ، (ترجمة سامي الدروبي) ، ص : 18 .

" أعطى السائل ألف درهم، واعتذر إليه من ضيق الحال ". (92)

هذه احتمالات الماضي البسيط (Le passé simple) التي ستسمح لنا
باستخلاص :

السقواعد العامة

(1) لتأمل في الأمثلة التالية :

- En quelques heures, les Parisiens s'emparèrent de la Bastille.

استولى الباريسيون في بضع ساعات على قلعة الباستيل .

- Il le jeta mort à terre et s'envola.

فطرحه جثة هامدة على الأرض وطار .

- Il courut sa perdre au centre de l'école.

وأسرع يخبث في وسط المدرسة

- L'enfant continua de courir... puis s'arrêta.

استمر، الطفل يركض... ثم توقف .

فإننا نلاحظ أن الأفعال الفرنسية التي وضعنا تحتها خط كانت

كلها في زمن معين هو الماضي البسيط . ولو أمعنا النظر في كيفية التعبير
عنها في اللغة العربية ، لا أدركنا أن الماضي هو الذي مرنا به عن دلالات

هذا الزمن الفرنسي ، نحو :

Il continua

puis s'arrêta

↓
استمر

↓
توقف

فبقول اذن ، ان :

الماضي = الماضي البسيط (Le Passé simple)

↓
(صيغة - دون دخول أية ثبينة) .

② استخدام النفي مع الماضي البسيط :

للتأنيب في هذا المثال :
" Elle, ne voulut pas partir "

يتم ترد الذم

بلا حظ أن النفي مع الماضي البسيط يجعلنا نستنتج أن :

لم + المضارع = Passé simple (forme négative)

③ للنظر الآن في المثال التالي :

Ibn Badis mourut en 1940

توفي ابن باديس سنة 1940.

وكان يمكن أن نقول : مات عبد الحميد .
ومهما يكن من أمر ، فإننا في بعض الحالات ، نريد أن نضرب أذن - مضطربين
إلى نقل مدلول الماضي البسيط بالماضي المبني للمجهول (: " توفي ")
وذلك عندما لا يفصل الفاعل الفعل ، فنكتب القاعدة التالية :
ماض مبني للمجهول = (Passé simple) في بعض الأحيان ،

IV - الماضي الأتم (Le plus-que-parfait) :

تستخدم في اللغة العربية القريبة الزمنية " كان " متوعدة به (قد)
والفعل الماضي للدلالة على أن هذا الفعل قد وقع قبل فعل ماضٍ آخر ،
كقولنا : " كان قد قبض مرتبه في الصباح ... " (93) . ويوجد في الفرنسية
زمن خاص لهذا الغرض ، وهو الأتم " ، نحو : (94) Elle avait joué ce rôle...
كانت قد أدت هذا الدور ...

- Vincent Monteil, Anthologie bilingue de la littérature arabe contem. (93)
poraine, page 199.

- J.C. Chevalie, C. Blance- Benveniste, M. Arrivé et J. Peytard, (94)
grammaire Larousse du français contemporain , page 345.

فالقاعدة هي ما يلي :

كان + قد + الماضي = الأتم (Le plus-que- parfait)

V - الماضي المركب (Le passé composé) :

يعبر الماضي المركب عن عمل وقع ، ولكن عواقبه ونتائجه لا تزال مستمرة . لذا ، يروى للحاة الفرنسيون أن الماضي المركب متألف في نفس الوقت من الحاضر (المتمثل في الفعل المساعد؛ j'ai , أو Je suis) ومن الماضي (المتمثل في اسم المفعول : trouvé أو allé مثلا) ، نحو : j'ai trouvé (قيد) أو لقد وجدت ، و Je suis allé (قد ذهبت) .
يتسنى لنا ، أن نستنتج أن :

قد (أو : لقد) + الماضي = الماضي المركب (Le Passé composé)

VI - الماضي السابق (Le Passé antérieur) :

يستعمل الماضي السابق في الجمل المتصدرة في أغلب الأحيان بمو شر من موه شرآت الارتباط التالية : lorsque , quand (عندما) ، après que (بعد أن) dès que (بمجرد ما) ، و à peine que (ما أن ... حتى) ، الخ . . . فمما يمر عن عمل سابق للمعمل الرئيسي الذي يدل عليه في أغلب الأحيان فعل في الماضي البسيط . فالماضي السابق يستخدم - إذن - دائما إلى جانب الماضي البسيط . لذلك ، يحتفظ بأغلب خاصيات الماضي البسيط : عمل سريع وغير مستكرر ، نحو :

(1) - " A peine le chat eut-il aperçu la souris qu'il se jeta dessus et la croqua . " (95)

(ما أن رأى القط الفأرة حتى ارتمى عليها وبهشما) .

فالماضي السابق يقابل في اللغة العربية الماضي المسبوق
بأحدى الصيغ الاتحادية الدالة على الزمن ، نحو : قبل أن يتناول طعامه ،
شرب الماء ونام .

(2) - Quand il eut traversé la cour, sa mère l'appela.

عندما كان قد اجتاز الساحة نادته أمه .

فلاحظ أن الماضي السابق قد نصر عنه في لغتنا بطريقتين :

- الطريقة الأولى متمثلة في المثال الأول :

ما أن + الماضي = Passé antérieur (الماضي السابق)

أولاً
بعد أن
أو
بمجرد ما أن
الخ ...

- الطريقة الثانية متجسدة في المثال الثاني :

كان + قد + الماضي = الماضي السابق ،

وان ما ينبغي أن نلفت إليه الانتباه هو أن الأتم والماضي المركب
والماضي السابق أزمنة تندرج في إطار الأزمنة المركبة التي لا تمثل
صلب موضوع بحثنا - لذا - أوجزنا الحديث عنها .

VII - المستقبل (Le Futur) :

المستقبل نوعان في اللغة الفرنسية : مستقبل بسيط ومستقبل

سابق . فالأول : مادّل على عمل يقع مستقبلاً ، نحو : " Je partirai "

(سأذهب) ، والثاني ما عبر عن عمل سينجز عندما يقع عمل آخر ، نحو :

" J'arriverai quand vous aurez fini votre travail "

(سأصل عندما تكون قد أنهيت عملك) .

والمستقبل السابق (Le Futur antérieur) يدخل في حيز الأزمنة المركبة التي لا تهتمنا في بحثنا هذا .

ومهما يكن من أمر ، فإنه يمكننا أن نؤكد أن المستقبل في الصربية قسمان كذلك : مستقبل قريب (سأخرج) ومستقبل بعيد (سوف تصبح الجزائر دولة عظمى) . فالمستقبل في الصربية يدل عليه المضارع المسبوق بالسين أو بسوف كما أوضحنا ذلك في الفصل الأول . فالمضارع في لغتنا يدل على الحاضر والمستقبل ، ولكن القرينين الزمليتين "السين وسوف" تجملا له خاصا بالدلالة على الاستقبال بحوقوله تعالى : "سأرهقه صعودا انه فخر... " (96) ، وبحوقوله تعالى في سورة التكاثر : "كلا سوف تعلمون" (97) ، ومن هنا ، فإنه يمكننا أن نؤكد أن المستقبل القريب يدل عليه المضارع المسبوق بالسين ، وأن المستقبل البعيد يحبر عنه بالمضارع المسبوق بحرف التسوييف ، أضف الى هذا أن السياق اللغوي قد يوذي دورا كبيرا في لغتنا . فهو كفييل بأن يعين معنى الماضي في زمن المستقبل ، بحوقوله تعالى : "أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه" (98) (فسقناه مجاز أي فسوقه) .

والمستقبل البسيط (الفرنسي) يخرج عن عمل سيحصل ، نحو :

Je voyagerai (سأسافر) ، ومعناه : "J'ai à voyager" (أخرفنيا :

علي أن أسافر) . وقد تكون المستقبل بإضافة أشكال الماضي الفييل

المساعد (أي العماد "avoir") الى المصدر ، نحو :

(96) سورة المدثر ، الآية : 17 .

(97) سورة التكاثر ، الآية : 3 .

(98) سورة فاطر ، الآية : 9 .

"lier" (ربط) ← "Je lier/ai" (سأربط) ،
 lire (قرأ) ← "Je lire/ai" (سأقرأ) . وعندما يقول قائل :

" Demain, nous partirons à six heures du matin "

(غدا ، سنسافر على الساعة السادسة صباحا) .

فانه يكون قد عبر عما لا يرغب فيه - عن فكرة السفر وأكدها ،
 وما يلفت الانتباه هو أن المستقبل البسيط قد يستعمل بمعنى الأمر تماما
 مثل المضارع (مع المخاطب المفرد) المسبوق بالسين ، نحو قولنا للابن :
 " ستتناول عشاءك وستذهب الى مخرجك " . ونحو قول الفرنسيين :

" Tu prendras le couffin et tu iras au marché "

(ستأخذ القفة وستذهب الى السوق) .

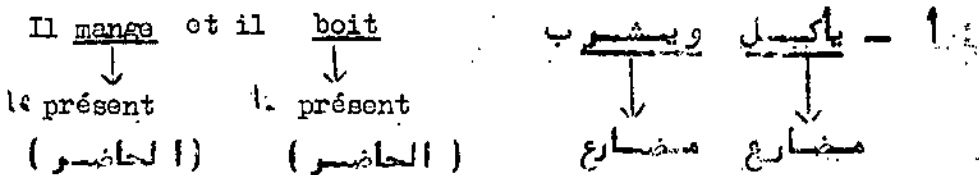
ويمكن لنا بعد كل هذا أن نستخلص :

الطوائف العامة

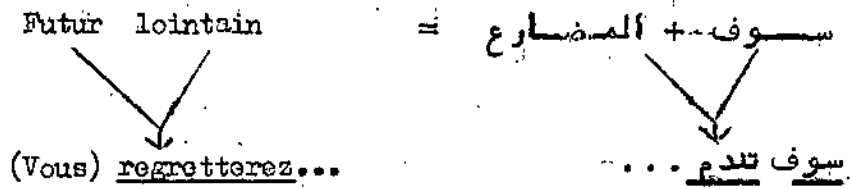
(1) علينا بادني ذي بدء أن نعيد الى الأذهان أن صيغة المضارع في
 اللغة العربية تعدل على الحاضر والمستقبل معا ، فالتسا حين نقول : " يأكل
 ويشرب " ، يكون المعنى أنه " يأكل ويشرب الآن أي في الحاضر ،
 أو " يأكل ويشرب " بعد قليل أي في المستقبل ،
 فالزمن - إذن - غير محدد ، ولذلك ، يمكن أن تكون الترجمة
 بأحدى الطريقتين :

- أ - بأشتمال الحاضر (Le présent)
- ب - أو بأشتمال المستقبل (Le Futur)

نحو :



فاننا نلاحظ في هذا المثال أن التدم على الخطايا لا ينقح الا بعد مضي وقت طويل (بعد قوات الاوان) . ولهذا ، يحتر هذا الزمن مستقبلها بعيدا . وقد رأينا ، فيما سبق أن القرينة الزمنية " سوف " ، اذا دخلت على المضارع ، عيبتة للدلالة على المستقبل البعيد . فستخلص من هذا ما يلي :



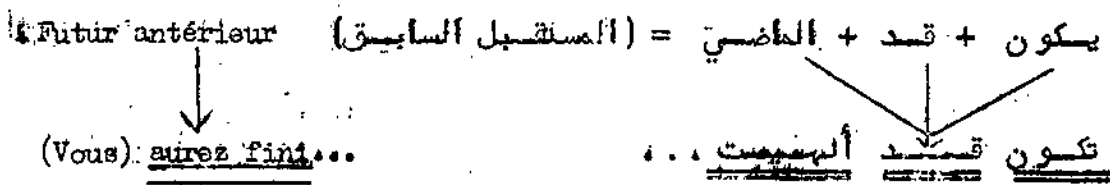
④ ولننظر في المثال الأخير :

J'arriverai quand vous aurez fini votre travail.

(سأصل عندما تكون قد أنهيت عمله .)

فاننا في هذا المثال نلاحظ نوعين من المستقبل : مستقبل بسيط (J'arriverai) ، وقد تحدثنا عنه (اللقطة الثانية) ، ومستقبل سابق (Futur antérieur) متجسّد في " (Vous) aurez fini... " . ونلاحظ من خلال الترجمة أن هذا النوع من المستقبل قد عبرنا عنه في لغتنا بما يلي :

" تكون قد أنهيت (عملك) " ، فتكون القاعدة كالتالي :



واننا من خلال المثال الفرنسي الأخير ، نكون قد أدركنا أن " المستقبل " (Le futur) لا يظهر عنده في العربية بالسين أو سوف فقط كما جاء ذلك فسي كثير من الكتب التي تمتم بالترجمة ، بل قد يلجأ الى " كان + قد + الماضي " اذا كان الأمر يتعلق بما يعرف في الفرنسية بالمستقبل السابق (Le futur antérieur)

د - صيغة الشرطي وهل هناك ما يقابلها في اللغة العربية :

أن صيغة الشرطي في اللغة الفرنسية تستخدم في كل ما يتوقف وقوعه على شرط أو عندما يكون وقوع الشيء غير مؤكد كما هي الحال في المستقبل البسيط ، نحو :

" Au cas où vous viendriez, spécifiez l'heure ."

(إذا ما قورت المجيء ، فحدد الزمن)

ويستعمل حاضر الشرطي لأسباب عديدة هي : التلمي والالتماس والبصحة . وقد قيل أن صيغة الشرطي ، صيغة المجاملة والتأدب ، نحو :

" Je voudrais dire un mot, un seul " (99)

" ... فانما أريد أن أقول كلمة واحدة ، واحدة لا أكثر " (100)

أما ماضي الشرطي فهو من الأزمنة المركبة - فيعدل على أن الفعل كان ممكناً أو زمناً حدثته لو تم الشرط المعنى عليه ، نحو :

J'aurais fermé la porte, si j'avais la clef .

(لو كان عندي المفتاح لكنت أغلقت الباب)

وإن أول ما يلفت انتباه الباحث في مثل هذه الدراسة المقارنة هو أن صيغة الشرطي (الفرنسية بطبيعتها الحال) تظهر في أغلب الأحيان عن افتراض منوط بشرط . وإن هذا الشرط - عموماً - يعبر عنه في جملة تأبئة (أي متعلقة) ظرفية سبقت بـ " si " (لو ، إن ، إذا ، الخ ...)

نحو :

" Moi, si j'étais toi, je ne parlerais pas comme ça. " (101)

(لو كنت مكانك لما قلت هذا الذي تقوين) (102)

- Mohamed Dib, L'incendie, page 48. (99)

(100) محمد ديب ، الحريق ، (ترجمة سامي الدروبي) ، ص : 63 .

- Mohamed Dib, La grande maison, page 58. (101)

(102) محمد ديب ، الدار الكبيرة ، (ترجمة سامي الدروبي) ، ص : 69 .

أما اللفظة العربية ، فلا تنطوي على أداة (103) شرط واحدة كما هو الشأن بالنسبة الى الفرنسية ، ولكنها تتضمن الأدوات التالية التي تجزم فعلين : ان واذا ما ومن وما ومهما ومتى وأيان وأين وأنى وحيثما وكيفما وأى . ومن ذلك قول الشاعر :

" ومهما يكن عند امرئ من خيلة
وان خالهما تخفى على الناس تعلم "

ويضاف الى هذه الأدوات ، أدوات تفيد الشرط ولا تجزم : لو ، ولو لا ولو ما وأما ولما واذا وكلما ، ولا يلي لما وكلما الا الماضي . وجاء في كتب النحو أن الفرق بين " ان " و " اذا " يكمن في أن الأصل عدم الجزم بوقوع الشرط مع " ان " ، والجزم بوقوعه مع " اذا " ، ولهذا غلب استعمال الماضي مع " اذا " .

فالجملـة الشرطية الفرنسية ، جملة مركبة تحتوي على جملتين متلازمتين

ميسوقتين بأداة الشرط " si " ، نحو :

(1) " Occacha se serait heurté à lui sans le savoir s'il n'avait reçu la baton dans les jambes " . (104)

(كان عكاشة يصطدم به دون أن يراه لولا أنه تسلس العصى بين ساقيه) . (105)

(2) " Moi, si j'étais toi, je ne parlerais pas comme ça " . (106)

(لو كنت في مكانك لما قلت هذا الذي تقولين) (107)

(103) علينا أن يبين الفرق بين الحرف والأداة : فالحرف من بنية الكلمة ويسمى بحرف الهيئ . وقد تحدثنا عن ذلك من قبل . فـ (سكتب) مثلاً ، بينما ثلاثة حروف . وأما الأداة ، فهي كلمة تربط بين جزئي الجملة أو بينهما وبين الفصلة أو بين جملة وجملة ، مثل : أدوات الشرط .

- Mohamed Dib, Le métier à tisser, page 99. (104)

(105) محمد ديب ، النول ، (ترجمة سامي الدروبي) ، ص : 121 .

- Mohamed Dib, La grande maison, page 58. (106)

(107) محمد ديب ، الدار الكبيرة ، (ترجمة سامي الدروبي) ، ص : 69 .

③ " فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم " . (103)

④ " لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا ختبالا " . (109)

وللتأمل في الجملتين العربيتين التاليتين ، والجملتين الفرنسييتين الواردتين
بمدهما :

① اجتهد تنجح .

② حسن سيرتك والا خسرت .

③ - Nous souhaiterions manger d'abord .

نود أن نأكل أولاً وقبل كل شيء .

أو
نودّ الأكل أولاً وقبل كل شيء .

④ - Nous voudrions avoir quelques renseignements

(اننا نودّ الحصول على بعض المعلومات) .

ان أول ما نلاحظه في الجملتين العربيتين والجملتين الفرنسييتين هو
عدم وجود أداة الشرط . وسبب ذلك في لغتنا أنه يجب الاستغناء عن أداة
الشرط اذا ورد فعل الشرط في صيغة الطلب (أمر أو نهى) ، نحو : اجتهد
تنجح . أما في اللغة الفرنسية ، فلا يقترن الفعل بأداة الشرط عندما تكون
الصيغة صيغة مهذبة في التعبير ، وتستخدم شرطاً مضارعاً وهو " ان كان ذلك
مكناً " ، وتسمى هذه الصيغة صيغة التأدب والمجاملة . ولا على كل حال ،
فان أداة الشرط " si " لا تستعمل مع صيغتي المستقبل والشرطي . فـ
يقال : " si je douterais " (حرفياً : لو سأشك) . ولا يقال " si je douterais
(حرفياً : لو أودّ أشك) ، بل يقال : " si je doute " (لو أشك) .
(لو كنت أشك) .

والجملة الشرطية تتألف في العربية من جزء أول يسنى جزء الشرط ،
وجزء ثان يدعى جزء جواب الشرط ، نحوقولنا :

(108) سورة التوبة ، الآية : 5 .

(109) سورة التوبة ، الآية : 47 .

ان تر حسم تر حسم
تر حسم تر حسم
جزء الشرط جزء جواب الشرط

ويجوز حذف فعل الشرط (الذي به يسمى الجزء الأول ، إذا ورد في الكلام العربي ما يدل عليه وكان مسبقاً بإلا التي هي كما جاء في كتب النحو ، ادغام " إن " الشرطية " لا " النافية ، نحو : حسن سيرتك والا خسرت .

والأصل أن يتقدم الشرط على الجواب : " وقد يحدث أن يتقدم الجواب على الشرط وذلك ليكون أبرز ، نحو : يندم المتقاعسون أن لم يندجوا " (110) والشرط والجواب يكونان متضارعين وماضيين ومختلفين ، نحو :

- ① " فمن يحمل شئقال ذرة خيرا يره ... " (111)
- ② أن اجتمعت نجحت .
- ③ إذا أردت النجاح فاعمل .

أما الجملة الفرنسية المقترنة بشرط ، فتأتي وفقاً لتوافق الأزلة بسين جملة الشرط وجوابه .

① - Je mangerais si j'avais faim :

(الماضي : l'imparfait) (الشرطي : conditionnel)
(قد أكل إذا كنت جوعان)

② - Si je n' avais pas tenu à voir, je serais parti.

(الشرطي : conditionnel) (الاتم : Plus-que-parfait)

(لولم أكن قد حرصت على رؤيتك لكنت قد رحلت)

(110) عبد الوهاب بكير ، النحو العربي ، ص : 156 .

(111) سورة الزلزلة ، الآية : 8 .

③ - Si vous aimez vos parents, allez leur rendre visite.

(الشرطي : Conditionnel) (أمر : Impératif)

④ - Sa mère savait qu'il partirait en France.

(الشرطي) Conditionnel (الماضي الباقص : Imparfait)

(كانت أمته تعلم بأنه ستسافر إلى فرنسا)

⑤ - Si tu manges tu reprendras tes forces

(المستقبل : Futur) (الشرطي Conditionnel)

(إذا أكلت ، استرجعت قواك)

وإنه يمكن لنا أن نقول أن الشرط عندما يكون أمراً ممكنًا فإنه يستخدم في العربية حرف الشرط "إن" متبوعاً بـ"الماضي" وفي هذه الحالة يستخدم الفرنسيون "si" متبوعاً بصيغة الحاضر (Présent) أما الفعل الواقع في جواب الشرط ، فيكون إما في صيغة الأمر أو الحاضر أو المستقبل . وليس الاختلاف كبيراً بين الجمل الثلاث السابقة ، ولكن الجدير بالملاحظة أنه قد استخدمت فيها جميعاً صيغة من صيغ المثبت (L'indicatif) وحدها ، ولا صيغة الشرطي .

وان ما ينبغي أن نشير إليه في هذا البحث هو أن "إن" و"لو" كثيراً استعملتا في اللغة العربية . لذا نجد أنفسنا مضطرين إلى الحديث عنهما دون غيرهما :

ولنصن النظر الآن في قوله تعالى :

"ولو شاء الله لجملكم أمة واحدة" (112)

(Si Dieu avait voulu , il vous aurait unis en une nation unique)

(112) سورة الشورى ، الآية : 8 .

(113) - Joseph N. Hajjar, Traité de traduction, p. 160 .

فالشرط هنا مما تلحق التحقق لأن الله جلّ شأنه لم يشأ أن يجعلنا أمة واحدة . وإنما نلاحظ أن اللغة العربية تستخدم " لو " متبوعاً بالماضي عندما يكون الشرط غير محقق . أما في الفرنسية ، فيستخدم لهذا الغرض « *si* » متبوعاً بالأتم (*Plus-que-Parfait*) ، غير أن الفعل الواقع في جواب الشرط يوضع في صيغة الشرطي (ماضي الشرطي) ، كما توضحه ترجمة الآية الكريمة . وقد تأتي القرينة الزمنية بعد " لو " لتتبع بالماضي دلالة على أن الشرط مُنتزع التحقق أيضاً ، نحو : لو كان أتى لقتلته . وهناك استعمالات كثيرة لهذه الأداة الشرطية ولغيرها من الأدوات في اللغة العربية . فإلا يمكن حصرها بدقة . ثم إن الجواب (أي جواب الشرط) إذا لم يصلح لأن يكون شرطاً في اللغة العربية بأن كان جملة اسمية أو فعلاً دالاً على الطلب أو جأماً أو مقروناً بما أو لن أو قد أو السين أو سوف ، وجنب اقترانه بالفناء ، نحو قوله تعالى : " فإن توليتم فما سألتكم من أجر " (114) واقتران جملة جواب الشرط الانشائية بالفاء منسألة أشارت اهتمام النحاة العرب على المصير ، وقد بدأها سيهوية بصورة واحدة من صور الجواب ، وهي صورة الجملة الاسمية ، ولم يذكر غيرها . ولخص كتابه : " وأعلم أنه لا يكون جواب الجزاء ويعني بالجزاء الشرطية إلا بفعل أو بالفاء ، فأما الجواب بالفعل فتحق قولك : ان تأتني أتك أو ان ، تضرب اضرب ، ونحو ذلك ، وأما الجواب بالفاء فقولك : ان تأتني فأنا صاحبك ، ولا يكون الجواب في هذا الموضع بالواو ولا بثم . إلا ترى أن الرجل يقول : أقفل كذا وكذا ، فتحقول : فماذن يكون كذا وكذا . ويقول : لم أفتك أمسن ، فتحقول : فقد أتاك الغوث اليوم . ولو أدخلت الواو ثم في هذا الموضع تريد الجواب لم يجز ، (115) ويسرى عبدالسلام محمد هارون أن النحويين فهموا " من صنيح سيهويه وصنيح شراحه أن كل ما لا يصلح للشرطية من الجواب ، وجنب اقترانه بالفاء ، فتوسع من جاء بعده من النحاة في القاعدة ، وفي الاستقراء ، فجعلوا اقتران جواب الشرط بالفاء سارياً في سبعة أمور نظمها بعضهم في قوله :

(114) سورة يونس ، الآية : 72 ،

(115) سيهويه ، الكتاب ، ج 1 ، ص : 435 .

طلبية واسمية وجماد :: وبما وقد وبلن وبالتنقيس " (116)

وقد جاء بعد ذلك الكمال بن الهمام، وهو من علماء القرن التاسع، فجمع
مسائل الفاء محدودة في قوله :

تعلم جواب الشرط حتفا قرانه . . بفاء اذا ما فعله . . اليها أتيتني
كذا جامدا ارمحتما كان أو بقدا . . وروى وسين أولسوغ أدرييا فلتني
كذا اسمية أو كان ملقي ما وأن ولن . . ومن يمد عما قد عدنا فقد عتا . " (117)
والقاعدة العامة التي فصلها النحاة في جميع العصور هي أن كل ميالا
يصلح للشرط من جعل الجواب يجب اقترانه بالفاء . ولكن عبد السلام محمد
هارون (118) يذكر لنا أن " فاء الجواب الواجب الاقتران بما يجوز حذفها
في ضرورة الشعر، ومنه قوله :

من يفعل الحسنات الله يشكرها والشكر بالشر عند الله مثيلان (119)
ومن الأُخفش أن ذلك واقع في النثر الفصيح، وأن منه : " ان ترك خيرا
الوصية للوالدين والأقربين " . (120) .

وقال ابن مالك : يجوز في الشر نادرا . ومنه حديث اللقطة : " فان
جاء صاحبها والأ استمتع بما " .
ومن خلال هذه الدراسة عن الجملة الشوطبية في كتبا اللغتين ،
يتسنى لنا أن نخرج بما يلي من :

قواعد عامة

① لتأمل في المثالين التاليين :

- (116) عبد السلام محمد هارون ، الأُساليب الاثائية في النحو العربي ، ص : 169 .
(117) نفس المرجع ، ص : 170 .
(118) نفس المرجع ، ص : 278 .
(119) بسبب الى عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، وروى أيضا لكعب بن مالك
الأصباري .
(120) سورة النجفة ، الآية : 180 .

- Nous voudrions avoir quelques renseignements

يود أن يحصل على بعض المعلومات
أو

يود الحصول على بعض المعلومات (ف تكون قد أبلغنا " أن " المصدرية
والفعل المضارع " يحصل " بالمصدر (الحصول) .

- Il souhaiterait manger d'abord.

يود أن يأكل أولاً وقبل كل شيء .

فإننا نلاحظ عدم وجود أداة الشرط في المثالين ، وذلك لأن الشرط جاء في
صيغة التودد والمجاملة . لذا ، عبرنا عنه في لغتنا بالفعل " ود " ،
لا بالفعل " أراد " .

(2) لنتمعن في المثالين الآتيين (حيث استعمل حاضر الشرطي

Le conditionnel présent) الذي يهتما دون غيره من الأزمنة) :

- Je mangerais, si j'avais faim.

أأكل إذا كنت جوعان
أو

قد أأكل إذا كنت جوعان (لأن حاضر الشرطي يعبر عن شيء غير مؤكد)
أو

سأأكل إذا كنت جوعان (لأن الأكل منوط بشرط)

- S'il faisait beau temps, je sortirais.

أخرج إذا كان الطقس جميلاً
أو

قد أخرج إذا كان الطقس جميلاً

ولستنتج من خلال هذا ما يلي :

- المضارع
- قد + المضارع
- السين + المضارع
(le conditionnel présent : حاضر الشرطي)

عليها أن نلاحظ أن الشرطي (Le conditionnel) يجر عنه في العربية بالمضارع وحده أو بـ (قد) + المضارع ، أو بالسین + المضارع . ونحن في هذا الصدد نختلف مع مطر الذي يرى بأن الشرطي الفرنسي ينقل مفهومه إلى العربية بواسطة " قد + المضارع " . أضف إلى هذا أننا في بحثنا نفرق بين أنواع الشرطي كما ميّزنا ، من قبل ، بين أنواع الحاضر الفرنسي . وقد اكتفينا بحاضر الشرطي (le conditionnel présent) لأنه هو وحده الذي يحتج من الأزمنة البسيطة .

د - صيغة الأُمر في اللغتين :

في كلتا اللغتين يستخدم الأُمر (L'impératif) لطلب القيام بفعل كما يستخدم للاستعلا ف والرجاء والصح ، الخ ... نحو :

في اللغة الفرنسية

- 1 - Cours (أجر) 1
- 2 Faisons notre devoir (لنقوموا جينا)
- 3 Ayez pitié de nous (أرحمنا)

في اللغة العربية

- 1 - افتح الباب
- 2 - لستفد من تجاربهم
- 3 - ارفق بالحيوانات

وهكذا ، يتبين لنا أن صيغة الأُمر في اللغتين لا تصير عن الطلب فقط . والملاحظ كذلك أن ضمير المتكلم المفرد في صيغة الأُمر ، لا وجود له في اللغتين لأن الإنسان لا يأمر نفسه ، ولكن ضمير المتكلم الجمع موجود في اللغة الفرنسية نحو : " Partons " . وبما أنه بالامكان أن تأمر جماعة نحن منها ، فالتسا نلجأ في اللغة العربية إلى لام الأُمر ، فنقول :
لنشاهد ... لنرحل ... الخ ...

وإذا أراد الفرنسي تقديم طلب أو تصيحة مثلا لنفسه ، فإنه

يجد نفسه مضطرا إلى استعمال ضمير المتكلم الجمع ، نحو :

Quand je suis arrivé, je me suis dit : " attendons, écoutons et disons mot".

(حرفيا : لما وصلت قلت في نفسي : لننتظر ولننتظر ولننتظر ولننتظر عن الكلام - أعني : سأنتظر وسأصفي إلى ما يقال دون أن أبتس ببيت شفة) .

وما يلفت الانتباه هو استعمال ضمير المخاطبة (الفرد والجمع) بكثرة في صيغة الأمر، وذلك في اللغتين العربية والفرنسية . ثم أن ضمير الغائب لا وجود له في الأمر . فلنأمر في أغلب الأحيان إلا الأشخاص الحاضرين ، ولكنه بإمكاننا أن نغطي الغائبين أمرا صريحا عن طريق وسيط من الوسطاء ، وذلك باللجوء إلى لام الأمر في اللغة العربية ، واستعمال المتعلق (حاضر المتعلق) في اللغة الفرنسية ، نحو :

(1) ليستأنفوا عملهم أولا وقبل كل شيء .

(2) Qu'ils reviennent tous .

(ليعودوا جميعا)

وأما فتنة إلى ما تقدم ، فإن صيغة الأمر تستخدم للتعبير عن دعوة

أو اقتراح أو نصيحة أو حث على عمل ما في اللغتين ، نحو :

(1) في العربية :

- تحاربوا ضد نصيحة سيء تعليم من تعاليمنا الدينية والأخلاقية .
- ابتق صنعا ساعة أخرى مع رجاء
- المبذل المجهودات اللازمة لتحسين ستوانا الثقافي .
- على مبذل مجهودات .

(2) في الفرنسية :

- " Sortez " - (أخرج) - أمر صريح .
- " Retirez-vous, je vous en prie " - (انصرف من فضلك) - أمر مشوب بالاحترام .
- " Arrivez de bonne heures à votre bureau " - (صل باكرا إلى مكتبك) - دعوة .

وما يدل على الأمر أيضا في لغتنا :

- المضارع : وذلك عند طلب الفصل بلطف ، ويدل على ذلك سياق

الكلام ، بحقوق القاضي أبي يوسف لمارون الرشيد : " أرى أن
نبحث قوما ممن يوثق بدينهم وأمانتهم يسألون عن سيرة الولاة " (121)

- المصدر النائب عن فعل الأمر ، نحو : رحمة بهم .

- المضارع المقترن بلام الأمر : ليستشر أهل العلم وذوي التجارب

الكثيرة .

- اسم فعل الأمر (وقد تحدثنا عن ذلك في الفصل الأول نحو : صد ،

بمعنى اسكت) .

- المضارع المسبوق بلام النهي ، نحو : لا تكذب ، وأن ما يميز

" الأمر " في اللغة الفرنسية هو الدلالة على الرغبة في التأثير المباشر على
الأخرين ، وذلك ما يبرهن عليه الصدام وجود الضمير والمصيغة الانفعالية

القوية ، فإذا لم يتمكن الفرنسي من التأثير المباشر ، فإنه لا يستطيع
استخدام الأمر ، فيلجأ - آنذاك - إلى المتعلق كما لاحظناه من قبل ،

أو إلى الأمر باستعمال واسطة ، نحو :

1 - Qu'ils attendent (فلينتظروا)

2 - Dites-leur de partir (قل لهم أن يتركوا)

وإذا كان من المسلم به أن للأمر دائما معنى " الطلب " فإن هذا

المعنى لا يستبعد في الفرنسية باستعمال المستقبل (Le Futur) نحو :

Tu termineras cet exercice demain .

(ستنتهي هذا التمرين غدا)

أو كالحاضر نحو :

Tu termines cet exercice immédiatement .

(تنهي هذا التمرين حالا)

وان ما تشجدر الاشارة اليه هو أن اللغة العربية تختلِف عن الفرنسية في هذه النقطة الأخيرة . فاستعمال صيغة المضارع المسروق بالقرينة الزمنية " لن " الدالة على المستقبل مستبعدة في اللغة العربية ، فلا نقول : " لن تخرج " ، بل نقول : لا تخرج . ومهمنا يكن من أمره فان معنى " الطلب " في المثالين الفرنسيين السابقين غير مرتبط بقرينتي المستقبل والحاضر ، ولكنه مرتبط بالناصر السياقية .

ومن الملاحظ أن للأمر والحاضر في اللغة الفرنسية " نفس الدال " ، ولكن الأمر يختلف عن الحاضر بغياب الفاعل واقتضاره على الأشخاص " (122) . أما ماضي المتعلق وماضي الأمر ، فلهما في هذه اللغة الأجنبية " نفس الدال " . ولكن ماضي الأمر يختلف عن ماضي المتعلق بغياب الضمائر الفاعلة واقتضاره على الأشخاص " .

وأخيراً ، فهناك أفعال تدل في اللغتين ، بنفسها ومعناها ، على الأمر ، نحو : أمره أأزم ، وأوجب الخ . . . و " Ordonner " و " exiger " الخ . . . وبمقد أن عرفنا الطرق المتنوعة التي يكون فيها الطلب والأمر في كلتا اللغتين ، فعليها الآن أن نستنتج :

القواعد العامة

① للتحقق في الأمثلة التالية :

- ouvre le porte — أفتح الباب
- Ayez pitié de nous — أرحمنا
- Partez. — . . . انصرف !

فإننا نلاحظ أن الأمر (L'Impératif) يتقابل صيغة الأمر في العربية

Impératif = الأمر
 ↓
 ouvre (la porte) افتح (الباب)

② لنأمل الآن في المثالين التاليين :

Ne mens pas لا تكذب
 Ne volez pas لا تسرقوا

فإننا نلاحظ استعمال النفي مع (L'Impératif) ، ونلاحظ كذلك أن اللغة العربية في هذه الحال تلجأ إلى استخدام لا النافية مع المضارع وتكتب النتيجة كالتالي :

(Impératif (forme négative) لا النافية + المضارع
 ↓ ↓
 Ne mens pas لا تكذب

③ لننظر في المثال التالي :

Tu ne voleras point لا تسرق

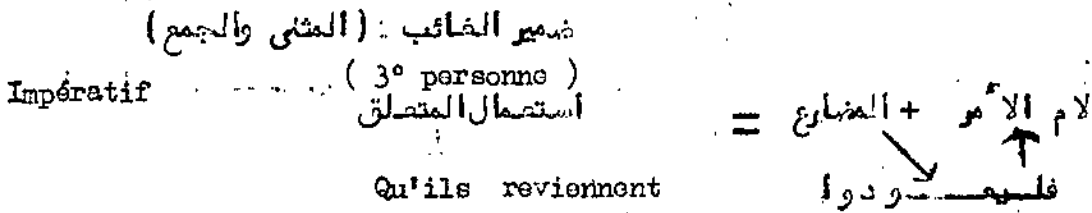
فإننا نلاحظ أن للفرنسية طريقة أخرى تستخدم في الطلب والأمر وتمثيل في استعمال المستقبل (Le Futur) ، ونسهر عن ذلك في لغتنا باللجوء إلى لام النهي والمضارع ، فنقول :

Impératif (emploi du futur) لام النهي + المضارع
 استعمال المستقبل =
 ↓ ↓
 Tu ne voleras point لا تسرق

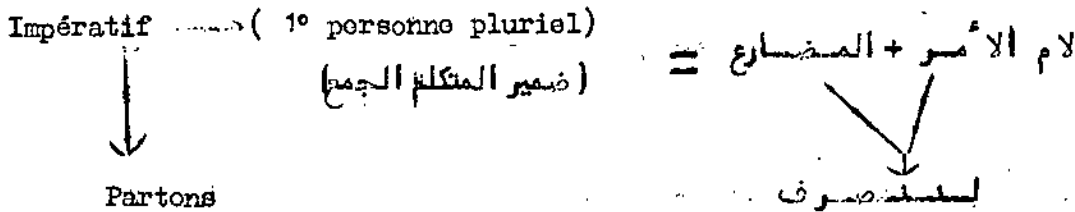
④ ولنتضمن أخيراً في الأمثلة التالية :

- Qu'ils reviennent tous فليعودوا جميعاً
- Partons لننصرف
- Faisons notre devoir : فلنقم بواجبنا

ان أول ما نلاحظه هو أن الفرنسية تلجأ إلى المتعلق (Le subjonctif) لاعطاء الغائبين أمراً ما : " Qu'ils reviennent ... (فليعودوا...) ونحن العرب تلجأ في هذه الحال إلى لام الأمر ، ولام الأمر كما قلنا سابقاً لا تدخل إلا على المضارع . فنقول ، إذن :



والملاحظ في لام الأمر ، في لغتنا أن يكثر تسكينها بعد حرف في المصطف (الفاء والواو) ولو انتقلنا إلى المثاليين الأخيرين لوجدنا أن الفرنسية تستخدم الأمر (L'impératif) ، أما في العربية ، فالمتكلم لا يأمر نفسه عادة . وعند الاقتضاء ، فإننا تلجأ إلى لام الأمر مع المضارع (المنصرف) فنلقم ... فنقول في هذه الحالة إذن :



وقد لاحظنا ، ونحن نبحث في الكتب التي تناولت من قريب أو من بعيد كيفية التعبير عن صيغة الأمر الفرنسية ، أن الإشارة إلى تسكين لام الأمر إذا سبقتها الفاء أو الواو غير واردة تماماً . ولعل هذا راجع إلى أن غيرنا كان منه الوحيد تقديم بعض الملاحظات العامة ، فأعمال بلاشير (Blachère) ودملبين (Demombynes) وفليش (Fleisch) وحجار (Hajjar) ومطرو (Mattar) وغيرهم كمنظرون ، لم تكن مقتصره على الزمن . ولذلك لم تكن دراسة الزمن فيها واقعية .

و - صيغة المتعلق وما يمكن أن يطابقها في اللغة العربية

صيغة المتعلق هي صيغة الشك، ومعنى ذلك أن حدوث الشيء غير موكد، وأنه متعلق على شيء آخر، ويستعمل المتعلق مع "que" (أن) المصدرية) وبعض العبارات غير الشخصية، مثل " Il suffit que ... " (يكفي أن) ، " Il faut que... " (لا بد من ...) " Il est temps que ... " (آن الأوان لـ ...) الخ ...

والمتعلق يطابق المضارع المنصوب في العربية، وغالباً ما يكون، كما قلنا مسبقاً بـ " que " ، غير أن وجود هذا الحرف قبل الفعل لا يعني أن استعمال صيغة المتعلق ضرورية في جميع الحالات، نحو:

" Je pense qu'il est très aimable "
(أعتقد أنه لطيف جداً)

ففي هذا المثال، ظل الفعل في صيغة المثبت ولم يرد شرعية عليه،
أما في المثال التالي :

" J'avais peur qu'il ne fasse mauvais temps "

(كنت أخشى أن يسوء الطقس)

فنرى أن الفعل موضوع في صيغة المتعلق وأن " que " نقلنا إلى العربية بالحرف الناصب، المضارع (أن) .. أما الفعل المنصوب في العربية، فيقابله في المثال أعلاه " fasso " من فعل " faire " . ويصدر المتعلق عن رغبة أو شعور أو خوف . وبإيجاز، فإنه يصبر عن عاطفة، نحو:

Il faut qu'il roussisse.

(عليه أن يجح)

وغالباً ما يستخدم المتعلق في الجمل الناهية، ولكنه يستعمل أحياناً في الجمل المستقلة، فيجبر في هذه الحالة عن طلب أو تمن أو رجاء أو دعوة أو افتراض أو شرط، فيكون مقابلاً عندنا للمضارع المسبوق بلام الأمر في

كثير من الأحيان ، نحو : *Qu'ils s'en aille* . *Qu'il s'en aille* (ليخرج ! ليصرف !)
← طلب ← في مير الخائب في صيغة المتعلق يقوم مقام ضمير الخائب
في " صيغة الأمر " .

أضف الي هذا أن المثبت اذا كان يستخدم بعد أفعال الظن :

Je sais que... (أعلم أن ...) ، *Je pense que...* (أعتقد أن ...) ،

Je crois que... (أظن أن ...) ، *Je vois que...* (أرى أن ...)

J'affirme que... (أؤكد أن) ، *Je dis que...* (أقول أن ...) ، فإن

المتعلق يستعمل بعد الأفعال المعبرة عن الشعور والرغبة والارادة ، نحو :

Je veux que... (أريد أن ...) ، *Je souhaite que...* (أرجو أن ...)

J'ordonne que... (أمر بـ ...) ، *J'exige que...* (أصر على ...)

Je désire que... (أرغب في ...) ، *Je m'étonne que...* (أستغرب أن ...)

Je crains que... (أخشى أن ...) ، *Il est douteux que...* (مما يرتاب

في أمره أن ...) ، الخ ...

فالعمل الفرنسي - اذن - يكون في صيغة المثبت عندما يكون الحدث

حقيقيا ، ويكون في صيغة المتعلق عندما يكون الأمر متعلقا بعمل ثانوي

فعله أو يرغب في تحقيقه أو لتخوف من وقوعه ، ولا يتبدلوي المتعلق

الا على أريضة أزمنة هي : الحاضر والماضي الناقص ومما شكلان بسيطان ،

والماضي والأتم ومما شكلان مركبان .

والمتعلق ومثله كمثمل المثبت ويقابل - اذن - الأشكال البسيطة

بالأشكال المركبة . فالحاضر والماضي الناقص يعبران عن عمل غير منجز نحو :

Il faut que je chante- que je chantasse . (لابد من أن أغني) .

أما الماضي والأتم ، فانهما يعبران عن عمل منجز ، نحو :

Après que j'eusse chanté... (بعد أن غنيت ...)

وما يسترعي الانتباه هو " أن عددًا لا يستهان به من الناطقين بالفرنسية يتعمون "après que" (بعد أن) فمن المتعلق موازاة بيده وبين "avant que" (قبل أن) " (123).

واننا نهمل الحديث عن ماضي وأتم المتعلق لأن رسالتنا لا تهتم إلا بالأفعال البسيطة فقط.

ومن المعلوم أن الفعل المضارع في العربية ينصب إذا سبقته "أن" أو إحدى أخواتها، ولكن يبقى الفعل مرفوعًا إذا لحق بالأداة ضمير متصل، ويجد لذلك شبهة في الفرنسية. فيعد "que" التي تقابل الأداة "أن"، بقول مثلًا:

"Je crois que vous devez..." (أرى أنه يجب عليكم ...)

بينما يقول: "Il faut que vous posiez..." (يجب عليكم أن تضعوا ...)

وتستخدم عبارة "Il faut" دائمًا في صيغة الفاعل المفرد، وهي كثيرة الاستعمال في الفرنسية ويقابلها في العربية يجب أو يلزم أولاً من أولينا أن. ولا بد، بعد هذا من أن نلاحظ أنه يمكن بعد "Il faut" من استخدام المصدر أو صيغة المتعلق، نحو: "Il faut réussir" (لا بد من النجاح!).

Il faut qu'il réussisse.. (لا بد من أن ينجح!).

ولنتأمل الآن في الجملتين التاليتين:

① - Il cherche une dame qui a les cheveux blonds.

(يبحث عن امرأة شعرها أشقر)

② - Il cherche une dame qui ait les cheveux blonds.

(يبحث عن امرأة يكون شعرها أشقر)

فماتان الجملةان متقابلتان بسبب الفارق القائم بين المثبت " a " والمتعلق " ait " . ولا يمكن لهذا الفارق أن يبرز في جميع الجمل . فليس هناك اختيار بين المتعلق والمثبت . وهكذا ، فإننا نلاحظ أن السياق يفرض استعمال المتعلق في الجملة التالية :

Il faut que la dame ait les cheveux blonds.

(يجب أن يكون شعر المرأة أشقر)

فالسباق - إذن - يفرض استعمال المتعلق ويستبعد استخدام المثبت :

فبقول ان التقابل الموجود في هذا السياق محيد أي ملغى (neutralisé) . فالمتعلق يقابل - إذن - المثبت . والفوارق القائمة بينهما تتمثل في أن هناك نظاماً مستقماً للمجموعات الزمنية بالنسبة الى المثبت . أما المتعلق في نظامه يقتصر ، كما أسلفنا الذكر ، على أربع مجموعات زمنية بالنسبة الى الفرنسية المكتوبة .

ويسمح المتعلق بالتعبير عن طلب شيء من الأشخاص الذين لا يمكن لصيغة الأمر أن تأمرهم ، وذلك مع :

1 - أما رابط من الروابط ، نحو :

Qu'il entre . dit le prince .

(قال الأمير : ليدخل !)

2 - وأما بدون واسطة " quo " ، نحو :

Sache que je t'ai encouragé

(اعلم أنني شجعتك)

ويلجأ الى الأشكال البسيطة (للمتعلق) عندما يكون التعبير عن افتراض :

- مع " que " ، نحو :

Qu'il vienne et l'on verra qui sera le plus fort.

(ليأت وسنرى من سيكون الأقوى)

مع قلب الفاعيل : وذلك في الرياضيات حيث غالباً ما يلجأ السامع ضمير الغائب والجماد (أي فعل الكينونة) "être" نحو :
 ... soit un triangle ... (لفرض مثلثاً ...)
 ... soit un nombre ... (لفرض عدداً ...)
 وفي كلتا الحالتين ، توجد أن لام الأمر مع المضارع يؤول في العربية معنى هذا المتعلق .

وعليها أن تشير إلى أن ماضي ناقص المتعلق " لا يستعمل إلا نادراً .
 فان أغلب المتحدثين الذين يريدون استخدامه يخطئون لأنه لا يبدأ بهم من اللجوء إلى المخطط البنياني : الماضي البسيط + / s / . فمؤداه المتحدثون مبالون أذن إلى القول : Je voulais qu'il fisse بدلاً من
 " Je voulais qu'il fit " (124)

وأخيراً ، فإنه نادراً ما يكون للمتعلق معنى خاص " إذ أنه ينجم فني أغلب الأحيان عن قييد من القيود النحوية " (125) وقد ينوب المتعلق عن الأمر في مثل قولهم :
 " Que personne ne fasse de bruit " (ليبتسح كل شخص عن أحداث الضجيج) .

وقد رأينا من قبل أن المضارع (المقترن بلام الأمر أو المسبوق بلا (الناعية) وغيره قد يدل على الأمر أيضاً في لغتنا ، نحو : لا تكذب .
 وهذه الدراسة عن المتعلق (Le subjonctif) تسمح لنا باستنتاج :

الطوائف المأمنة

① لتأمل في المثالين التاليين :

- Qu'il sorte .

(ليخرج !)

- Qu'il vienne .

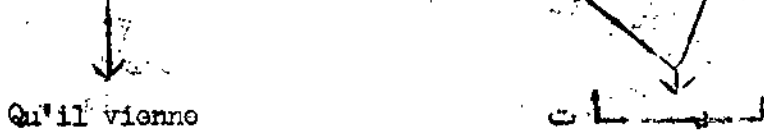
(ليأت !)

(124) - Mahmoudian, Pour enseigner le français, p.259

(125) نفس المرجع ، ص : 274 .

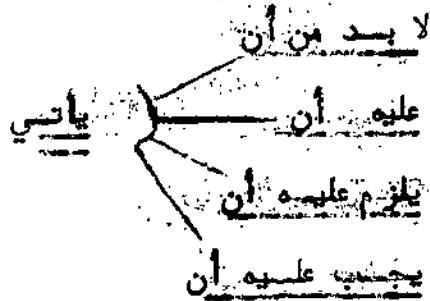
فإننا نلاحظ أن الفرنسية استخدمت المتعلق في حين أن الصيغة لجأت
إلى لام الأمر والمضارع . فنقول ، إذن :

لام الأمر + المضارع = المتعلق (Le Subjonctif)



② للتضمن في المثال التالي :

Il faut qu'il vienne



فالملاحظ أن الصيغة صيغا تغييرية عديدة لسقل مفهوم هذا الزمن
أي حاضر المتعلق . وتتلخص ذلك كما يلي :

لا بد من أن + المضارع المنصوب = présent du subjonctif
(حاضر المتعلق)

③ لننظر في المثال التالي :

Il fallait que vous apportassiez (ce dossier)

كان عليك أن تأتي (بهذا الملف)

فإن أول ملاحظة تدونها ، نستقيها من " لاروس " . وتتمثل هذه الملاحظة

في أن ماضي ناقص المتعلق (l'imparfait du subjonctif) لم يجد اليوم مجدياً في الجملة

المتعلقة . فيكفي أن نقول (il fallait) الذي هو ماض ناقص ، بدون استعمال

"... apportassiez" وقد استغني عن التعبير الأول (il fallait que vous apportassiez)

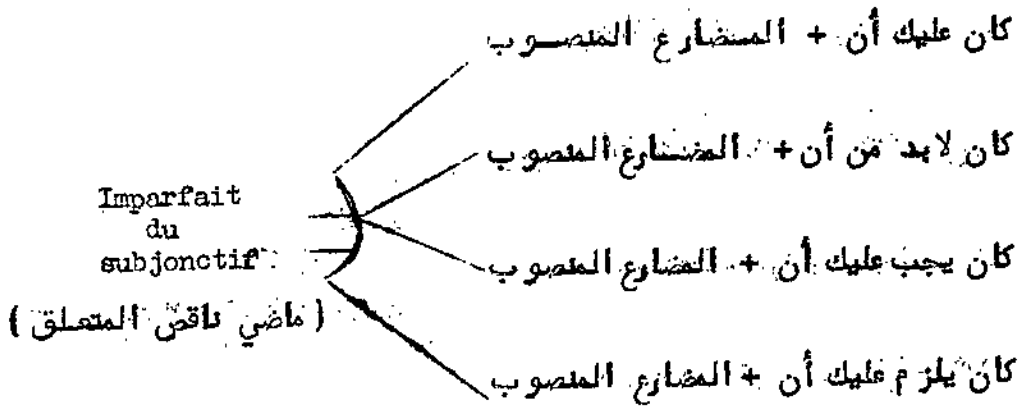
بالتعبير التالي :

Il fallait que vous apportiez (ce dossier) (126)

ومهما يكن من أمر، فإننا في كلتا الخالتين نقول في لغتنا :

كان عليك أن تأتي بهذا الملف .

وستخلص من هذا ما يلي :



بعد هذا البحث الدقيق ، علينا أن نلاحظ أن هناك صيغة اتحادية

(Synthèmes) كثيرة تؤدي نفس المعنى في اللغة العربية . وهذا لم يشر

إليه غيرنا للسبب الذي ذكرناه في صفحة () . ثم أننا نجدنا عن

ماضي ناقص المتعلق (L'imparfait du subjonctif) لأنه من الأزمنة البسيطة

الفونسية ، في حين أن غيرنا لم يحدث عن المتعلق بصفة عامة .

- Chevalier (J.-C.), Benveniste (C.) Arrivé (U.), Peytard (J.) (126) Grammaire-Larousse du français contemporain, page 361-2.

(7) - الغائبة :

ما نحن قد فرغنا به باذن الله وعونه - من هذا العمل النظري الشاق الذي نحن مدينون فيه للأستاذة المؤطرين عموماً ، وللدكتورين حمدان حاجي والزبير سعدي خصوصاً ، إذ لولاهما لركنا الى اليأس .

ونحن ، إذ لم تقدم بهذا البحث لسيل درجة الماجستير ، نعلم أنه محدد الموضوع والمدف ، ونذكر أن أوجه التقص فيه كثيرة ، وأنه يتحتم على الذين يأتون من بعدنا أن يضيفوا الى النتائج المتواضعة التي توصلنا اليها ، ما قد تجود به قرائحهم لأن التطور سنة الحياة .
ومهما يكن من أمر ، فإنه يمكن تلخيص ما خرجنا به من هذه الدراسة العلمية في النقاط التالية :

- * أن لكل لغة ميزاتها وأساليبها الخاصة للتعبير عن الزمن .
- * أن اللغة العربية تعبر بدقة فائقة عن الفروق النسبية للزمن بفضل :

- (1) القرائن الزمنية .
- (2) وسياق الكلام الذي له دور كبير في تحديد الزمن .

ان اللغة الفرنسية تعبر عن الزمن في أغلب الأحيان بصيغ الفاعل المختلفة ، وفي قليل من الأحيان بسياق الكلام . ونحن نعتقد اعتقاداً راسخاً ، بعد عملنا هذا ، أن الذين يروجون منذ زمن طويل ، عن قصد أو عن غير قصد ، أن اللغة العربية تأصرة عن التعبير عن الفروق السببية للزمن مخطئون كل الخطط . فكل ما في الأمر أن العرب لم يمتطوا تسمية خاصة لكل زمن كما فعل ذلك الفرنسيون وغيرهم . وأنني - الحق أقول - وجدت أن لغتنا قادرة على أن تعبر عن أي زمن من الأزمنة الفرنسية ، لا بطريقة واحدة ولكن بطرق مختلفة في بعض الأحيان .

واننا بحد هذا العمل النظري ، ننتقل إلى العمل التطبيقي
الذي يمثل القسم الثاني من بحثنا والذي يتمثل في نقل الكتاب
المذكور في المقدمة إلى اللغة العربية .

المصادر

(1) - محمد ديب :

- الدار الكبيرة ، ترجمة سامي الدروبي ، مكتبة أطلس ، دمشق ، 1960 .
- الحبر يهيق ، ترجمة سامي الدروبي ، مكتبة أطلس ، دمشق ، 1965 .
- البينول ، ترجمة سامي الدروبي ، مكتبة أطلس ، دمشق ، 1961 .
- Mohamad Dib , La grande maison, Editions du Souil, Paris, 1952.
- Mohamad Dib, L'incendie, Editions du seuil, paris, 1954.
- Mohamad Dib, Le métier à tisser, Editions du seuil, Paris, 1957.

(2) - مونتاي (فاسان) :

- " مجموعة من النصوص المختلفة الأسلوب " من كتاب " العربية الحديثة " ، مكتبة كلينكسيك ، باريس ، 1960 .
- Montoil (Vincent) , "Recueil de textes de différents styles"
in 1(arabe moderne, Klincksieck, Paris, 1960.
- Monteuil (Vincent) , Anthologie bilingue de la littérature arabe contemporaine, Imprimerie catholique,
Beyrouth, 1961.

المراجع العربية

- (1) ابراهيم (مصطفى) ، أحياء النحو ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1957 .
- (2) ابن المقفع ، الأدب الكبير والأدب الصغير ، دار الفكر ، بيروت ، 1966 .
- (3) ابن الأثير ، (أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد) ، نزهة الألباب في طبقات الأديباء ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، 1968 .
- (4) ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله) ، شرح ابن عقيل ، ألفية على أافية ابن مالك ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، 1956 .
- (5) ابن قنبر (أبو بشر عمرو بن عثمان المعروف بسبيويه) ، الكتاب ، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ، دار القلم ، القاهرة ، 1967 .
- (6) ابن يعيش ، شرح المفصل ، إدارة الدعاية المنيرية ، بمصر ، القاهرة ، (دون تاريخ) .
- (7) ابن هشام (أبو محمد) ، مفني اللبيب عن كتب الأعيان ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، (دون تاريخ) .
- (8) الأزهرى (زين الدين أبو الوليد) ، التصريح على التوضيح ، المطبعة الأزهرية ، القاهرة ، 1965 .
- (9) الأشموني ، شرح ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1965 .
- (10) أنيس (إبراهيم) ، من أسرار اللغة ، المطبعة الأندلسية ، القاهرة ، 1958 .
- (11) أنيس (إبراهيم) ، دلالة الألفاظ ، المطبعة الأندلسية ، القاهرة ، 1958 .
- (12) بكر (عبدالوهاب) ، النحو العربي ، نشر الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، 1971 .

- (13) بوخلخال (عبدالله) ، التصبير الزماني عند النحاة العرب ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1987 .
- (14) الاسترا باذي (رضي الدين) ، شرح الكافية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1969 .
- (15) تمام حسان ، اللغة العربية معانها ومبناها ، المراجعة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، 1973 .
- (16) الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) ، البخلاء ، دار المعارف ، تونس ، 1989 .
- (17) حسن (عباس) ، النحو الوافي مع رطله بالأستاذ الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة ، ج 1 ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، 1963 .
- (18) الرماني (أبو الحسن علي بن عيسى بن عبدالله) ، معاني الحروف ، تحقيق عبد الفتاح اسماعيل شلبي ، مطبعة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1973 .
- (19) الزجاجي (أبو القاسم عبدالرحمن بن اسحاق) ، الايضاح في علل النحو ، تحقيق د. مازن المبارك ، دار الفنايس ، بيروت ، 1979 .
- (20) زكريا (ميشال) ، الألسنية التوليدية والتحويلية وتواعد الخمسة العربية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1983 .
- (21) الزمخشري (أبو القاسم محمد بن عمرو) ، المنفصل في علم العربية ، دار الجيل ، الطبعة الثانية ، بيروت ، 1969 .
- (22) الصاحبي ، (أبو الحسين أحمد بن فارس) ، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، تحقيق مصطفى الشويمي ، مؤسسة بدران للطباعة والنشر ، بيروت ، 1964 .
- (23) طحان (ريمون) ، الألسنية العربية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1972 .
- (24) ظاظا (حسن) ، الساميون ولغاتهم ، دار المعارف ، القاهرة ، 1971 .

- (25) السامرائي (ابراهيم) ، الفصل زمانه وأبنته ، مطبعة العاني ، بغداد ، 1956 .
- (26) السامرائي (ابراهيم) ، فقه اللغة القارين ، دار الصلح للملايين ، بيروت ، 1968 .
- (27) السامرائي (ابراهيم) ، مباحث لغوية ، مكتبة الأندلس ، بغداد ، 1971 .
- (28) السيوطي (جلال الدين) ، الأشباه والنظائر في النحو ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العظامية ، حيدر أباد ، 1898 .
- (29) السيوطي (جلال الدين) ، معجم اللوامع ، بتصحيح محمد بدر الدين النيسابري ، دار التصريف للطباعة والنشر ، بيروت ، (دون تاريخ) .
- (30) وافي (علي مهدي الواحد) ، علم اللغة ، النهضة ، القاهرة ، 1944 .
- (31) وافي (علي مهدي الواحد) ، اللغة والمجتمع ، دار النهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، 1972 .
- (32) فهدرييس ، اللغة ، ترجمة محمد القصاص ، معهد الحفصيد الداخلي ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، 1950 .
- (33) مبارك (محمد) ، فقه اللغة وخصائص العربية ، دار الفكر ، بيروت ، 1968 .
- (34) نور الدين (عصام) ، أبنية الفعل في شافية ابن الجاوي ، (دراسات لسانية ولغوية) ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1982 .
- (35) جبارون (عبد السلام محمد) ، الأساليب الانشائية في النحو العربي ، مؤسسة الخالجي بمصر ، مكتبة المثلثي ببغداد ، 1959 .
- (36) ياقوت (أحمد سليمان) ، في علم اللغة التقابلي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1985 .

القواميس :

- الدمشقي (محمد متير) المعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم ،
التراث الاسلامي للتوزيع والنشر ، باندنة ، 1939 .
- المسدي (عبد السلام) قاموس اللسانيات ، الدار العربية للكتاب ، تونس ،
1984 .
- أسبر (محمد سعيد) وجنيد (بلال) ، معجم الشامل في علوم اللغة العربية
ومصطلحاتها ، دار العودة ، بيروت ، 1985 .

المجلات والدوريات :

- حامد (عبد القادر) ، معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم ،
مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ج 10 ، 1958 ، وج 13 ،
1961 .
- المقاد (عباس محمود) ، الزمن في اللغة العربية ، مجلة مجمع
اللغة العربية بالقاهرة ، ج 14 ، 1962 .
- فليم (سيد محمد) ، مفهوم الزمن عند الطفل ، عالم الفكر ، مجلة
دورية تصدرها وزارة الاعلام في الكويت ، المجلد 8 ، عدد 2 ،
سنة 1977 .

المراجع الفرنسية

- (1) Bonhamouda (Ahmed), Morphologie et syntaxe de la langue arabe, SNEED, Alger, 1983.
- (2) Benveniste (Emile), Problèmes de linguistique générale, Editions Gallimard, Paris, 1974.
- (3) Chevalier (J.C.), Benveniste (C.B.) Arrivé (M.), Poytard (J.), Grammaire Larousse du français contemporain, Librairie Larousse, Paris, 1964.
- (4) Court 5 Georges), La grammaire nouvelle à l'école, P.U.F., Paris, 1968.
- (5) Dubois (Joan) , grammaire structurale du français : le verbe, Librairie Larousse, Paris, 1967.
- (6) Hajjar (Joseph)N.) Traité de traduction, Dar El-Machreq, Beyrouth, 1986.
- (7) Genouvrier (Emile) et Poytard (Jean), Linguistique et enseignement du français, Librairie Larousse, Paris, 1970.
- (8) Imbs (J.) L'emploi des temps verbaux en français moderne, Colin, Paris, 1960.
- (9) Mahmoudian (Morteza), Linguistique fonctionnelle . P.U.F. Paris, 1979.
- (10) Mahmoudian (Morteza) , Pour enseigner le français, P.U.F, Paris, 1976.
- (11) Martinet (André), Grammaire fonctionnelle du français, CREDIF-Didier, 1979.
- (12) Martinot (André), Syntaxe générale, Colin, Paris, 1985.
- (13) Martinot (André), Eléments de linguistique générale, Colin, Paris, 1980.
- (14) Mattar (Antoine.C.), La traduction pratique, Dar-El-Machreq, Beyrouth, 1986.
- (15) Meillet (A.), et Vendrasgas (J.), Traité de grammaire comparée de langues classique, Librairie ancienne, Paris, 1948.
- (16) Mitterand (H.), Los mots français, " que sais-je ? " n° 270, 1963.
- (17) Monteil (Vincent), Anthologie bilingue de la littérature arabe contemporaine, Imprimerie Catholique, Beyrouth, 1961.

- (18) Rat (Maurice), Le verbe, éditions garnier Frères, Paris, 1964.
- (19) Saussure (Ferdinand de), Cours de linguistique générale, Payot, Paris, 1963.
- (20) Souché (A.) et Grunonwald(J.), grammaire française, éditions Fernand Nathan, Paris, 1964.

Dictionnaire :

- Martinot(André) (Sous la direction de), La linguistique : guide alphabétique, Editions Denoel, Paris, 1969.

Revue :

- Flosch (Henri:S.J.), Sur l'aspect dans le verbe en arabe classique, Arabica- Revue fondée par E. Levi-provençal, volume XXI- Fascicule 1/ Janvier 1974.

المصطلحات الواردة باللغتين في الرسالة

- monovalent	أحادي الاستخدام
- Article défini	أداة التصريف
- temps simples	أزمنة بسيطة
- temps composés	أزمنة مركبة
- ordre.....	ترتيب
- syntagme	تركيب
- syntagme verbal	تركيب فعلي
- syntagme autonomisé.....	تركيب مؤظف
- commutation	استبدال
- comparatif de supériorité	تفضيل التفوق
- comparatif d'égalité	تفضيل التساوي
- comparatif d'infériorité	تفضيل النقص
- Opposition	تقابل
- thème	جذر
- proposition relative	جملة صلة الموصول
- proposition subordonnée.....	جملة التسمية
- présent de l'indicatif	حاضر المثبت
- aspect	حدث
- signe	دليل
- signe linguistique	دليل لفظي
- signifiant	دال
- signifiant zéro	دال منعدم
- signifiant discontinu.....	دال متقطع
- signifiant amalgamé	دال ممزوج
- copule	عماد

- adverbale..... ظرف
- syntème صيغة اتحادية
- modos صيغ
- phonèmes حروف المباني
- morphèmes وحدات نحوية
- pronom indéfini..... ضمير غير محدد
- syntaxo علم التراكيب
- linguistique .contrastive..... علم اللغة التقابلي
- éléments subsidiaires عناصر مساعدة
- désinenco لاحقة
- verbe فعل
- verbes actualisateurs أفعال محققة
- verbes irréguliers أفعال ذات تصرف غير قياسي
- modalité قرينة
- modalité verbal..... قرينة فعلية
- modalité temporelle..... قرينة زمنية
- nomme وحدة معنوية
- monèmes relationnels وحدات المعاني العلائقية
- passé..... ماض
- passé simple ماض بسيط
- passé composé..... ماض مركب
- imparfait ماض ناقص
- passé antérieur ماض سابق
- plus- que- parfait ماض أتم
- connecteurs روابط
- lexeme وحدة معجمية
- avalont مبهم الفاعل
- signifié مدلول

- corpus مدونة
- indicateur de relation مؤشر الارتباط
- infinitif مصدر
- ↳ actif مهلي للمعلوم
- passif مهلي للمجهول
- indicatif مثبت
- complément d'objet indirect مفعول به غير مباشر
- futur مستقبل
- futur périphrastique مستقبل تركيدي
- participe مشترك
- subjonctif متعلق
- superlatif absolu مبالغة مطلقة
- superlatif relatif مبالغة نسبية
- énoncé ملفوظ
- énoncé minimum قول أدنى
- prédicat مسند
- sujet مسند اليه
- sujet lexical مسند اليه محملي
- constituants immédiats مكونات مباشرة
- neutralisé ملغى
- chaîne formée سلسلة مغلقة
- prédicatoire شبه مسند
- présentatifs وحدات اخبارية

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	الآية	السورة
88	أياك نعبد و أياك نستعين .	الفاتحة ... 5
45	قل ان تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله .	آل عمران ... 29
62	يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً .	30
	بلى من أوفى بعهده وأوفى فان الله يحب المقيمين . 17	75
47	أذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم .	124
50	ربنا اغفر لنا ذنوبنا وأسرارنا .	147
45	كما بدأنا أول خلق نعيده .	104
106	ان أحسنتم أحسنتم لأفسكم .	8
44	ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق .	33
39 — 46	يا ليتنا برد ولا تكذب بآيات ربنا ونكون من المومنين	27
39	وما تسقط من ورقة الا يعلمها .	59
34 — 38	سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذهم .	6
53	فان لم تعملوا ولن تعملوا فانتقوا النار	24
48	وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه	75
38	قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل .	91
35	وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره .	144
	ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين .	150
126	يسألوك عن الخمر .	219
49	كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون .	3ر 4
116—42	ان الله بيء من المشركين ورسوله .	3
2	فان تطهروا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا	5
122	سبيلهم ان الله غفور رحيم .	
122	لو خرجوا فيكم ما زادكم الا خبالا .	47
40	أليس الله بأحكم الحاكمين .	8

31	وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها .	11 .	الجمعة . . .
85	فموفي عيشة راضية في جنة عالية .	21 .	الحاقة . . .
49	ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة .	63 .	الحج
33	لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم .	31 .	الحجرات
43	لكي لا تأسؤا على ما فاتكم .	23 .	الحديد
43	كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم .	7 .	الحشر
44	يسوم تنقوم الساعة .	12 .	السرور
123	فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره .	3 .	الزلزلة
42	ولسوف يعدلك ربك فترضى .	5 .	الضحى
42	وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .	227 .	الشعراء
124	ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة .	3 .	الشمورى
	لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا .	1 .	الطلاق
46	ليتفق ذو سعة من سعته .	7 .	
45	لعلنا نبلغ الأسباب ، أسباب السموات فأطالع .	37 ر 36 .	غافرة
43	أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه .	9 .	فاطر
83-33			
116			
45	ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق	7 .	الفرقان
45	والذين لا يشهدون الزور .	72 .	
43	ليخفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تتأخره .	2 .	الفتح
95	فموفي عيشة راضية .	6 .	القارعة
54	لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا .	18 .	الكهف
33	ان أعطيتناك الكوثر .	1 .	الكوثر
42	ان تنصروا الله يدنصركم .	7 .	محمد
116	سأرهقه صعودا انه فكر .	17 .	الندوة
41	يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى .	6 .	مریم

- 45 يهذب من يشاء ويخفر لمن يشاء .
- 43 سراة عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم .
- 43 أو أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين .
- 40 المائدة
- 6 المنافقون
- 10
- 7 النجم
- 1 الحمل
- 58
- 19 النساء
- 73
- 142
- 106
- 57 النمل
- 22 النور
- 70 الواقعة
- 40 يونس
- 45
- 72 يونس
- 125

فهرس الموضوعات

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع :</u>
1	تمهيد
9	الباب الأول : الفعل في اللغة العربية
41	اللفظ
43	الوحدة المعنوية
17	التركيب
18	الفعل
20	التمييز بين الفعل والتركيب الفعلي
20	الحدث والزمن
28	الفعل الماضي
30	دلالة الفعل الماضي على الزمن الماضي
32	دلالة الفعل الماضي على الزمن الحالي
33	دلالة الفعل الماضي على الزمنين : الماضي والاستقبال
38	الفعل المضارع
39	دلالة المضارع على الحال والاستقبال
39	دلالة المضارع على الحال
41	دلالة المضارع على الاستقبال
47	دلالة المضارع على الزمن الماضي
49	الأمر
52	خلاصة
53	القرائن الزمنية
58	الفصل الثاني :
59	العربية والفرنسية لغتان كسائر اللغات
60	الجملة في اللغتين : العربية والفرنسية

62	أصل المشتقات
63	الترتيب
64	الفصل في اللغتين
66	المبني للمجهول في اللغتين
69	المثلي والجمع في اللغتين
71	التفويض بين الفعل والتركيب الفلصي في اللغتين
74	القرائن في اللغتين
90	الحدث والزمن في اللغتين
94	أزمة المثبت الفرنسي وما يمكن أن يقابلها في اللغة العربية
96	حاضر المثبت
101	الماضي الناقص
109	الماضي البسيط
112	الماضي الأتم
114	الماضي المركب
114	الماضي السابق
115	المستقبل
120	صيغة الشوطي وهل هناك ما يقابلها في العربية
128	صيغة الأمر في اللغتين
131	صيغة المتعلق وما يمكن أن يطابقها في العربية
141	الخاتمة
143	ملحق المراجع
144	المدونة
145	المراجع العربية
149	المراجع الفرنسية
151	المصطلحات الواردة باللغتين في الرسالة
154	فهرس الأليات القرآنية
157	فهرس الموضوعات
159	أبواب الشاخي: التطبيق

154 فهرس الآيات القرآنية
157 فهرس الموضوعات
159 الباب الثاني : التلخيص

محمد يوسف شامي

الجزائر في ظل
المسيرة الليبرالية

الجزء الأول:

(المنظمة السريية)

ترجمة:

محمد الشريف بن دالي حسين

تخلو هذا لذكسرى كل الذين
بذابوا مهجتهم في سبيل القضية
الجزائرية .

— إلى جميع الشهداء ، فقدم الله الصلي القدير ،
برحمته الواسعة .

— إلى جميع المناضلات والمناضلين الذين أخلصوا
للقضية الوطنية .

— إلى الشعب الجزائري المنتزع أعجاب العالم ،
خلال الكفاح المسلح الذي خاض فماره ، من
أجل تحرير وطنه . فقد تحمل التضحيات
الجسام ، إيماناً منه بمدالة قضيتهم .

لماذا تحظى الجزائر ، منذ عشرات السنين ، بالاهتمام العام العالمي ؟ فمما لا ريب فيه ، ان الصفحات التالية ، ستبين للجميع ، بعد قراءتها ، سبب ذلك . فهي تتضمن شهادات جديدة ، ومصادر تدعو لاتتضب .

ان الجزائر التي يعتز بها مواطنوها ، على اختلاف نزعاتهم ، جزائر الكفاح التي تنتزع التضامف والود . وشجاعة أبنائها ، تظل تنتزع الاعجاب العام العالمي .

هذه الجزائر ، تتقدم ، اليوم بخطى متسدة ، لتحقيق ، دوما ، الأهداف التي حددتها رجالها الذين اجتهتهم . فالعقل ينظم والارادة تقرر ، والحرية هي وحدها التي تلمم وتوحى بالقسم والشهامة وجب الوطن ، فهي توصي بالسلم . ولذلك ، لا تتأ كسند الحرية الا في السلم أي في الاقرار بالحقوق ، اعلى في الاستقلال ، ولكن للحرية ثمن يتمثل في الآام . والصفحات التي ستقرأونها ، تنروي في كثير من التواضع ، هذا النزاع الفائن القائم بين الانسان بنضجه المكلوم ، ونفسه العذبة ، وبين مصيره .

وازاء ذلك كله ، هناك اللحدراك والاضطهاد . ومن ثم ، كان النزاع . ونشأ عن ذلك ، تنظيم الكفاح : فكان كفاحا منسظما وسرييا ، هدفه تحرير البلاد .

الجزائر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

ان الجزائر أول أمة تم احتلالها ، وآخر أمة أحرزت على استقلالها ، في تاريخ المضروب الصربي الحديث .

فالبلد الجزائري يتألف من سهول خصبة تمتد على مدى البصر . وعلاوة على ذلك ، فان أراضيها تحتوي على ثروات معدنية واسعة . وكل ذلك ، دفع الأمم الأجنبية الى الطمع في احتلال الجزائر . فالفكر الجماعي الذي كان يجتسح فرنسا - آنذاك - قد استحدثت حكومة شارل العاشر التي كان الشعب غير راض عنها ، على ان تقدم على المقاومة الجزائرية . وبعد الشروع في الاستعمار - شيئاً فشيئاً - على امتداد التراب الوطني كله . ولم يكن ذلك أمراً عابثاً . ومهما يكن من أمر ، فقد تصدى المستبد المقيم الأخلاقية الأساسية التي كان الشعب الجزائري يمتاز بها . فتعرض هذا الشعب ، بعد أن صعدت قوات الاستعمار الحقائق والوحشية ، لعملية منهزمة تتمثل في طمس معالم شخصيته ، واختلال أبنائه . وجدّ العدو في ذلك حصن ثقافتة الشعب الجزائري كما أكسب على مراقبة دينه ، ابتداء القضاء عليه قضاءً مبرماً . وهكذا ، حرم الشعب الجزائري المسلم ، من جميع الحقوق والرتب التي كان من المقروض أن يتمتع بها كل مخلوق آدمي . وأصبح هذا الجزائري عبارة عن شيء من الأشياء التي يملكها الغالب . ومما لا ريب فيه ان احتلال الجزائر لم يتحقق دون أن تكون قد أعدت لذلك خطة محكمة . وتمثلت اللوحة الاستيطانية الأولى في الجندى والمستوطن والمبشر . وكان كل ذلك ، قد سبق أعداد قانون استعماري نموذجي يكمن في البلديات المترجمة ، ومناطق الجنوب ، وقانون الأحوال الشخصية ومرسوم رينيهيه (Régnier) . وخلال أول صليل الأسلحة الذي كان بتاريخ 5 يوليو 1830 ، شجنت الحملة العسكرية الفرنسية أقدامها ، وتوطدت بسيندي فرج . وتمكنت بحشها من أن تطيح

بالوصاية التركمية على البلاد الجزائرية . وانقل العدو الذي استنهض
معهم ذلك الانتصار السوري الذي أحرزه خلال الأشهر الأولى ، إلى
غرب البلاد ، للقضاء على مقاومة السكان الملتفين حول قائدهم
الأمير عبدالقادر الذي لا يزال في عنفوان شبابه . وبعد مقاومة عنيفة
دامت سبع عشرة سنة ، احتلت فرنسا - البلاد الجزائرية - واعتبرتها ،
منذ ذلك الوقت ، مستعمرة لا بد من أعمارها . وبسط الفرنسيون سلطانهم
على الجزائر بعد الحكم العثماني . وهكذا ، خلف محتل عثماني آخر
فالاحتلال ، في نظر الجزائريين ، متواصل ، يفرضه أسيا د جدد . وبعد
عملية الغزو ، امتدت يده الاستعمارية إلى جميع أطراف البلاد . فأصبح
الأجنبي سيداً في البلاد ، بعد كل تلك الحوادث العسكرية الناجمة
عن الاحتلال ، وبعد زوال تلك التقسيم الأخلاقية الأساسية التي كان
الشعب يتحلى بها . واستمرت الأمور على تلك الحال إلى أن جاء فاتح
نوفمبر 1954 . فتحل محل - آنذاك - تكافؤ القوى ، وأخذت بتصادق
الحرية تجلجل في سماة الأوراس بملقاتها النارية الأولى .

1830 - 1962 : كانت 132 سنة من الاحتلال ، قد حملت الشعب
الجزائري على أن يعاني أشد العذاب . فشاهد اغتصاب ترابيه الوطني ،
وسلب أراضيه ، وتمزق أحواله الشخصية نتيجة لنقل السكان من مكمان
إلى آخر . وعمل المستبد على المساس بالدين الاسلامي الذي أصبح تحت
الرقابة الاستعمارية ، كما قام بمحاولات تصدق إلى التصيير في عقور دار
الاسلام ، وإلى الحط من شأن اللغة العربية إذ انزلها منزلة اللغات الأجنبية .
فصار لها - بذلك - دور مضمين . وجد في تعويده الحقائق التاريخية ،
وفي تطهير قانون الانديجينا ، ومرسوم ينسيه . وعرف الأهل السي
تلك المضايقات التي تستهدف اذلالهم وأمانتهم ، وتلك التصرفات
الاستعمارية التي تدل دلالة قاطعة على أن مؤلاة المستوطنين من أنصار
الاسترقاق . ومما قام به الطفلة كذلك ، تزوير الانتخابات ، وتحويل رجال
الشرطة إلى جلا ديسن . ترى ، كيف يمكن للمرء أن ينسى جميع
هذه الحقائق ؟

1830 - 1962 : كان على جميع الجزائريين ، بعد أن تصدوا لاولئك الاقطاعيين المحتلين الذين أرسلوا لشن الهجوم على جيش عبدالقادر ، وعلى بهم : بيجو (Bugeaud) وزاندون (Randon) وكافيدياك (Cavaignac) وسانت أربو (Saint-Arnaud) والدوق ديروفيغو (Duc de Rovigo) ويوسف (Yusuf) أن يقاوموا ورثة هؤلاء الأتذال من أمثال عبو (Abbo) وليستراد - كاربونيل (Lestrade-Carbonel) وعشياربي (Achiary) الذين دفعتهم المنصرمة التي تملاً قلوبهم الى اقتراف مختلف الجرائم في حق الجماهير الشعبية القاطنة بالقطاع القسطنطيني ، في يوم 8 ماي 1945 . ثم ما فتئ أن يبرز للوجود أبطال فاتح نوفمبر 1954 ، الذين كانوا بالمحصار لأوغاد من أمثال سالان (Salan) وماسو (Massu) وبيجار (Bigeard) وغيرهم من أولئك الذين دفعتهم روح الاستقام التي أصبحت تغذيهم ، وعقوب الهزيمة الكراه التي ملوا بها بالمدد الصينية ، الى أن يصبوا جام غضبهم على سكان المدن والأرياف .

1830 - 1962 : مضت 132 سنة من الحروب والاحتلال الاستعماريين . وكان على فرنسا ، وهي - آنذاك - دولة صناعية كبرى ، أن تستخدم جيشاً عموماً ، وجنوداً ممرسين على الحرب في ميادين القتال الأروبية المختلفة ، وأن تعتمد على جنودات تم تكوينهم في عهد الامبراطورية ، وأن تلجأ الى ماضيات ما ان تبرم حتى تفسخ ، كي تتمكن من القضاء على الأمير ، بعد أن خانه بعض من ذويه . وكان عبدالقادر ، رجلاً شهماً ومثقفاً . وكان إضافة الى ذلك ، بطلاً شجاعاً ، تمتع بحظوة كبيرة لدى الشعب .

وتلا ذلك كله ، والقدر المحتوم : فتعددت آلام الهزيمة المبرحة . وفرض على ابن هاشم البطل ورفقائه ، الاغتراب المؤلم . وذاق الجميع مرارة النفي والتفكيك . وتفاعس لاموريسييار (Lamoricière) عين واجباته اذ نقض الاتفاق الذي يقضي بإرسال الأمير الى الشرق .

وخالفت فرنسا وعودها . وحل ذلك الزمان الذي أخذ التصرف فيه يستردد بين القزاة وفرنسا ان الشرب الجزائري . ولم يستيقن المحتلون بادئ ذي بدء ، بأنهم بسطوا سلطانهم على البلاد .

وخابت آمال الفرسان ، أولئك الأهداء الذين لا تزال في قلوبهم جراحات عميقة ، وهم يعيشون في حوض أسرم . ومنها يكن من أمر فان استيطان الفرنسيين الأوائل في الجزائر ، لم يكن الا فترة هدره . ومقتتة ، اذ لم تكف الروح الثورية عن التصوفى نفس الجزائري الذي أمسين شوأمانة ، وقد رسخ في ذهنه ذاك الثالوث الذي كان يشكل على الدوام ، القانون الحي لكل عمل يقوم به . ويمثل هذا الثالوث في : الله والشرف والوطن . وتحدثى العلماء والاشراف والفلاحون ، للجزاة ، في جميع أنحاء البلاد ، غربا ووسطا وشرقا . وخلال الانتفاضات المنظمة ، رفض كل من بوعمامة والشيخ عبد العزيز والافاطمة والمقراشي وبومعزة وبومزرق ، وضعه الجديد ، اعني وضع المفلوب . فراح كل واحد منهم يضايق ، كل بدوره العدو بخاراته . وكانوا جميعا بذلك يصيدون ، كل مرة ، قواعد النظام القائم ، الى بساط البحث . وقالبا ما سيلا حظ المرء هذا الحماس الشعبي الشامل عبر تاريخ الجزائر حين كان الشعب يعيش في ظل الاستعمار . انه حماس يصير عما كانت تمتاز به الجماهير الشعبية من ارادة ثابتة ورفعة شديدة في التسليح لخوض غمار الثورة . التحريرية . وساعدت أساليب الكفاح المتنوعة على غرس الروح القتالية الجديدة في نفس الجزائري المؤمن بالوحدة . فدشأ عن ذلك ما يضرف بالوعي الجماعي الجديد . وبومن كل ذلك ، على ان الجزائري الذي عاش تلك السنوات التي قاوم فيها الأمير ، العدو ، وشهد الانتفاضات العظيمة ، وادرك ما تقوم به كتائب جيش التحرير الوطني من أعمال ، فقد عقد العزم ، وهو في كل مكان ، يواجه أحداثا سياسية ، على أن يموت دفاعا عن مبادئه . ولهذا السبب ، رفض كل ما من شأنه ان يجعل معه شخصا لياالي بمضيره الخاص . وأصبح همه بتفضيل هذا النظام أو ذاك متناقضا ، مادام كل نظام يربطه بفرنسا ، وينكر راحته في الحرية ، فالحكومات

الفرنسية ، بدءاً بشارل العاشر (Charles X) وختاماً بديخول ، كلها — سواء كان النظام المتبني ، ملكياً أو جمهورياً (بما في ذلك حكومة فيشي) — كانت تسعى للحفاظ على الشاىبة التي يريد الاستعمار بلوغها . ولذلك ، تكتلت ضد الشعب الجزائري . وافضل من ذلك ، فلم تمتد أطراف الامبراطورية الفرنسية ، في ظل النظام الملكي بقدر ما امتدت في ظل الجمهورية : ويكفي أن نشير الى أنه قد تم احتلال الأنام (Annam) والطونكين (Tonkin) ، والكومبوج (Combodge) وتونس والمغرب الأقصى وسوريا ولبنان ، في ظل النظام الجمهوري . وتدين فرنسا بكل ذلك لقضائيل الهيمنة التي يمارسها نظامها . وفي الحقيقة ، فإن النظام الفرنسي ، كلما زعم أنه جمهوري ، كثراستعماره واستعباده الشعوب الأخرى . فاعدت الجمهورية ، لاستعمال محدود . ولم يلعب بمزايا نظامها الا الفرنسيون أنفسهم . اما خارج الحدود الفرنسية ، فكان كل نظام جمهوري ينتهج نفس سياسة " العظمة " الزائفة التي كان ينتهجها النظام الملكي . وكان ، اضافة الى ذلك ، يتمسك بنفس اللوايا التوسعية التي تشبهت بما للنظام الملكي . وهكذا ، فإن الاستعمار كان قد وضع الجزائري بين فكسي كماشة . وكانت فترة الحرب ، مثلها كمثلى فترة السلم ، تذكرة دون توقف ، بخضوعه الدائم للنظام القائم . فلم يصد الا طجمة لمدافع السلطة الاستعمارية أو عجداً للمستوطنين الفرنسيين . وأنه سيقتل او يلقى أو يزوج به في السجن في حالة ما اذا راودته يوماً ، فكرة استرجاع هويته الوطنية . وهكذا ، فإن النفي والحبس والمعتقل والموت ، كلها كانت أمورا تذكره بأن نطاق حدوده ضيق جداً . وأنه بصحابة أخرى ، ما كان يلهي للجزائري ، أن يصبح حجر عثرة في وجهه الاستعمار . فكان يعاني المساواة البالغة والمتزايدة ، الناجمة عن ألوان العذاب المختلفة التي يفرضها عليه النظام الاستعماري الذي توطدت أركانه بسبب 132 سنة من اضطهاد الشعب والتحكم فيه . وأصبح جحيم الاستعمار لا يطاق ، على كسر الأسياس . وباستثناء نوع من التأييد الذي كانت تمليه بعض الظروف والذي كان يستمد من بعض الزوايا

وبعض المجموعات الاجتماعية - الثقافية ، فلم يكن للفلاحين (الجزائريين) أية حركة منظمة ومتسكة ليقاوموا النهب والاستغلال المستشريين الذين كانوا يذمهم من ضحيتهم . ولم يقيم الشيوعيون والتقايبيون ، في ذلك العهد ، بأي نشاط من أجل أن يوجهوا أهل الفلاح ، ويسيروهم في الاتجاه الصحيح . أما بشأن الحركة الوطنية ، فلم يكن لها ، بالرغم من ميالها الشعبية ، أدنى قاعدة ، ولم تقم بأعمال ملموسة ومبرجة . فكانت تدغدغها آمال غامضة ، تكمن في الكفاح الوطني ، على المدى البعيد . وكانت على كل حال ، آمالا ، تتجلى خاصة في الاهتمام بالانتخابات . ومع ذلك ، فلم تتأخروا ولم يذمهم القوى الريفية عن مشاركتها في جميع الانتخابات والمظاهرات وقبول التحديات . فكان الايمان يملأ قلبها ، وكان يحملها على الكفاح . لذلك ، لم تدخر قدرتها على بذل النفس والشهس في الظروف المناسبة . وانه لمن المؤسف ، الا يكون قد شعر أي حزب سياسي أو أية حركة تقابلية بضرورة النشاء حركة ريفية معينة ومدرجة في المنظمة المركزية الوطنية أو التقدمية ، لأن سكان الأرياف لو زودوا بهذا الجهاز القادر على جمع طاقاتهم التضالعية الكامدة التي يتمتعون بها ، لكانوا قد وجدوا في تلك الحركة ، ما يوحد بين جميع الاتجاهات السياسية ، وما يمكنهم من مجابهة النظام الاقطاعي ، ومن توشير الشروط الموضوعية للكفاح ، ولا تدي ذلك كله ، الى تعجيل تحرير البلاد . فليس زودت هذه الجماهير الواعية بعلاقات العضوية التي تربطها بالنظام القائم - بذلك الجهاز - لتكن من أن تلتحم بمطالبها ، على اعتبار انها ضحية الاستعمار الأولى . فمعي بمآذن - قدرة - والحالة هذه - على أن تدرك ان المستوطن محتل أجنبي ، ومحتكر القوى المنتجة ، وحليف الرأسمالية . ولما تصدر اعداد الطبقة الريفية الكادحة من أجل تعبئة اديولوجية متواصلة ، جمد المتقدميين والاصلاحيين في محاولة الحاق الجزائريين بفرنسا ، مستخدمين جميع الوسائل . واعتمدوا في ذلك على بعض الاصلاحات السطحية الصادرة عن ادارة باريس ، أكثر مما اعتمدوا على المبادرة الى الكفاح الذي كان بإمكان الجماهير أن تخوضه . وكانت نداءاتهم

تطلق من المبادئ الأساسية للديمقراطية الى القيم الاخلاقية ، ومن الواقعية السياسية الى بذل مئات الآلاف من الجزائريين ، مهجتهم ، في غضون الحربين الكوليتيين اللتين اشعلت نارهما ، في منتصف هذا القرن . وحيال هذه النداءات المتكررة ، فان السلطة الاستعمارية التي لها خلع في كل جريمة يرتكبها النظام القائم ، لن تفسر شيئاً من الاوضاع السياسية والاقتصادية التي تعيشها جماهيرنا المضطهدة . وكان لابد من أن نستظر تأسيس اللجنة الثورية للاتحاد والعمل ، بوثقة المناضلين العاملين من أجل القضية الوطنية ، وحلول فاتح نوفمبر 1954 ، للشهد ميلاد واستمرار ثورة شعبية مسلحة ، برهنت في آخر الأمر ، للنظام القائم ، على أنه لا يمكن له أن يتحكم في الملايين من الرجال والنساء الذين استخف بهم واستغلهم بلجوثه الى اعمال العنف والتعسف طيلة 132 سنة .

ولكن الصفحات التالية عبارة عن شهادة متواضعة يؤدّيها واحد من المناضلين الجزائريين الكثيرين الذين تشرفوا بخدمة شعبهم . فلم يطمح المؤلف بعمله هذا ، الى تصنيف كتاب في التاريخ أو في شرح الأحداث التاريخية ، ولكن الوقائع المذكورة ، اذا ما تكنت من أن توضح ، بطريقة أو بأخرى ، المراحل القاسية التي مرّ بها كفاح التحرير الوطني ، فان الجهود المتواضعة المذولة ، لن تكون عديمة الجدوى

المحور الكونية الثانية

الحرب الكوسية الثانية

انه من المحروبة بمكان عظيم ، ان يضرب المرء صفحا عن انتشار الجيوش الألمانية في غرب أوروبا . لقد كان حقا ، انتشارا لا يقاوم . فكان التفوق النازي يتأب ، وبدون شفقة الجهاز الحربي الذي كان في حوزة " الاثنلاف الودي " . وكانت خمسة عشر يوما كافية لتحرر ، صبيحة يوم من أيام ربيع 1940 ، دولتين من كبريات الدول الاستعمارية ، من أوهمام السقوة أو العظمة التي كانت تستحوذ على تفكيرهما ، وذلك بالرغم من تمسهما بتقلبات التاريخ . فكانت فرنسا ، مثلها كمثال لأهقنة تستعيد صحتها وهدوئها ، بعد هذه الحرب المجهينة . وكان الأسي يملأ قلبها ، من جراء ما رافق ذلك كله من اضاف معنوياتها ، وما لحق بها من خسائر مادية وبشرية . وقد أصبح حدثا واقعيا ، ما كان غير متوقع . وصار المستحيل حقيقة . واخفى الأسد البريطاني ، لمدة مديدة ، مخالفه كما أخفى الديك النالي صيخته . ثم ان خذل ماجينو (1) (Maginot) السذي كانت الاستراتيجيات العسكرية الفرنسية تعتبره تحفة من التحف ، لم يكن في الواقع الا قلعة تافهة بالنسبة للخبراء الألمان الذين عرفوا ، بدهائم كيف يتفادونه . فاتجهوا الى الممر الواقع في سلسلة الأرديسن (Ardennes) الجبلية ، حيث كانت القيادة الفرنسية تعتقد ، بكل سذاجة ، ان الأخراج الموجودة بالمكان ، كفيلا بأن توقف زحف العدو . وكانت 21 فرقة مكونة من الصفرة العسكرية ، تزدهم في السرايسب الواقعة بين مدينتي بال (Bâle) وسيدان (Sedan) . وكانت كلها مشلولة الحركة ، ومحرومة من وسائل النقل . فصارت - بذلك - عديمة الجدوى . وكانت القوات الجوية الألمانية مدعمة بفرق مدرعة جدا حديثة . وكان قد بلغ بها تطاولها

(1) ماجينو : (1877-1932) : مهندس ورجل دولة فرنسي . ولد في باريس . بني خطا للدفاع عن الحدود الشرقية عرف باسمه (المترجم) .

حدا جعلها تفرض أساليبها القتالية في كبد سماه أوروبا المحتلة . وكان الجيش النازي بأعماله الباهرة قد وضع ، للمرة الأخيرة ، وللأبد ، حرب الخنادق التي عفى عليها الزمان ، في محفوظات تاريخ الحروب . وكتب ريموند كارتيه (Raymond Cartier) (2) ، آنذاك ، ما يلي : " كانت حالة الضعف القصوى التي عرفها الجيش الفرنسي تنكمن في فكر جهالاته " . وافتت هذه الحرب الخاطفة انتباه السكان الجزائريين عموماً ، والطائفة الإسلامية خصوصاً . وكانوا يجدون مهتمين بهذه الحوادث التاريخية وغير أن الطائفة الإسلامية كانت قد عقدت الدية على الاستفادة من العبر المستخلصة من هذه الحوادث التي من شأنها أن تقلب رأساً على عقب ، جميع تلك المعطيات الخاصة بنظام قسيم بأئمة . وما هي الجزائر المناضلة ، تدرك في ذلك الحين ، نوعاً من ديناميكيا التاريخ ، وتستعد ، في خضم تلك المعارك ووسط تلك النيران ، للتحويلات التي ستطرأ على العالم ، مستقبلاً . ومما لا يجب فيه ، أن الانتصارات السريعة التي أحرزها الجيش الألماني ، قد دحضت كسل المزايم العسكرية التي كانت تعتمد ما فرنسا الاستعمارية . وأضرت هذه الانتصارات بسرعة فرنسا ، ونالت من هيبتها لدى بقية دول العالم . وإضافة إلى ذلك ، فقد أضعفت محنويات الأروبيين القاطنين بالجزائر . ففقدوا ، بذلك ، شيئاً من غطرستهم ، بينما كان السكان اليهود يتحصنون فسي " أحيائهم اليهودية " . وأصبح الأروبي والمسلم يندثران إلى بعضهما البعض في شيء من الحقد . وكانت الموة تزداد ، مع تقادم الزمن ، اتساعاً بين الكتلتين أي بين الجزائريين المسلمين والأروبيين . فنتج عن ذلك ، وضع متوتر ، وعداداً كامن في النفوس . وقررت اللجنة العسكرية الألمانية ، بعيد المدة ، أن يكون فدوق ألتي (Alotti) (السفير حالياً) مركز قيادتها ، بينما اتخذت زميلتها أي اللجنة العسكرية الإيطالية قراراً يحصل من " فدوق الوصاية " مقر قيادتها . وتحددت ، آنذاك ، مهمة قوات المحور ، بدقة . وتمثلت هذه المهمة في مواصلة تصعيد الحرب ،

- Raymond Cartier : Histoire de la seconde guerre mondiale. (2)

انطلاقاً من الجزائر . فالسكان الأوروبيون الذين لم تكن هذه أول مرة -
يعكسون فيها اتجاههم ، قد غيروا سلوكهم وأراءهم ، تغيراً تاماً ،
مكرمين على ذلك من لدن حكومة فيشي . فارتدوا القبعة العسكرية وكأنهم
بذلك يقولون : " مشير ! (مارشال) ... هانحن !... " وأخذوا يعربون
عن نوع من التباهي الذي به يكشفون - علانية - عن موهبتهم
الاستعمارية القاسية . أما الطائفة الاسرائيلية ، فوجدت نفسها - مرة أخرى -
بين ليلة وضحاها ، منزلة ومتيقظة ، في آن واحد . وكان لابد لها
من هذه الحصافة لأنها كان من الممكن النيل من سمعتها أو تجميدها
ممتلكاتها أو تجريدتها منها . وكان قلق الاسرائيليين شديداً ، لأن
كافة الملكيات العقارية والمتاجر (تموين بالجملة ، دور السينما ، متاجر
كبيرة ، تجارة الحلي والمجوهرات) تكاد تكون كلها في حوزتهم . وعسى
الوقائع التي حدثت في شكل "خطوط منكسرة" والتي ذهب ضحيتها
اليهود ، فانه يمكن أن نشير الى أن كثيراً من الحوادث الجديدة ستبين ،
بأسها ب ، ان الجزائريين المسلمين كانوا في الأيام القصبية ، يشكلون
دعامة فريدة في نوعها للطائفة اليهودية التي كانت هدفاً لكل ما كانت
تقوم به حكومة فيشي من أعمال القمع والارهاب . وبالفعل ، فقد
أصبح من المألوف أن يسجل الاسرائيليون ملكياتهم العقارية - وذلك
بمجرد ابواب عقد تعويل - بأسماء أصدقائهم المسلمين الذين كان عليهم
أن يرجعوا الى أصحابها بعد انزال جيوش الحلفاء . وقام بعضهم
الاسرائيليين بائدياع مجوهرات أسرفهم وأغراضهم الشخصية لدى الجزائريين .
وسيعيد المسلمون هذه الأمور المودعة كلها ، في الوقت المناسب ، الى
أصحابها الشرعيين . وقد وجد الاسرائيليون الآخرون الذين كان رجال
شرطة نظام فيشي وعملاؤهم يبخثون عنهم ، ملجأ لممتلكاتهم ، وحماية
لها لدى كثير من الأوساط الجزائرية . فلم يكن المسلمون هم الذين
ينظمون ضد اليهود تلك المظاهرات المنصرمة المعروفة ، ولكن الذين
كانوا يفعلون ذلك ، هم المالطيون والألاسبان والايطاليين ، وأصحاب الأقدام
السوداء الكاثوليكين عامة . فمؤلاً جميعاً هم الذين كانوا ينظمون تلك

المظاهرات على إطلاق ضيق . فكانوا يكسرون دكاكين اليهود ليحتجوا على المنافسة التي تبيدها طبقتهم الاجتماعية الجديدة المتكونة من صغار التجار . وكان ألبير - بول لانتان (Albert-Paul Lantin) وهو صحافي من أصحاب الأقدام السوداء قد لاحظ حين حلل درجات الاستخفاف المتنوعة بالجزائر ، ان الفرنسيين كانوا يحتقرون الاسبان الذين يزدرون اليهود . وكان هؤلاء اليهود يحتقرون بدورهم ، العرب (3) . فخلال الحرب الكونية الثانية ، الخس نظام بيتان (4) ، وهو نظام مناهض لليهود ، مرسوم كريميو . وطيلة هذه المدة كلها (كثير من هم اليهود الذين أودوا ذلك للموت لف نفسه) لم يسجل أي أثر من آثار مقاومة اليهود في الأحياء الاسلامية . ويتحدث آجرون (Ageron) في كتابه : " الجزائر يون المسلمون وفرنسا من 1871 - الى 1919 " عن تصرفات العصبة المقاومة لفضو اليهود و القاطنين بالبلاد الجزائرية ، بقيادة رئيسها ماكسميليان - ريجس ملانو (Maximilien Régis Milano) الايطالي الاصل ، فيقول : " لقد قام الأروبيين القاطنون بالجزائر في نهج باب عزون بمسيرة ، وهم يرددون : " يحيا الجيش ... ليسقط اليهود " ، ويحرقون صورتي دريفوس (Dreyfus) وزولا (Zola) وكان الأروبيون ينظمون مظاهرات صاخبة ، مناهضة لليهود ، عبر شوارع العاصمة الجزائرية " .

وما نحن نورد مثالا آخر : لقد قرر المجلس البلدي بوهوان ، عزل جميع رجال الشرطة الاسرائيليين ، ورفض طلبات المنح المدرسية الستة التي تقدمها له اولياء الطلبة والتلاميذ الاسرائيليين ، وطرده المجلس البلدي بقسنطينة ، العرض الاسرائيليين من المستشفى ، كما رفض منح التلاميذ الاسرائيليين الأدوات المدرسية ، الخ

(3) - Histoire de la guerre d'Algérie par Alistair Horne-Albin Michel.

(4) بيتان (فيليب) (1856-1951) مشير فرنسا . من كبار القواد في حرب 1914
1918 . اشتهر خاصة في معركة فردان (Verdun) . رئيس الحكومة الفرنسية أيام
الاحتلال الألماني (1940-1944) ، حكم عليه بالإعدام (1945) . توفي في
السجن (المترجم) .

وإنه لمن سخريمة الثدر ، أن أصبح المرء يلاحظ فيما بعد - أن هؤلاء اليهود أنفسهم قد تضامنوا مع الإدارة الاستعمارية التي تلاومتهم سنة 1945 ، وسنة 1954 . فالتاريخ يجعلنا ندرك اليوم ، الأسباب التي من أجلها ، لم يعد أي إسرائيلي يعيش في وطننا . أن إدارة فيشلي بالجزائر ، حرصاً منها على مواصلة مجهود الحرب ، قد أخذت تستجلب لصالحها ، جميع ثروات البلاد المادية والبشرية . وكان الشبان الذين تمت تمبثهم بالقوة ، ويوسلون إلى مصسكرات العمل الإجباري في المنطقة المحتلة ، بسبل مناك منهم من كان يرسل إلى ألمانيا . وكانت في حوزة هؤلاء الشبان المسخرين للعمل ، قسراً - وهذا أمر بديهي - أوراق تشير إلى أن أصحابها " متطوعون " . وما هي ههنا النهب الاستعمارية ، والمصادرات العسكرية قد اتخذت الجزاء مقرأ لها . وأدى ذلك كله إلى الجوع ، وبتهجته الطبيعية المتمثلة في بطاقات التعميم . فكان الخبز واللحم والسكر والزيت والسميد ، الخ . . . مواد تخضع جميعها لتوزيع دقيق ، حصص معينة . وما عتمت عواقب سوء التغذية أن ظهرت للمبان . فالتشمرت جميع أنواع الأمراض ، وفكت حتى النفوس بسكان القرى والندراوير والمداشر ، وأودت بحياة الجزائريين ، ذكورا واناثا ، على اختلاف أنواعهم . وأصبحت المواكب الجنائزية ، تستعقب ، في حين أن مواشي المستوطنين كانت أحسن حالا ، وأجود صحة ممن الأهالي ، إذ كانت تعلق ويمتني بها ، وقاية لها من جميع الأوبئة . وفي الجنوب الجزائري ، عاش السكان في الآلام والمآسي المفروطة . فكان الموت من نصيب كل واحد . وأصبح الموتى من الناس والبهائم يعرضون للأبصار ، إذ كانوا يشكلون ركام جثث يعجز المرء عن وصفه . وإنه لفظر ، مرعب ، حقا . فكانت مدن مشرقة وبوكتوب ، والبيض وعين صفرة . . . تشمل بالنسبة للجميع بداية نهاية العالم . وإنها لذكرى مشهومة ، حقا . وكانت الإدارة الاستعمارية قد اعتقدت ، آنذاك ، أنها ستكشف عن مكشوف صدرها ، وطبيعة خاطرها ، وإنها ستوقف هذه المأساة بإرسال أربعين طننا من التمور الجافة ، إلى المناطق

المتضجرة . . . وتبين - فيما بعد - ان تلك الكمية ، زهيدة ومثيرة للسخرية في نفس الوقت ، اذ أنها تكاد تكون غير كافية لإطعام قطيع من قطعان الخنازير الموجودة في حوزة أي واحد من المستوطنين .

إنها المأساة حقاً ! . . . وقد كانت هناك عائلات ترفض التصريح بموطئها ، هدفها الوحيد من ذلك ، أن تتمكن ، دوماً ، من الاستفادة ميسرة " بطاقت التوطين المشوهة " ، ابتغاء البقاء على قيد الحياة .

وبإيجاز ، فإن بؤسنا لا يرحم ، قد انتشر في الوطن . والأخطر من ذلك كله . . . تلك اللامبالاة ، وذلك الازدراء اللذان أمربت عليهما الإدارة الاستعمارية تجاه السكان المسلمين ، ضحايا الجفاف والقحط . فاللامبالاة والازدراء . . . لا يضاعفهما إلا جسيخ هذه الإدارة المستهدة ، وما كانت تمتاز به من عنصرية فطرية ، ولكن هذه الحوادث العروضية ستكون في آخر الأمر ، ميمونة ومفيدة للوعي الوطني . فاستنتج الجزائريون بحزم وثبات ان لاشيء يمكن أن يأتيهم من الخارج ، لينتشلهم من وضعهم البائس والمخزني ، والمشوب بخطأ تاريخي . فهذه الحالة المأساوية والمحرقة فسي نفس الوقت ، قد منحت حزب الشعب الجزائري ، فرصة استفسلال هذه الحوادث ليقتضي مناضلوه الثوريون في اندفاعهم ، على المقسوات المناوئة للحزب الوطني .

حقاً ، لقد كانت الموة تزداد اتساعاً ، بين الأُمالي والمستوطنين .

فكان يقطن بالجزائر في تلك الحقبة من الزمن عالمان أوطانستان متباينتان يتمثلان في الأروبيين والجزائريين المسلمين ، وبكل موضوعية ، فقد شجعت هذه الحالة ، المناضلين السياسيين المنخفتين ، على ممارسة نشاطاتهم . فأخذوا يدركون ، شيئاً فشيئاً ، هذه الحقائق الواقعية التي كان الشعب كله يعيشها . وزج ، في تلك الفترة ، بكثير من مسؤولي

حزب الشعب الجزائري (5) السياسيين في السجون ، ووضع البعض منهم تحت المراقبة الخاصة . ويمكن لنا أن نذكر من هؤلاء المسؤولين مصالي الحاج والأحول حسين وأحمد مزغنة وأحمد بودا ومحمد طالب الخ . . . وفوق ترابنا الوطني ، نشأت في خضم هذا الواقع الحافل بالحوادث المأساوية ، منظمة الشبيبة الجزائرية الثورية بقيادة الأوسون دباغين الذي كان - آنذاك - الأمين العام للحزب السري . وط هذا الحزب إلا حزب الشعب الجزائري المتصدر من نجم شمال إفريقيا . وهكذا ، أصبح هؤلاء الشبان المناضلون الذين حركت الممارك السياسية الوطنية مشاعرهم ، يشعرون - أكثر فأكثر - بضرورة إشعال نار الثورة المسلحة لتحرير البلاد ، من لير الامبريالية الفرنسية . هؤلاء المناضلون ، هم أنفسهم الذين سجدهم ، مرة أخرى - على مر الأيام - في المنظمات الشبه العسكرية الخاصة ، وتعني بذلك المنظمة السرية ، واللجنة الثورية للوحدة والعمل ، وجبهة التحرير الوطني . وأنهم هم الذين سيحملون السلاح ، لتحرير الجزائر من الاستعمار المظلم .

(5) حزب الشعب الجزائري : انشئ به باريس بتاريخ 11 مارس 1937 ، عقب الأمر الصادر من حكومة ليون بلوم (في عهد الجبهة الشعبية) والقاضي بحل نجم شمال إفريقيا . تحول إلى الجزائر العاصمة - فيما بعد - فصحف انتشارا شعبيا ، بفضل أفكاره الثورية التي راجت لدى الجماهير الجزائرية .
زعيمه : مصالي الحاج .

سزول الجيوش الأة لجلزسة
والأسةوكسة في السسلا
الجزائرسة .

نزول الجيوش الأنجليزية والأمركية
في البلاد الجزائرية

8 أكتوبر 1942.

ان تقريراً متعلقاً بالسكان الأروبيين ، قد أطلع مسؤولي لجنة شباب بلكور⁽¹⁾ عقب اجتماع أسبوعي عقده ، في أكتوبر 1942 ، على أن السلطات تستعد للحدث التاريخي الهام الذي سيقع في البلاد الجزائرية . فقد علموا بأن نزول الجيوش الأمركية على الأبواب . و صدر هذا اللبأ عن والد مناضل ، كان - آنذاك - ملحقاً في مقر عمالة العاصمة . فقامت لجنة شباب بلكور بتدوين ذلك اللبأ ، وأوصت المسؤولين أن يخصصوه طي الكتمان . وما عثم أن حدث ما يؤكسد خبر نزول تلك الجيوش ، بتاريخ 8 نوفمبر 1942 . وبالفعل ، فان الجنرال كلارك (Clark) مساعد الجنرال ايزنهاور (Eisenhower) قد بلغ ، في 23 أغسطس ، على متن إحدى الفرواصات ، الشاطيء الجزائري ، بالقرب من شرشال ، حيث التقى في دارة أحد المستودعين ، بالجنرال الفرنسي ماست (Mast) ، وزوده بجميع المعلومات المتعلقة بالخطة الموسومة لنزول جيوش الحلفاء . و حضر هذا اللقاء السبي روبرت مورفي⁽²⁾ (Robert Murphy) ، المبعوث الشخصي للرئيس روزفلت (Roosevelt) . وفي ليلة ما بين 6 و 7 نوفمبر 1942 ، أيقظ روبرت مورفي ، في شبي من الصلف ، الجنرال جوان (Juin) الذي كان يقطن بدارة الزيتون ، الواقعة بالأبيارة ، والذي تلقى ، وموفي منتهى الدهشة ، لبأ نزول الجيوش . وفي الشد ، أي في 8 ماي ، احتلت كتائب المتأمرين ، بالقوة العسكرية ، مكتب البريد

(1) لجنة شباب بلكور : منظمة سرية تابعة لحزب الشعب الجزائري . وكان محمد بلوزداد ، مسؤولاً عنها .

(2) روبرت مورفي (Robert Murphy) ديبلوماسي يمارس مهمته ، بالانصالية الأمركية الواقعة بالجزائر العاصمة ، وقد أدى دوراً هاماً في كل ما يتعلق بتحضير نزول الجيوش الأنجليزية الأمركية في البلاد الجزائرية .

المركزي ، والمراكز الأدارية ، ومطار الدار البيضاء (مطار بومدين حاليا) .
وظل المسوؤلون الفرنسيون ، أمام هذا الأمر الواقع ، يجهلون جميع جزئيات
الخطة المرسومة لنزول جيوش الحلفاء . ولم يثق الأمريكيون بأولئك
الذين كانوا يمثلون نظام فيشي بالبلاد الجزائرية ، فوضعهم موضع
شك وريبة . وفي نفس الوقت ، حملت الاستعدادات الخاصة بنزول
الجيوش ، ر . م . مورفي ، على تجاهل القضية الوطنية الجزائرية ، تجاهلا
تاماً . فاكتمل باقتراح يتمثل في توزيع السكر والأقمشة القطانية
على بعض السكان . وسيتبين ، أن هذا الاقتراح ، تدبير ينم عن عقلية
أبوية ، ويهدف في الحقيقة ، إلى تسهيل عملية نزول الجيوش الانجليزية
والأمريكية . وعليه ، فقد تمّ نزول هذه الجيوش ، دون مصادمة دموية
عسيفة ، ودون أي شكل من أشكال المقاومة . فلم يسجل إلا بعض القتلى
الذين كانوا ضحايا سرايا المدفعية الساحلية المتمركزة بديدار المحصول ،
(قلعة الأتواس سابقاً) (Fort des Arcades) . وما عثم أن أبرم كل من الوفد
الرسمي الإنجليزي - الأمريكي ، بقيادة ر . م . مورفي ، والسلطات العسكرية
الفرنسية الراهضة بالجزائر العاصمة ، اتفاقاً يقضي بوقف إطلاق النار . وكان
ذلك ، بقلعة الإمبراطور (Fort l'Empéreur) ، بالمكان المعروف بالثريين
(Les Tagarins) . وكان من نتائج هذا الاتفاق الأولي ، أن حمل الأسطول
الفرنسي الذي كان يرسو بتولون (Toulon) ووهران على أغراق سفنه .
وبالجزائر العاصمة ، اغتال شخص يدعى بونيه دي لاشابيل (Bonnier)
(do la Chapelle أمير البحر دارلان (Darlan) القادم من مدينة فيشي
كمبعوث للمارشال .

وبحثت وضعية الحرب المقلعة هذه ، الرعب والفرع في نفوس
الجنود الفرنسيين ، خلال مدة لا بأس بها من الزمن . واذ ذاك ، خلف
الجنرال جيرو (Giraud) أمير البحر دارلان في وظيفة المفوض السامي ،
بالبلاد الجزائرية . وفي لندن ، أطلع ديغول (De Gaulle) قائد

القوات الفرنسية الحرة على نسيب نزول جيوش الحلفاء . وكان ذلك عن طريق وزارة خارجية إنجلترا . وكانت الامبراطورية الفرنسية - آنذاك - مقسمة الى ثلاثة أقسام ، هي :

- المقاطعات الوافية للجنرال ديشول .
- والمقاطعات التي يدير شؤونها ، رجال الجزائر العاصمة .
- وفرنسا ذاتها التي يحكمها لافال (Laval) .

وقد فتحت الامبراطورية الفرنسية أعينها على صفحة جديدة . فتطور هذه الحوادث الجارية بالبلاد الجزائرية وبشمال أفريقيا ، وتصريح ويلسون (Wilson) (- ميثاق الأطلسي -) الذي يمنح جميع الشعوب حقتها في تقرير مصيرها بنفسها ، قد أيقظا النسيم الوطني الجزائري ، وشعنا جميع الطبقات الاجتماعية على التمسك بقنيتها الوطنية ، تلك المقضية التي كانت منطبعة في ذاكرة أبناء الجزائر . ونتج عن ذلك كله ، تيسار القومية الذي لا يحرفه المودة الى الورا . ثم ان آفاقا جديدة ستنتظمح الجزائريين على مطامحهم التي أخدمت جذوتها ، حتى ذلك الحين . وكانت هذه الحوادث قد عجلت أزمة الامبريالية الفرنسية ، وأملت على المناضلين الوطنيين كل ما ينبغي أن يضطلعوا به من أعينها . لقد كانوا ، وهم يد واحدة ، يحتفظون برباطة جأشهم ، وكانت الضرورة تفرض عليهم ، أن يرصدوا تطور هذه الحوادث التاريخية دون أن يحددوا موقفهم (3) . ولكنهم كانوا مصممين على أن يستولوا على الأسلحة أيضا وجهدت . . . وبرزت للوجود تدابير الرأفة والمشفوق ، عقب نزول جيوش الحلفاء ، وانسحاب ادارة فيشي . وهكذا ، اطلق سراح بعض المعتقلين السياسيين . واستفاد بعض مسؤولي

(3) في مطلع الحروب التي دارت رحاها بين دفتي 39 و 40 ، فصل سبي جيلالي وعمار خيضر (لاينبشي أن نخلط بينه وبين محمد خيضر) عن الحزب ، بسبب عواطفهما تجاه ألمانيا النازية التي كانا ينتظران منها وسائل مادية للقيام بشورة في الجزائر .

حزب الشعب الجزائري ، ممن وضعوا تحت المراقبة الخاصة ، مسن اجراءات العفو الشامل . وضاعفت منظمة حزب الشعب الجزائري ، في خضم هذه الظروف الوطنية ، مجهوداتها . وقامت بأعمالها النضالية ، بلا توقف . وكان فرحات عباس ، قد عدل ، منذ قليل ، عن سياسة الاندماج . وخذت جمعية العلماء حذوه . وبالنسبة " أحباب البيان والحرية " ، برز للوجود تيار حركة وطنية : فدشاً أول تجمع وطني ، بفضل مبادرة أخذها مسؤولو حزب الشعب الجزائري . وبقي الحزب الشيوعي الجزائري وحده يعمل على مامش الأمة الجزائرية . فظل ينادي بسياسة الاندماج .

لجنة شهاب بكور

أو

التدريب على الأعمال المضائية .

لجنة شباب بلكور
أو التدريس على الأعمال الخيرية

تأسست لجنة شباب بلكور ، منذ 1942 - 1943 . وحدث ذلك ، بتحويل سياسي من محمد بلوزداد الذي يعتبر الروح المحركة لهذه المنظمة الثورية . وعليها - خدمة للتاريخ القصصي - أن نشير إلى أن بلكور ، كانت تعرف - قديما - باسم عين سمان ، لا باسم سيدي محمد (اسم مرابط أطلق - فيما بعد - على مقبرة الحي) . فكان الطغاة ، وهم يسكرون على درب الاحتلال ، على أحسن من الجمر ، ليقوموا بفرنسة كل شيء : فغيروا اسم عين سمان ، وأصبح الحي ، منذ ذلك العهد ، يسمى (بلكور) ، وهم اسم بيطار ، كان بصفتهم صاحب محطة عربات سفر ، يستقبل المسافرين والتجار . وكانت لجنة شباب بلكور ، تقوم بمهامها - منذ 1942 .

وكانت ، على اعتبار أنها منظمة ودلنية ، تقوم بشاطاتها ، في خفاء تام ، وقد تخلصت من روح الترفه ، ومن الذمينة العشائرية والروح الحزبية . وهكذا ، أصبحت بفضل عزمها الضالية التي لا تقهر ، تعمل من أجل الاستقلال الوطني . وكانت لجنة شباب بلكور ، منذ تأسيسها إلى فاتح نوفمبر 1954 رأسا من رؤوس المجموع المستخدمة في الثورة التي أخذت تخطو خطواتها العملاقة . ولا عثم أن كشفت اللجنة عن اغراض الكفاح المسلح للجامير التي أخذ وعيها يزداد يوما بعد يوم . فصار للجنة مخابري عديدة ، ومأو متنوعة . وأصبحت تتناز بقدره التنظيم ، وتتمتع بقواعد الاتصال المختبرة . وشكلت هذه المنظمة في آن واحد ، الملجأ الآمن لجميع المضطهدين السياسيين ، والممر الأفضل لكل الذين سيقاومون الاستعمار . وعرفت اللجنة نفوذوا شعاعا كبيرين . وهي تعدين بكل ذلك لا بن الجزائر البار محمد بلوزداد المولود فسي نوفمبر 1924 بالجزائر العاصمة ، والمتحدر من أسرة متواضعة . وقد استزع عن يدارة واستحقاق ، شهادته التكميلية العليا ، بالرغم من جميع ما كان يعترض طريقه من عقبات ناجمة عن الادارة الاستعمارية . وكان موظفا من موظفي الولاية العامة بوصفه ملحقا في قسم أرنستينوس بيرك (Augustin Borquo) .

وكان عليه أن يتخلى عن منصبه لأن مصالح الشرطة الاستعمارية أخذت تستغتنبه ، منذ 1945 . وأصبح - فيما بعد - عضواً في اللجنة المركزية ، وعضواً في المكتب السياسي . وظل عضواً في هاتين الميئتين إلى أن حلت سنة 1945 ، وهي السنة التي كلفه فيها المشاركون في المؤتمر ، المنعقد ببلكور ، بهيكل المنظمة السريية . وكان بلوزداد - مريضاً - معروفاً بالسلس الذي أعتراه . وأدخله الحزب المركز الفرنسي - الإسلامي ، الواقع بجمهورية بفرنسا (Bobigny-France) للمعالجة في مصلحة الدكتور خطيب⁽¹⁾ الذي وجد لديه العلاج المصنوي الذي من شأنه أن يلبس آلامه الناتجة عن مرضه وأغترابه . وأدركته المنية في 14 يناير 1952 . فدفن بمقبرة سيدي محمد ، ذلك الموضع الذي كان يلذ له أن يلتقي فيه بأخواته في الكفاح والأمل . وكانت الرغبة الملحة في العمل سراً ، تدعوهم آنذاك إلى الاجتماع ، في ذلك المكان . وطوته يد الردى ، بعد أن أصبحت الاستعدادات للكفاح المسلح ، على وشك التمام . وكان هذا الفتى ، وهو من سكان ضواحي العاصمة ، مناضلاً مضموراً ، كتما . وكان إلى جانب ذلك ، مجاهداً مخلصاً . فكان أول من يبدأ المصركة ، وآخر من يسحب منها . وسيظل بلوزداد ، بالنسبة للناس القومية الوطنية ، الشخص الذي يصبر عن وعي الشعب العميق . فهو رمز الكفاح ، وهو الرجل الذي يقتدى به . شلم يكسر وقته لنفسه ، بل كان يدعو إلى الثورة التي بدورها ، ألبسته حلة المقاومة . وخلف بلوزداد لجنة شباب بلكور ، وقد اكتمل نموها . فأصبحت جديدة بأن تشمل وتسير على خطى حزب الشعب الجزائري ، كما أصبحت على قدم الاستعداد للمكافحة على جبهتين ، أعلى مكافحة :

- 1) الإدارة الاستعمارية التي زودت بجمع التدابير القمعية ، والقوانين الردعية .
- 2) ومساعدتها ، أنصار سياسة الاندماج ، بما في ذلك الحزب الشيوعي الجزائري .

وكانت الفاعلية الثورية التي عرفت بها لجنة شباب بلكور قد بلغت درجة جعلتها تنوشك أن تزدد قوة . ومن الواضح أنها كانت تضاميق - في ذلك الوقت -

(1) مناضل من المغرب الأقصى .

السلطانية الاستعمارية . . . فالشرطة الموقوفة في أعمالها القمعية ، لم تسدع
الأمر تجسوي في أعنتها . ولم تترك الأعداء تتجاوزها . لأنها كانت
تعتقد أن كل ما يحدث من اضطرابات ، إنما هو من عمل ثلة من الشبان المتوسمين ،
لا غير . وهكذا ، أصبحت الشرطة التي ظلت في الغباوة تعمه ، تصاقب
الأهالي ، بصورة عشوائية . فتذرت بحوادث أول وثامن ماي 1945 ،
لتقتصر من الجماهير والاطارات والمناضلين ، وانطلق مجلس قيادة لجة شباب
بلكور . وتم توزيع المسؤوليين والقادة الذين كانت تبحث عنهم الشرطة ، عبر
المناطق الشرقية والغربية من البلاد . وذلك بعد أن كلف كل منهم
بمهمة سياسية جديدة . وكان على بلوزداد المصروف باسم سي مسعود أن يضطلع
بمهمة تتمثل في إعادة تنظيم القطاع القسطنطيني . وكلف محمد يوسف
المصروف باسم سي محمد بهيكله القطاع الوهراني ، خلفا لمبارك فيلاسي
الملقب بسي عبدالله (الخفيف) . وقد ولد مبارك فيلاسي في 13 سبتمبر
1913 م . وكان منشأه في القل . وانضم إلى نجم شمال إفريقيا ، بعد أن درس
بمعهد ابن باديس بقسنطينة ، وفي سنة 1934 ، وجد نفسه مورطاً
في المظاهرات المقاومة لفرد اليهود بقسنطينة ، وهي المظاهرات التي كان
يعتقد أن المستعمرين أنفسهم هم الذين حدثوا على القيام بها . وحكم عليه
بخمسة سنوات سجلاً ، بسبب الروح الوطنية التي عرف بها ، وأطلق سراحه
بعد نزول الجيوش الإنجليزية - الأمريكية (1943) على الشواطئ الجزائرية ،
وبعد مرور عامين من تاريخ الإفراج عنه ، حكمت عليه المحاكم الاستعمارية
بالاعدام - غيابياً - في أعقاب حوادث 8 ماي 1945 . وأصبح فيما بعد ،
عضواً في اللجنة المركزية ، وعضواً في المكتب السياسي إلى ان اشتبكت
حركة الانتصار للحريات الديمقراطية على مصالحها . فصار - آنذاك - مسؤولاً
عن الحركة الوطنية الجزائرية . وقد كان فيلاسي ، عضواً في عمليات التتكر التي
أمدت له الأفلاك من القصاص إذ مكنته من أن يفلت من الشرطة في الجزائر
وفسولسا .

وفي 23 سبتمبر 1957 ، توفي مبارك فيلالي في المستشفى ، متأثراً بجراحه - عقب محاولة اعتقاله - قامت بها ضده ، بباريس ، جبهة التحرير الوطني . وفي بلكور ، ذلكم الحي الذي يحتج مهدي ألبير خموس⁽²⁾ كاتب الخلف واللاعنف ، قاومت لجنة شباب بلكور فلسفة الحبس ، هذه الفلسفة المستنسخة في العبارة التالية : " مالفائدة ! " . وقد تمت اللجنة أول تصفيد لهذه الفلسفة ، وهرمنت على أن الأعمال جميعها ليست بهذه السهولة ، وأن الأمور كلها لم تكن بهذا اليسر ، وأنه علينا أن نقوم بكل شي . فكان الشبيب الأعرل لصير الحرف ، وكان يسرى أن الثورة هي حجة " السرجة - سبل الرشيد " الوحيدة والممكنة . لذلك ، كان حين يتكلم عن آلامه وآماله ، إنما كان من خلالها يتخلى بالثورة . ومن الغريب أن يكون صاحب " المصحفين " قد أكرم بلقب المقاوم للنازية مع أنه حرم الجزائري من حقه في مكافحة الاستعمار . . . اللهم الا اذا سلمنا بأن الاحتلال النازي يكتسي طابعاً مشرئوماً ، في حين أن الاحتلال الذي حققه بيجو (Bugaud) قد أذن بمساعدة غير منتظرة . تصرى ، أمان يلبسي - اذن - أن نتأمل في ما كتبه مشوهو الوقائع التاريخية الذين لا يكون يرددون على مسامعنا أقوالهم التي تتم عن غباوتهم وسخافتهم . وتتمثل هذه الأقوال - على سبيل المثال - في العبارة التاليتين : " أجدادنا الثفاليون " . . . " من دالكرق (Dunkerque) الى تامنكست " . لكن على جانب من الجديدة والرزانة ! فلم تكن الجزائر - يوماً - امتداداً لفرسا ، كما أن البلاد الفرنسية لم تكن عريضة الى ان وقعت معركة بواتيسيه (Poitiers)⁽³⁾ وما كان خموس

- (2) ألبير خموس (Albert Camus) لا ألبير كامو ، كما يعتقد الكثير . وأكدلنا ذلك الطاعون في السن من سكان موندوفيل ، وهو يهودي الأصل ، ومن أشهر كتبه (الغريب) (1942) و " الطاعون " (1947) و " الملقي والمملكة " (1957) و " الرجل المتمرد " (1951) ، وهي القصة التي منح من أجلها جائزة نوبل للآداب . وسبب تحريف اسمه في اعتقادنا ، أن الفرنسيين لا يطلقون بالعام ، فحولوها الى كاف ، فحذا ، حذوهم غيرهم (المترجم) .
- (3) بواتيسيه (Poitiers) مدينة في فرسا ، بالقرب من تور (Tours) . وبسلاط الشهيد هو الاسم الذي أطلقه مؤرخو الحرب على معركة بواتيسيه (أكتوبر 732 م) ، وفيها اصطدمت الجيوش الصربية بقيادة عبد الرحمن الشافقي بالجيوش الفرنسية بقيادة شارل مارتل . فأسفرت المعركة عن فوز هذا الأخير . (المترجم) .

يجهد كل ذلك . فالجزائر التي كانت بين فكي كماشنة سياسية بهرجة ترمي الى طمس معالم الشخصية الوطنية ، قد أقدمت وحدها على استرجاع هويتها الوطنية التي طالما أنكرها عليها المستعمر ، وظلمت تعمل جامعة اليس ان حقت هدفها الثوري . وبعد القرار المتخذ ، أصبح فاتح نوفمبر 1954 يشكل المدف الذي سيحدث الجزائريين جميعاً على العمل في حدود ترابهم الوطني . ويأبى خموس ، الموافقة على سبع سنوات ونصف من الكفاح الشعبي ، وهي سنوات عصفت بمليون ونصف مليون من الشهداء ، (سبح السك... ان آذاك) خلال تحاور الأسلحة الصيف . ومعنى ذلك ان كل ثلاث دقائق ، كان يموت جزائري ! . فلو تصورنا سبع سكان فردسا ، لا أدركنا معنى ذلك ، لأن سبعة ملايين من الرجال والنساء والأطفال سيطرحون جميعاً من حدود السكان الفرنسيين . ولم تكن الجزائر المناضلة التي قدر لها أن تعرف من المآسي أسوأها ، مبالغة الى تقبل أفكار مدعي الضن ، وهي أفكار لا تصلح في أفضل الاحتمالات الا لتستغرق بعد ظهر أيام معسطرة يعيشها أشخاص استولى عليهم الحزن ، وقد أصبحوا مشتاقين الى ألسنة سطحية ظاهرية . علينا أن نقول إنه كان لابد لنا لنيل رضى خموس من الالحاح على أهمية اللاعنف باستخدام الحوار لتقيم الثورة ومصيرنا أنضبل تنظيم . فلو حدث ذلك ، لتمكنت مبادئه الفلسفية المتعلقة بالمدنية من ان تحولنا الى " مهاجري التاريخ " الذين يحشون على الهامش . بجانب العالم المكافح ... غسمر مكنوشين لسريرة الشعب ، ومراحل تحريره الموضوعية . ولحل خموس كان يعتقد انه في حالة ما اذا عجز عن اقتناعنا ، سيتمكن ، على الأقل ، من أن يهز مشاعرنا ، والواقع انه عجز حتى عن زرع خيبة الأمل فسي أنفسنا . ونحن نتأسف أن لا يتمكن من بلوغ هدفه . وكانت منظمة لجنة شباب بلكور تضم 1500 مناضل ، من بينهم 700 متطاف مع المنظمة . وكانوا جميعهم ، متسلحين بالوعي السياسي ، ومهيئين لكل الأعمال الشبيهة العسكرية . وقد تأسست هذه المنظمة ذات الملامح الثورية المميزة ، اعتباراً من خلايا تتألف كل واحدة من خمسة مناضلين . اتخذت ببيتهم شكل سرور ، قاعدته وقمة . وكان هناك تقطيع يقسي كل سرور . وكان مجلس

تدخل هذه المنظمة السياسي يمتد الى 5 دوائر يحضر ممثلوها الجلسات بصفتهم أطرافا في مجلس القيادة . وكان هؤلاء الشبان ، وهم جنود غير نظاميين ، يمتازون بوعي سياسي عال . وكانوا - إضافة الى ذلك - محط الأنظار ، بفضل ما يبريدون تحقيقه من أهداف قيمة سهلة . وقد أشاروا - بذلك - إعجاب الشعب بجم ، هذا الشعب الذي أخذ ، على مر الأيام وتوالي السنوات ، يشحذ عزميتهم ، ويحمل مهمم - أحيانا - بتواطؤ ناجح وفعّال . وبلغت لجنة شباب بلكور ، كل ما تمناه أعضاؤها ، وكل ما تمنته المنظمة العسكرية التي تأسست ، فيما بعد . وسيتبين للجميع ، حين نستعرض نتائج جميع الأعمال ، ان أعضاء لجنة شباب بلكور الذين بلغوا اغراضهم المنشودة ، كانوا أكثر اتحادا من أعضاء المنظمة السرية . فترقى الحركة والدفة... ووذ القائدي المارس على الأهالي ، وقد حملا الشعب على أن يدرك أن هذه العناصر الطلائعية تتأهب ، بجهد - لشحن هجوم ثوري ، على نطاق واسع . وكانت لجنة شباب بلكور ، تنضم الى جانب هيكلها الأساسية ، جميع المنظمات الثقافية التي كانت تراقبها ، وتشرف على أعمالها . وهذه المنظمات الثقافية ، هي :

- الكشافة : مصدر التجسيد .
- منظمة النساء الجزائريات للملاحي والاجتماعات .
- الفرق المسرحية والرياضية والموسيقية ،

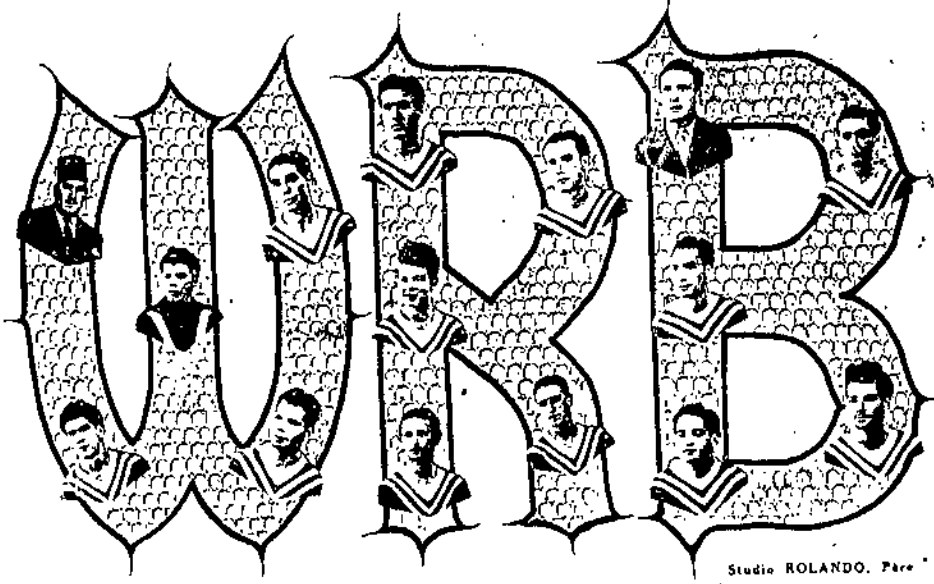
وبإيجاز ، فلم يكن بإمكان جماعة أوفسقة ما ، ان تعمل بمنأى عن لجنة شباب بلكور . وعلينا أن نذكر على سبيل المثال ، فرع أحباب البيان والحرية ، الذي كان يود أن يكون الشذوذ عن القاعدة ، ولكنه ما فتئ أن أرى أن عناصر تخريب قد تسللت اليه ، ووجدت نفسه مراقبا ، بلا عناء . ولم تكن المنظمة الجامعية العاملة بالجزائر العاصمة بين سنتي 1942 و 1945 سوى نواة ، تتم و تتطور في بيئة عدائية . وكانت المدرسة الثعالبية⁽⁴⁾ .

(4) أخبرنا السيد عبدالضمد (مدير بوزارة الثقافة والسياحة) بأن السلطات قد جاءت سنة 1950 ، بطليقة هذه المدرسة (وكان مؤواحد منهم) الى ابنه فكانوا ليحضرها الحفل الرمزي الذي يقام بمناسبة وضع الحجر الأساس في سنة 1950 .

على القديس من ذلك ، تابهة ، سياسيا ، لفرع حزب الشعب الجزائري الكائن بالقصبة - باب الوادي - . وكانت الكشافة الاسلامية ، وهي على صلة وثيقة بحزب الشعب الجزائري ، تمثل مصيدا و طاقة من الشبان المسلمين . وحدث كل ذلك بتحريض من محمد بوراس ، الرجل الحازم الذي كان - آنذاك - محافظها العام . فكان ، وهو يشغل منصب كاتب سره لدى القيادة البحرية العليا ، ينوي أن يجعل من الحركة الكشفية ، منظمة شبه عسكرية ، غير أن هذا المشروع لم يتحقق بسرعة . فأخذ بوراس يدرب - في ذلك العهد - شبانا من الكشافة في غابة بيبام ، بالرغم من المراقبة الشديدة التي كانت تقوم بها الادارة الاستعمارية . ثم ما قد طرأ التغيير الفاجيء : ففي ماي 1941 ، اعدم الاستثمار الفرنسي المحافظ بوراس بالرصاص في ميدان التدريب العسكري ، الواقع بحسين داي ، وذلك عقب مسألة ظلت غامضة . وحرصا منها على تكوين أعضائها تكوينا سياسيا ، أصدرت لجنة شباب بلكور ، نشرة أسبوعية ، وصحيفة شهرية . وكان قلم مطبوعاتها ، يستقر الى آلات طببع . لذلك ، كلفت ، بعد القيام بتحقيق دقيق ، وحدة من وحدات المصنوع بالمجوم على دار من دور الطباعة بالعاصمة ، قصد الاستيلاء على الأجهزة الضرورية . ووجهت الخبيثة الى المحلات السرية التابعة للجنة شباب بلكور . ولما كانت هذه الخبيثة على جانب كبير من الأهمية ، سلمت ، فوراً الى الحزب الذي خصصها لصحيفة " العمل " ، جويدته السرية على المستوى الوطني . وللضرب مثلاً آخر ، ذا دلالة خاصة : فقد حدث أن وجد مناضل من مناضلي لجنة شباب بلكور ، مصادفة ، محفلة تحتوي على مبلغ زهيد من المال ، وثماني بدائيات تمويتن . وكم كانت هذه البطاقات نفيسة ، آنذاك ، بسبب توزيع حصص معينة من الم...

بناء ثانوية عمارة رشيد . ولما بدأ ايدموود نايجلان يلقي خطابه ، خرج الطالب أحمد سكندر ، من الصف ، وقاطعه قائلاً : " ابي أسألكم : ماذا فعلت فرنسا في جزائرتنا ؟ " فقبض عليه ، فوراً ، وزج به في السجن .

الذائمية على السكان . فجاء الشباب بحافضة النقود التي عثروا عليها إلى خزينته . وتمكن رب الأسرة من بواسطة المنظمة من استرجاع محفظته . مشتملة على كامل محتوياتها .



Studio ROLANDO. Para

Equipe Première : Champion d'Alger 1949-50

— الفريق الأول : بطل الجزائر العاصمة 1949 - 1950
— الوداد الرياضي ، بلكور : جمعية رياضية كانت ترعاها لجنة شباب بلكور .
أصبح الوداد فيما بعد يعرف باسم : النادي الرياضي - بلكور . (5)

وإنه يتسنى لنا أن نشير إلى أن الجنرال ديغول قد أصدر سنة 1944، أمراً يقضي بجمع "المليار" من الفرنكات في البلاد الجزائرية ، ابتغاءً تعرفوهم بتمسار في اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني . ومن أجل تحقيق هذا الهدف ، كان على جميع دور السينما والمسارح والمطاعم والمحلات التجارية الأخرى ، وأن ترفع الأسعار ، خلال خمسة عشر يوماً ، لصالح اللجنة المذكورة . وأمام هذا الأمر الواقع ، اعترفت لجنة شباب بلكور ، تصطيل الجهود المبذولة في سبيل النجاح عملية "المليار" . واستقر الرأي على تجديد عدد كبير من المناضلين قصد منع الجزائريين (المسلمين)

(5) تمول فيما بعد إلى شباب ميكانيك بلكور (وكان الفريق بذلك - تابعاً - لشركة من الشركات الوطنية) ، وهو الآن يعرف باسم شباب بلكور (فصار الفريق، تابعاً للبلدية) . (المترجم) .

من الساممة في هذه العملية . وسرعان ما ظهرت النتائج الايجابية : فمن ذلك مثلا ، أن صاحب دار السينما المعروفة باسم " مونديال " كان حينئذ لا يحضر بنا وهناك ، وتوقع مشادات عنيفة ، عند مدخل القاعة ، قد أسرع الي المناضلين الموجودين أمام مؤسسته ، يدتروح عليهم حلا وسطا للشخصية ، فقال لهم : " لا تمكثوا بهذه واقفين أمام مدخل دار السينما . . . واني أعدكم بأن لا أبيع ، تذكرة واحدة للجزائريين المسلمين " .



سي أحمد بودا : موجه لجنة شباب بلكور وكفيلها .

وقررت قيادة لجنة شباب بلكور ، في ربيع 1944 ، أن تستولي على بعض الأسلحة الخفيفة . فكلف المناضلان أحمد محساس ومحمد يوسف بتحديد مكان هذه الأسلحة في المعسكرات الانجليزية - الأمريكية . وانه يمكن لنا أن نؤكد ، في حالة ما اذا استثنينا ما قام به رجال الدرك الفرنسيين من مساعدة المناضلين ، بخيبة اثبات حجة أراق موبتهما ، أن الأمور جرت دون حادث يذكره وكانت كمية الأسلحة الممهل عليها ، تشتمل على مسدسات من عيار 9 مم و 12 مم ، مجهزة بأمشاطها ، وبعض القنابل اليدوية الدفاعية ، وعدد من الرشاشات . وشملت هذه الأسلحة ، جميعها ، عجلات جوبست في غابة

الأقواس ، وجرت العملية دون أن تعترض سبيل القائمين بها ، أية عقبة ، كما أسلفنا الذكر . وذلك ما شجع قيادة لجنة شباب بلكور على أن تستزم الاستيلاء على كمية كبيرة من هذه المعدات الحربية . ومن أجل ذلك ، كان لابد من الحصول على الشاحنة الأمريكية التي قادها الشاب الجندي - المناضل محمد خميسة . وكانت توائقه وحدة الصدام (6) التابعة للجنة شباب بلكور . وأجزت العملية المعروفة بعملية " الاسترداد " بنجاح ، في نفس الصباح . وتستخدم فصائل الصدام (7) . التابعة لحزب الشعب الجزائري - فيما بعد - جزءا من هذا المتباد . وكان الجزء الآخر ، وهو الأكبر ، قد خصص ، بعد أن نقل من مظهر إلى آخر ، للنشاطات شبه العسكرية التي كانت تقوم بها المنظمة السريية . أما عمليات توزيع المنشور ، وكتابة الشعارات على الجدران ، فكان يقوم بها بالتناوب ، مناظرون تحميمهم جماعات مسلحة . وكان أمام شرطية الاستعلامات العامة التي يقودها كوست (Costes) عقبات كثيرة تحول دون الصثور والقبض على مناظلي حزب الشعب الجزائري . فكثيرا ما كانت تضل سبيلها ، بسبب العمليات التي يقوم بها أولئك المناظرون الذين كانوا يتوارون عن الأنظار بسرعة ، فيتفادون بذلك ضربة العدو . وهذا كله يصني أن الحزب لم يخفق في الإفصاح عن آرائه ، وإعلان إرادته . ويكفي أن نعيد إلى الأذهان قضية المدعو " قصاب " القاطن بالقطاع القسطنطيني . فسقد كان هذا الشرطي المكلف بالاستعلامات العامة ، يشكل خطرا على المنظمة . فحكم عليه بالاعدام ، بسبب الخيانة التي ارتكبها . ومراعاة لدوي الموقفات ، فقد أُعْدِمَ بنأي المدعو سي والي ، ورايح زغاش الملقب بوايح الثاني ، ليلة المولد النبوي ، هذا الخائن ، على مقربة من هولسة واتعبه بمنخفضات القصبة . وكانت الشرطة تقوم بأعمالها الانتقامية ، حبا في رد الفصل . وكانت ، أحيانا ، تصيب مناظرين ذوي بأس شديد ، وشأن عظيم . وذلك ما حدث للمجالي الذي عثر عليه ، ذات يوم ، ميتا ،

(6) وحدة الصدام : (Groupe de choc) (المترجم) .

(7) فصائل الصدام : (Sections de choc) (المترجم) .

في نهج غورديو (Gordillot). وكان لـجالي مصروفنا ، رسميا ، بأسمه
مفاضل من مناظلي حزب الشعب الجزائري ، مكلف بادخال عناصر تخريب
في صفوف الحزب الشيوعي الجزائري . وأنشأت لجنة شباب بلكور ، لتكتمل
تربوية عناصرها السياسية ، مدرسة الاطارات التي كان يدير شؤونها محمد
بلسوزداد والأخوان سردوني وعراوو . وكانت هذه المدرسة تلقن دروسا
في تاريخ الجزائر العام ، وتولي أهمية كبرى بترا بظ الوقائع السياسية
العسكرية .

جمعية العلماء والحركة الإصلاحية .

جمعية العلماء والحركة الإصلاحية

أسس الامام ابن باديس، سنة 1931، جمعية العلماء. ويكاد يكون الرجال الذين تتألف منهم هذه الجمعية، وقد تكونوا جميعهم، في الشرق الأوسط. فكانوا يفتشون اثر الامام عبده الذي يعتبر الروح المحركة للحركة الاصلاحية التي عرفتها مصر، آنذاك. وكان الشعار الذي وضعه ابن باديس والتمسثل في ان "الاسلام ديننا، والحريية لغتنا، والجزائر وطننا"، يشكل قاعدية برنامج النهضة، وهو البرنامج الذي أقرته الحركة. فلأرجوع الى القسم الاسلامية الصحيحة، وإلى اللغة والتاريخ، هو وحده الكفيل، في تلمس الجمعية ورئيسها النبيه، بأن يبعث من جديد في النفوس، المفهوم الصحيح للأمة الجزائرية. ولا يتأتى ذلك الا بشرطين:

- تصفية الاسلام من جميع الخرافات التي تعتبر عاملا من عوامل الجمود.
- وادماج الشعب الجزائري في الحياة العصرية الخليقة بأن تجعله يستعيد بنيته الاجتماعية والثقافية الحقيقية.

وكان النشاط الاصلاحى الذي تهنته الجمعية يقوم على مستويين:
- انشاء مدارس حرة في المدن والأرياف على السواء، لاعادة تربية الجماهير، بعيدا عن العادات والاعراف المتخلفة عن العصر والتي كانت تنفيذها بعض الزوايا. وتعد هذه الزوايا بمثابة جمعيات شريكة في الجرائم التي اقترفتها الاستعمار.

- مجابهة السلطة الاستعمارية التي كانت تملك زمام مراقبة الدين الاسلامي، وأئمة الجزائريين.

وكان هذا التدخل، الذي لامثيل له، في الشؤون الدينية، قد قضى على حرية الجزائري المسلم في ممارسة شعائره الدينية، كما قضى على ضرورة احترام الأماكن المقدسة. وباستخدام هذه الوسائل كلها، تمكنت الولاية الصامتة من أن تتصلب، في مواقفها، اذ كانت تدرك ان جمعية العلماء تهتم

حاضرهما ، وتقوم في نفس الوقت ، بتوعية الشعب ، خدعة للمستقبل . ومن ثم ، عاملت السلطات الاستعمارية " العلماء " معاملتها رجال السياسة ، وأخضعت نشاطهم الديني لنفس القوانين التي تحدد المساس بالسيادة الفرنسية . ولم تجد الإدارة ، لتضمن لنفسها ، طمأنينة فعلية ، شيئاً أفضل ، من تمديد هذه النخبة . فأخذت تستفز أنصارها ، وتعتقل وعاظهنسا ، وتسمى لتحويل المدارس الحرة الى أوكار تجسس ، كما أخذت تكهنس لخصيات مرموقة كيدما الميهود ، ابتغاء الحظ من سمعة الجمعية ، ووضع حدّ لتصرفاتها ، التي تناهض السيادة الاستعمارية الوهمية . ولم تكن الولاية العامة ، تكتفي بخلق جو من الرعب المعنوي ، ترهب به العلماء والجمهير التواقفة الى الحرية ، بل راحت تقر - وحدها - روضامة مختصة بشهر رمضان ، والأعياد ، والحج . وذهب بها الأمر الى أبعد من ذلك ، فقضت بتعليم اللغة العربية في مدارسها ، مثلما قضت من قبل بتدريس الانجليزية والألمانية . وأطلقت هذه الولاية العامة ، العلان لنفسها ، فحولت مسجد كشاوة الكبير ، ومساجد أخرى ، الى كنائس أسقفية . فكان عليها أن تضيف الصليب الى القبة ، وأن تسلط الموهنم القرباني ، في عقر دار الاسلام . ولم تفوت كذلك ، على نفسها ، فرصة الاحتفال بالذكرى الطوية للاحتلال . وكان احتفالا مهيبا ، يلم عن وقاحة غير مألوفة . فجمعية العلماء ، بعد أن دفعها هذا الاستبداد الى أن تتسلح بالروح الوطنية ، وبعد ان أصبحت تتمتع باحترام الشعب الذي يشهد لها بكل ما خاضته من كفاح ، قد أخذت تنزلق انزلاقا ثابتا من المستوى الاجتماعي - الثقافي الى المستوى السياسي ، ومدت الحوادث يد المساعدة للمستلماء وللغاضبين في صفوف حزب الشعب الجزائري وأحباب البيان ، فراحوا يوتقون معا ، بتاريخ 14 مارس 1944 ، اتفاقا مبدئيا ، يتضمن كتمهيد سياسي ، استقلال الجزائر ، بلا قيد ولا شرط .

فوطد هذا الاتفاق وحدة الأهداف السياسية التي تبنتها المنظمات الوطنية الثلاث . فشعر الشعب وزعماء هذه المنظمات

بارتياح كبير . ومنذ عام 1945 ، رفض فوجيات عمباس ، رسميا ، فسيسي
موتسمر أحياب البيان ، كل نظام اتحادي مع فرنسا . ودافع دفاعا شديدا
عن استقلال الجزائر السياسي ، وتبنت بدورها جمعية العلماء المسلمين
شاركت في المؤتمر هذا الاقتراح المبدئي .



الغريبي التبيسي

فرحات عباس
والفدرالية السياسية

أدلى فرحات عباس صباح يوم من أيام 1936 بتصريحه المشهور السذي جاء فيه ما يلي : " سألت عنه (يقصد الوطن الجزائري) التاريخ . وسألت عنه الأحياء والأموات . وزرت المقابر من أجل اكتشافه . فلم أجد من يكلمني عنه إطلاقاً . لنا لا يجب أن نسقيم بناء على الرمال . وإنما قد أهدت ، بصفة باتية ونهائية ، كل خيال لكي تفرط المصير بمسألة مدركة ، مع الوجود الفرنسي بهذه البلاد " . ويمكن للمرء أن يتوقع كل ما كان لابد أن ينتج عن هذا الكلام ، من وقع في نفوس الجماهير . وأن كل ما كان يبدو وتصريحا عنيفا لصيدلي مديرة سبيليف ، هو الذي سيخل بالآفاق السياسية ، زمتنا طويلا . ولم تلبث هذه الألفاظ المشهورة أن ألقت بذور الشقاق في أذهان بعض الأصدقاء ، وسكنت بذلك ، روع المدافعين عن النظام الاقطاعي . وقد أخذ البعض فرحات عباس على هذه الصرخة مؤاخذه قاسية ، فغضب على صاحب صحيفة " الشاب الجزائري " وجهة نظره المصطنعة بالصيغة القطعية . وكان البعض الآخر ، متضلعا أكثر من غيره ، فرأى في كلام فرحات عباس أسباب التأخر العقائدي المرءسف الذي يحمل على تحليل الرعي ، ذلكم الرعي الذي كان - حقا - وطنيا . وتسل عباس متشبها بهذا الموقف . ولم يكن بإمكان روحاته وغدارتته السياسية (" من فدرالية المنتخبين الى الاتحاد الشعبي الجزائري ") المروشة بالمزائم ، أن تطمئن الراديكاليين .

وما هو ، سنة 1939 ، يتطوع برتبة مساعد - ميدالي في الجيش . فمناحه المتمثل في تشجيعه بالاخلاص والولاء للتيار المعاكس ، قد طمأن هذه المرة ، المستوطنين - الأسياد - فوجته ابن جلول وفرحات عباس لنداء الى جميع الجزائريين ، يشجعانهم فيه على التطوع في الجيش الفرنسي ، وذلك في نفس الوقت الذي كان فيه عدد لا يستهان به من ناضلي حزب الشعب الجزائري ، يعيش في السجون الاستعمارية عيشة خاملة . وإضافة الى ذلك ،

فان السلطات كانت تعتبر عدداً آخر من الوطنيين غاراً من الجديدة . لذا سرعان ما أصبحت الحرب التي كان يعدها البعض " حرباً خاطئة " ، " حرباً غريمية " . في نظر النخب الأخرى .

فكان الخبز ، روقص المجرة الجماعية ، وكانت المدونة بعد المزميمة . فاتخذت جماعة المستوطنين ، تدابير حازمة لمناصرة القومية المتزايدة قوة وعمداً ، واعتبرت اليهود والشيوعيين والوطنيين المسؤولين الرئيسيين عن الشقاء الوطني . وامتلات قلوب كبار الملاكين من المستوطنين بشيء من الضبطة والسرور ، بسبب المزميمة التي كان لابد من أن تسودي الى اقصائهم . فتبنوا نظام فيشي . وظلت جماعة المستوطنين عند نزول الجيوش الانجليزية - الأمريكية على الشواطئ الجزائرية ، على سبيل الاحتراس ، منطوية على نفسها . وكانت ، على كل حال ، تجتر غطرستها وخيبة أملها . ونصبت قسوى الحلفاء المقيمة في البلاد الجزائرية ، جـيرـو (Giraud) ممثلاً لفرنسا المحاربة . وفور ذلك ، وجه الجنرال ، الى الزعماء السياسيين الجزائريين نداء يسألهم فيه أن يدعوا السكان الى المساهمة في تحرير أوروبا . وقد فرحات بها س على نداءه ، بمذكرة توضح حداً للنظام الاستعماري ، وتقدر من خلال التضحيات المطلوبة حقوق وواجبات الجزائر الجديدة ، واكن سجلّ التظلم ظل هباءً منثوراً . ورد على عباس ان الوقت ، وقت قتال ، لا وقت مطالبات . ومرة أخرى ، كان التفتيش ممثلاً في توجيه الأصوات . وكان جـيرـو ، وهو يجهل كل ماله علاقة بمسرح السياسة ، ولا يتحلّى بأية مهفة تمثيلية وطنية حقيقية ، قد توارى عن الأنظار . قبل أن يقوم بأي عمل . وأقصى بنفس السرعة التي أوصلته الى منصبه . واعتقد ديغول (De Gaulle) الذي خلفه ، انه باستثناءه أن يطمئن السكان الذين كان يعلم ان التيار الحديث للحريات الديمقراطية قد استهواهم ، وأصبح محط أنظارهم . وما هو فرحات عباس يسلم يوم 10 يونيو 1948 ، قائد القوات الفرنسية الحرة " بيان الشعب الجزائري " متبرعاً بما حققه حوالى ثلاثين منتخبا . وكانت هذه الوثيقة تقترح عند نهاية النزاع ، الاعلان عن دولة جزائرية ذات دستور تعدده جمعية وطنية تأسيسية ، ينتخب جميع المواطنين ، منها كان أصلهم ، أعضاءها ،

بالاقتراع العام ، شريطة أن تتولى فرنسا الملاقات الخارجية والدفاع .
فلما قرأها الجنرال كاترو (Catroux) وهو الوالي العام الجديد ، وواحد من
أصحاب سياسة ديفول - اعتبر البيان غير متماسك مع حتميات الحرب ،
ورأى أنه من اللائق أن يرفضه ، وأخذ يردد بطرف شفاهه بالحجج
الفاشية التي لاتزال تزكي حماس المستوطنين . حقا ، لقد كان كاترو
يوصل نفس السياسة التي انتهجها جيرو . وحينما أتوا الرفق المتجدد ،
امتنع الممثلون الجزائريون عن تلبية الدعوة إلى المشاركة في الندوة
الطارئة التي من المقرر أن يعقدها الوفد العالي في 22 سبتمبر 1942 ، وذلك
تعبيرا عن سخطهم . فأزاح كاترو - آنذاك - على حلّ الفرع الاسلامي ، ووضع
كل من عبد القادر صياح ، ورئيس الفرع العربي ، وفرحات عباس ، تحت المراقبة
الخاصة .

وعلى اثر الضغوط التي مارسها الرأي العام على كاترو ، سيطلق سراح
هذين الممثلين في 2 ديسمبر ، عقب تبني بعض الممثلين ، السياسة
الفرنسية ، وكانت الجزائر ، وهي تترقب بفارغ الصبر ، اليوم الذي تتجه فيه
بحوارق سياسة جديدة ، تعيش في انتظار الخطاب الذي سيلقيه الجنرال
ديفول ، غير أن هذه الكلمة الملقاة بقسنطينة في 13 ديسمبر 1943 ،
تذكرنا ، في روحها وغايتها ، بمبادئ الاندماج نفسها ، فهي ترمي إلى
ارتقاء أقلية تتألف من المحاربين القدامى ، وحاملي الشهادات ، إلى
الطبقة الأولى ، وإلى الوظيفة العمومي . وهكذا ، جرى - مرة أخيرة -
ان التنكير كان عاليا جدا ، في حين أن العمل كان واضحا للغاية . وفي
الواقع ، فإن الأمر الصادر بتاريخ 7 مارس 1944 ، والذي كان يعتقد أنه
جسي في فحواه ، لم يكن الا مشروع بلوم فيفوليت (Blum-Violette) (1936)
لنفسه ، بعد أن رفض عنه شيء من التغيير ، بل قلّ بأنه لم يكن منطابقا
لاحداث الساعة . والحقيقة أنه كان لابد لميزة هذا الأمر في خضم
امتداداته السياسية ، من أن تؤدي إلى تسبئة الجزائريين المسلمين في

حضر الجيش الديفولي . وامتاز هذا المشور - بميزة أخرى كمنته في كونها وفقت بين المستوطنين والوطنيين : فكان الأولون يعتقدون أن المشروع مفوط في كل ما يهدف إليه ، في حين أن الآخرين كانوا يجدونه ناقصا ، ودون الحد السياسي الأدنى الذي يمكن قبوله . واتخذ الاقتراح الديفولي - على أكثر تقدير - طابع " بارود " شرف ، وظل ، بالتالي ، هديم المفعول .

ومكذا ، فإن الاقتراحات السياسية التي تقدمت بها الحركات الجزائرية الثلاث ، قد أفضت الاستعمار والسلطة الديفولية في آن واحد . ووجد هذا الأمر ما يسهره فيما يلي : فقد حدد حزب الشعب الجزائري ، وجمعية العلماء ، وأحباب البيان ، خطة عمل مشتركة . وكان اللقاء الأول بلادي المولودية الكائن بساحة شارتر ، سابقا ، وموالاتي الذي أصبح ، فيما بعد ، مقر حركة الانتصار للحريات الديمقراطية . ووقع اللقاء الثاني الذي كانت نتائجه أكثر ايجابية من نتائج اللقاء الأول ، بحي القبة ، في بيت الشيخ الابراهيمسي . ورفض فرحات عباس والعلماء ، في هذا الاجتماع الثاني ، كل مشروع يرمي الى الاندماج والتمثيل الديبالي المشترك ، وآثروا سياسة أكثر تقدمية . وبذلك ، انضموا الى موقف حزب الشعب الجزائري الذي يقوده الدكتور الأمين دباغين وحسين أصلاح . ونشأت عن هذه المناقشات السياسية ، حركة أحباب البيان والحرية . ومنذ ذلك الوقت ، امتنع المزاب الوطني السقوي المجموعات الأخيرة التي كانت تتبجح سياسة المسايرة والتعدنية . ولم يكن تصريح فرحات عباس نفسه ، ليطمئن مناصري الأمر الذي أصدره ديفول . وجاء في كلمة عباس ما يلي : " لقد بات بالفشل عملية تكوين شعب ، واثبات هويته في ظل نفس الحكومة الأيوبية . وظلت كلتا الكتلتين : الأروبية والاسلامية ، متمايزين . فلا هذه ولا تلك ، تحمل في ثناياها بذور روح عمل مشتركة . ولم يحصد المسلم الجزائري ، منذ ذلك الوقت ، بطلب شرفا آخر ، غير أن يكون جزائرياً مسالماً " .

وحرصاً منهم جميعاً على إدراج برنامج العمل السياسي الذي تبناه
أحباب البيان والحريّة في الإطار الدولي ، فقد كان على فرحات بها س أن يتحدث
سواراً إلى ر. مورفي (Robert Murphy) الممثل الشخصي للرئيس روزفلت
(Roosevelt)⁽¹⁾ وكان لابد من أن تكشف هذه الاتصالات والمناقشات
عن الطرق والوسائل التي من شأنها أن تضع حيز التطبيق مبادئ ميثاق
الأطلسي على الجزائر المناضلة والمقاومة للاستعمار .

فظم أحباب البيان والحريّة (وكان ذلك - في الواقع - برواية حزب
الشعب الجزائري) بالجزائر العاصمة سنة 1944 ، تظاهرة شعبية ، بعد صلاة
عيد الفطر . وكان على علي فضي أن يحرك مشاعر المؤمنين الذين أقاموا
صلاة بهم بالجامع الجديد . وقام بساحة الحكومة (سابقاً) محمد غربي - يخطب بدوره -
في جمع من الناس يقدر عددهم بحوالي عشرة آلاف شخص ، أخذوا جميعاً بأصوات
مجلجلة يرددون : " اطلقوا سراح المعتقلين السياسيين ! ... يحيى البيان ! " .
وتمكنت قوات الشرطة من تشتيت الحشود الشعبية بعد أن قامت باعتقالات كثيرة .
واستطاع علي فضي أن يصل إلى كاب ماتيغو (سابقاً) ليعتصم بمنزل ع . حفيز الذي
التقى فيه - ستة وثلاثين (36) رفيقاً من رفاق الكفاح . وكانوا كلهم أعضاء
فارين من الجديّة الفرنسية ينتظرون تسوية وضعيتهم العسكرية . وطبقاً أن
نشير في هذا الصدد إلى أنه كان تحت تصرف حزب الشعب الجزائري ، مصلحة
مكافئة بوضع بطاقات هوية زائفة ودفاتر عسكرية مزورة . وحاول عزيز كبوس
وأحمد بومنجل - في غضون ذلك - أن يؤسسا حزبا اشتراكيا جزائرياً . فأجهضت
هذه المحاولة التي كان قد حثّ عليها ودفع إلى تأسيسها المجلس الوطني للمقاومة
الفرنسية المصروف بنزعته الاشتراكية .

وعلى الصعيد الدولي ، استقبل روزفلت ، رئيس الولايات المتحدة ، الملك الحسن
سعود ، ووضعت وأشدطن . منذ ذلك اليوم ، أي اعتباراً من 14 فبراير 1945 ،
المصالح الأولى لسياسة عربية جديدة ، تتمحور ، أساساً ، على المغرب العربي
والشرق الأوسط . وانضمت في سنة 1942 بدة بأدفا (Anfa) ، الواقعة بالقرب من
الدار البيضاء ، بالمغرب الأقصى .

(1) روزغلت (فرانكلين ديلا نو) (1932-1945) رئيس الجمهورية الأمريكية الـ 32

(1933-1945) . كان له الدور المأم في الحرب الكونية الثانية . (المترجم) .

وكانت الولايات المتحدة وانجلترا هما اللتان نذمتا هذا الاجتماع السيء
شاركت فيه فرنسا التي مثلها ديشول ، ذلك الجنرال الذي كان يسانده ، ويسمو
على حضوره شرشل (2) (Churchill) في حين أن روزفلت كان يعترض على مساهمته
في هذه الندوة .



فرحات عباس ، رئيس الحكومة الجزائرية المؤقتة ،
(جبهة التحرير الوطني) في القصر الملكي بالرباط .
وكان ذلك أثناء تصيب جلالة الملك الحسن الثاني .

(2) شرشل (السير وينستون) : (1874 - 1965) رجل دولة انجليزي . رئيس
الحكومة (1940-1945 و 1951-1955) . زعيم حزب المحافظين ، وأحد محققي
نصر الحلفاء في الحرب الكونية الثانية . جائزة نوبل في الآداب سنة 1953 . (المترجم)

وبعد نزول جيوش الحلفاء على الشواطئ الجزائرية ، لم تحوقف الاتصالات السياسية في الجزائر بين رو بير مورفي ممثل روزفلت ، والمندملات الوطنية . فكشف نقل الجيوش الانجليزية - الأمريكية إلى شمال أفريقيا ، عن حقيقة استعمارية قاسية ، كان لابد من أن تززع الحكومة الأمريكية ، وشيئا فشيئا ، التزمست واشنطن ، بفضل الأحداث السياسية ، " شمل " يد الاستعمار الانجليزي - الفرنسي ، من بغداد إلى الرباط ، وهو الاستعمار الذي كان يحارض معارضة جوهريّة روج ميثاق الأطلسي ، وأهداف تحرير أوروبا التي كانت تستعيد ما التازية نفسي نفس الوقت الذي كانت فيه - مي - بدورها - تسترق أفريقيا والشرق الأوسط . وازاء ذلك كله ، كان الاتحاد السوفياتي الذي انتصر انتصاره الكبير على الجبهة الشرقية ، يعد تدويجيا لولوجه هذا البحر الأبيض المتوسط ، فيحرق ، بذلك ، أمثلا تعال به السوفياتيون جميعا ، منذ أمد بعيد ، أعني منذ بسير الكبير - (Pierre Le Grand) . وتأهب الأأمريكيون والسوفياتيون ، معاذن ، للفوز بتقدير جماهير المضرب العربي التي لا تزال بين فكي الملزمة الاستعمارية ، ولكن طويق الكرامة ، ظل فروشا بمقبات دامية . وكان المضرب الأقصى في ربيع 1945 ، يحايي التمسكيل ، ويتحمل عنف السلطة الاستعمارية الضمنية ، لأنه كان يطالب بالغاء الحماية (الفرنسية) . فلم تسترد المدرعات الفرنسية ، منذ أن تقدم حزب الاستقلال الوطني ، بزعامة علا ل الفاسي مطالبه الأولى (وهي المطالب التي كان السلطان محمد بن يوسف يدافع عنها) ، في حرق حرمة أسوار المدن ، وهي تشتمر الرعب والدمار . فما عرنته مدينة فاس من عمليات تخريب وتدمير ، ومن أيام حداد ، لأنها كانت مركز القمع ، يقيم الدليل القاطع على ان القوة ، تنظّل دائما الشكل الوحيد للتجاوز مع ممثلي الرباط . ولم تصف البلاد التونسية ، الواقعة شرق المغرب العربي ، من عمليات القمع . فكانت الوصاية على العرش تنوء كسند تتأججها القاسية ، من خلال ما كانت تقوم به من أعمال تعسفية . وكان كل مناضل أو متعاطف مع حزب " الدستور " يلقى عليه القبض ويحذب أو يندرج اسمه في قائمة المفقودين . وتوالت عمليات القتل والتعذيب وهتك الأعراض . وكان تستلي وجرح وأسرى شرق البلاد وغربها ، يمتحرون دلائل النصر في هذه الحرب التي شنها الاستعمار على الوطنيين . ومن خلال هذه الجرائم

الشهامة ، كشفت الجزائر والرباط وتونس ، اللثام عن نفس الحقيقة المرة : فعرفت البلدان الثلاث قناعات النصريرة الدميم . وكانت الصحافة الاستعمارية الشهيرة ، مستهتة ، يمد كل عملية تستهدف مطاردة العربي ، وقتل الأهالي وإبادتهم . . . وفي الجزائر ، كان حزب الشعب الجزائري - وهو حزب طلائعي - يهدد هؤلاء الصقور ، وكل من يسير في ركابهم ، تمديدا دائما . وتمثلت صلابته فسي الهادي التي تبهر عن قدرته على جعل السيادة (الفرنسية) ، مسألة يعاد البحث فيها ، مرة أخرى ، كما تمثلت في تأجوه السياسي في الجماهير الشعبية . فتقديراته التي جربت واستعملت في السرية التامة ، وقوته الضاربة التي كانت دائما متجددة وغير متظرة ، قد جعلت منه المنظمة الوطنية الأكثر تمردا على النظام الاستعماري ، وكان - إذن - على المستبد أن يسعى ، أولا وقبل كل شيء ، إلى تقويض هذا الحزب . وعلى النقيض من ذلك ، فإن الحزب الشيوعي الجزائري الذي لم يكشف بقصوده عن الحركة ، حتى فترت همته ، وشلت مواقفه العمالية ، انقلب على حزب الشعب الجزائري ، وراح يتهمه جهرا " بالمحرض المتطيري " ، ويصف عمله السياسي " بالدعاية التي تستخدم مصلحة العدو " ، فمذه الانتقادات التي ، أقل ما يقال عنها ، إنها تشهيرية وغير لذيذة ، لم تكن لتشف الحزب " المطالي " ، ولكنها جاءت ، ليمتنع ، ردها من الزمن ، تميز الحزب الشيوعي من النظام الاستعماري القائم .

وفي ذلك الوقت ، أصبحت الاشكالية الجديدة الخاصة بمسألة القومية الفتية النشيطة والمتلازمة مع مستوى الجزائر والمغرب الأقصى ، وتونس قادرة على أن تجعل من المغرب العربي كله مركز الثقل الذي من شأنه أن يطموح مسألة تكافؤ القوى بين النظام الغالب والحركات المتعدية بالاستقلال ، وذلك باستخدام ألفاظ وعبارات جديدة . . . وكان حزب الشعب الجزائري ، ومعها منه بالمصالح المشتركة التي تربط جماعة المستوطنين المتطبعين الرأي بالادارة الرجعية ، يعترم الاحفال بأول طين ، على المستوى الوطني . فراح ينظم على نطاق واسع ، تظاهرة أقامت الدليل - سلميا وبواسطة الشعب - على طموحات الجماهير إلى الاستقلال الوطني .

فاتح ماي 1945

في الوقت الذي كان عمال جميع البلدان المستقلة يقيمون فيه المهرجانات بمناسبة حلول فاتح ماي 1945 ، كانت البلاد الجزائرية المضطهدة ، تحفل ، بهذا اليوم ، في خاصة البلاد أكثر مما كانت تحتفل به في جهات الوطن الأخرى . وكان ذلك بطريقة جعلت من هذا اليوم ، يوماً تاريخياً . ففي ذلك اليوم ، اعترفت شعوبنا المطالبة بمكانته المرموقة ، بين الشعوب الحرة ، بعد ان وضعت الحرب الكونية الثانية أوزارها ، وذلك ، ومعها منه ، بأن السلطات الاستعمارية كانت قد قامت بتجديد أبنائه بالقوة ، وإيمانهم ، بأن دماء الجزائر يسمن قد أريقت في ساحات الوش . وكانت هناك حتميات سياسية أربح ، تدعم اتجاه هذا العمل الجماهيري وهذه الحتميات هي :

- (1) - إقامة الدليل للمالم كله ، على وجود شعب جزائري ، مصمم على استعادة شخصيته ، واسترجاع استقلاله الوطني .
- (2) - اقناع الجماهير الوطنية بأن الحربية تتزعزع ، خارج أقمعة الاندماج الخداعة ، ورغمما عن غواصف الاضطهاد .
- (3) - اعداد المناهيل لادراك حتميات الكفاح الشعبي والسليح ، وذلك بأن توفّر له جميع الشروط الذاتية والموضوعية .
- (4) - تخطي الحوادث الدامية التي وقعت بشلالة له وفي مصالي الحاج نفيًا تصفيا الى " برزافيل " (Brazzaville) - فكانت الجماهير تصرخ قائلة : " اطلقوا سراح مصالي ! " ، " افرجوا عن المعتقلين السياسيين ! " ليسقط الاستعمار ! " ، " تحيا الجزائر مستقلة ! " . وكان عصف الرياح شيئاً متوقعا ، بعد المسيرة التي أقرها ونظمها حزب الشعب الجزائري . فلم تتأخر الأجهزة الرسمية الاستعمارية في التدخل بشدة وسرعة فائقة . وكانت لجنة شباب بلكورة قصد تضليل الشرطة ، وقد نشرت عشية ذلك اليوم ، أخبارا مفادها ان مسيرة الغنظلاميين ستطلق من مصطفى باشا (ساحة المناورات سابقا ، وساحة أول ماي حاليا) ، وتتوجه نحو مكتب البريد المركزي (نهاية المسيرة) ، مسرورا ، بحافطة الشرطة المركزية .

وكانت هذه المناورة التي احكمت المنظمة الثورية نسجها ، قد مكنت حوالي خمسين مناظلا أرسلوا الى الأماكن المعينة ، من القيام بعملية تخريبية ، والامام ، بينما توجه معظم المتظاهرين الذين كانوا يقدرون بحوالي 700 مناظلا ، الى ساعة الشهداء ، ليكونوا مسيرة المتظاهرين (ب) . وكان على هؤلاء المناظلين ، أن يمشوا شارع باب عزون ، وأن يمشوا بسداد الأوبرا ليلتقوا بمسيرة المتظاهرين الآخرين (ا) . في شارع دومونت دورفيل - (Dumont d'Urville) (شارع علي بومجل ، حاليا) . وكان يقود هذه المسيرة الثانية ، مناظلون جاءوا من مرتفعات القصبة . وكان على هذه المسيرة أن تحصر المتظاهرين في اتجاه نهج روفيفو (Rovigo) وشارع راندون (Randon) ليصل الجميع الى شارع ايزلي (Isly) (نهج ابن مهدي ، حاليا) ، مروراً بشارع دومنت دورفيل ، وعلينا أن نشير الى ان جميع طلبة شمال افريقيا ، قد ساهموا في هذه المسيرة ، بما في ذلك التونسيون والمغاربة الذين كانوا طلبة مسجلين في كلية الجزائر الخاصة .

وكان متظاهرو المسيرتين يتقدمون ، جماعات جماعات ، متفاقتة ووقورة ، في آن واحد . وغزت القوى الشعبية آنذاك ، شارع ايزلي . وكان المناظلون واطارات حزب الشعب الجزائري ، يسلمون مع الجماهير الشعبية . وكان الجميع يزمجر في صوت واحد : " استقلال ! " ، " حرية ! " . ويستشف الفرح من خلال تلك المشية الايقاعية ، وجود متظاهرين من مختلف الأعمار والمهنيين والتطبيقات الاجتماعية . فكانت هناك اخوة ضادقة ، تنفخ الحركة . وانتشرت تحت ضوء العاصمة الباهر ، رايات عريضة ، طبعت عليها الشعارات الطالية : " ليهنط الاستعمار ! " ، " تحيا الجزائر حرة مستقلة ! " . واصباح الجميع لا وامر الحزب المارمة المتلخمة فيما يلي : على كل مناظلا أن يمتنع عن تزويد نفسه بالأسلحة ، بما في ذلك السلاح الأبيض . وكان لابد من أن تظل المظاهرة سياسية . وحو صير المتظاهرون ، فجأة ، حصاراً شديداً . وكان أن اندرج فاتح ناي في اطار المأسى . وكان رد الفعل ، داميا . فصار سكان وتجار شارع ايزلي ، وجميعهم أروبيين ، يخشون في بيوتهم ، ويطلقون النار على المتظاهرين من شرفاتهم . وأرسلت الامدادات بالجد والشوطة على جناح السرعة . وأقيمت في وجه المتظاهرين عقبات وحواجز . وبعد هذا

التشجيع ، تفجرت في الشارع تلك المستيريا الملتصقة المعروفة . فأصبح يريق
الأساحة النارية ، يبعث من كل حدب وصوب ، وامتزج الدم بالدم . وكان الشعب
يمدّ صوته ، وهو يصرخ : " الى الأمام أيها الاخيرة ! " ، ولكن فرقة الرشاشات
أجهدت عمل الحركة . فكان هناك ، رجال نزل ، يقعون أرضا بعد أن أصيبوا
بجروح مميتة . وكان في مقدمة المسيرة بَلْحَفَّاف متبوعا بمحمد زيار . فسقنا
أرضنا ، بعد أن أطرهما المستوطنون ، بوابل من الرصاص .



محمد زكال الذي عاد بالعلم الأخضر والأبيض اللون
والمضروح بدماء الوطنيين .

وكانت الجماهير تصجل حمل الموتى ، واجلاء الجرحى . وعاد محمد زكال
الذي جرح جرحا خفيفا ، بالعلم الجزائري المضروح بالدم . وشيئا فشيئا ، أخذ شارع
الابادة الجماعية ، يخلو من موثاه ، ومن الذين أخطأتهم المنية . ولم يعد المرء
يسرى في الشارع ، بعد المذبحة ، الا بقع دم واسعة ، وخروقا من ثوب ، وأحذية
عتيقة . . . وفي الغد ، نشرت " ألجي ريبوبلكان " (Alger Republicain) ،
وهي صحيفة تزعم أنها يسارية ، مقالا ، في صفحتها الأولى ، قالت فيه ، بعد
ان فقدت كل اعتدال واحتشام : " لم يكن متظاهرونا تح ماي الاسره ولسين
عن سياسة المصابيح ! " وتوضحت المواثيق ، على الأقل ، من هذه اللأحية .

وما كانت جزائر فاتح طاي المناضلة، تسعى أن تستوقف عند هذا الحد .
فقد ادرجت التضحيات الأولى الناجمة عن الاتصال السياسي الأول بالشعب،
في إطار المسيرة القاسية نحو تحرير البلاد، وهي المسيرة التي سجلت الأمة
الجزائرية، في أثنائها، أي في 8 ماي 1945، صفحة أخرى محقونة دما .

مأساة القطاع الفلسطيني

(8 ماي 1945) .

مأساة القطاع القسطنطيني
(8 ماي 1945)

اتنا ارتأينا، قبل أن نعيد إلى الأذهان مأساة 8 ماي 1945 ، انه من الأهمية بمكان عظيم ، أن نشير ، بإيجاز ، إلى الظروف السياسية والمعنوية التي سبقت الإبادة الجماعية التي تعرض لها الشعب الجزائري . فكانت الصحافة الناطقة بلسان الأثرياء ، أصحاب الملكيات ، تقوم بدورها ، بداريقة مشرقة ومرة ، محاولة بذلك ، خلق تيار يتماشى بسياسة القوة والحدف . فمن الجانب الجزائري ، كانت نواة أحباب البيان والحرية ، تتألف من عناصر حزب الشعب الجزائري الذين تمثلت مهمتهم في القيام - في حوض الجماهير - بمسائل سياسي قانوني . وكان الغرض من هذا النشاط أن يضيوي الشعب برمته السيئ مذهب استقلال الجزائر . وبرهنت الخطوة الكبيرة التي ألتها هذه العناصر لدى السكان . . . على ان فكرة الاستقلال ، تظل الشعور العميق ، والأمنية الوحيدة لكل جزائري ، غير ان الحركة الوطنية قد جعلت السلطة الاستعمارية تخس بقاسق ، كان يزداد حسدا ، يوما بعد يوم . ومنذ ذلك الحين ، أخذ الطغاة يديرون الموازنة الكبرى ، ورأت الامبريالية الفرنسية في تنظيم مذبحه 8 ماي 1945 العامل الوحيد الذي يكسح من جهة التطور المحتوم الذي عرفته الحركة الوطنية ، ويحد من جهة أخرى من وعي الجماهير الشعبية ، ذلك الوعي الذي صار يذخر بالخطر ، أكثر من ذي قبل . فمذبح الجريمة وحدها ، كقيلة في نظرها ، بأن تقضي على وحدة الشعب الجزائري . حثنا ، لقد أصبح أحباب البيان والحرية يشكلون خطرا على الادارة الاستعمارية . وقد بدأ من المحتل أن تمنحهم الانتخابات البلدية والاقليمية ، فعدا مامنا من الأصوات التي من شأنها أن تجعل منهم مفارضا مخيفا ، وأن تحدث مدا وطنيا حقيقيا . وكانت هذه المخاوف التي ساروت السلطة الاستعمارية على جانب من الجسامة بحيث ان ليستراد كاربوننيل (Lestrade Carbonnel) عامل عمالة قسطنطينية ، قد باح بذلك ، حين صرح في 26 أبريل 1945 (1)

بما يلي : " نحن على أبواب عمليات كبرى ، سندقوم بها ضد حزب سياسي مشهور ، قصد حله . " وبينت الحركة الجمهورية الشعبية (2) في 27 يونيو 1945 أن لستراد كاربوليل عامل العمالة ، " الذي سيلعب دور قائد الجنود في أحداث 8 ماي 1945 المتساوية ، كان منذ ستة أشهر ، قد أعد للعملية مبايشياته بتزج بوعريج ، وعين القادة بواسطة منظوفات سرية " .

ورزعت السلطات المدنية والعسكرية أسلحة على جميع الفرنسيين القائلين بالأرياف . وكانت الفصيلة من الجيش على قدم الاستعداد للحرب ، منذ عدة أسابيع ، لتضمن لأعمالها الردعية ، فعالية قصوى . ونشرت الأوساط الاستعمارية خبراً مفاده أن الصرب سيقومون بثورة ليطرحوا الفرنسيين في البحر . وعملت الشعارات التي حملت الصحافة الامبريالية نشرها - يومياً - في المكان المناسب ، على تهيج الأعصاب والأفكار ، بالرغم من مرور ست سنوات من الحرب . ودمت هذه الشعارات بحملات ملوثة الحقد والكرامية . فالشعار الذي كثيراً ما كان يردد هو " الحقيقة أو الطبوت " . هذه هي الظروف السياسية التي غذتها الإدارة الاستعمارية بأعمالها ، وحافلات عليها باستخدام منهجية مؤاتية . فمداة الحوادث الأولى التي وقعت في 3 ماي 1945 ، صرح السيد رينه (Roy) ، السكرتير العام بمقالة الجزائر (العاصمة) بما يلي : " لقد تركنا الخراج يكتمل ويتم نموه ، بنسبة فقئه فقياً جيداً " . وعليها ، إضافة الى ما سبق ، أن نذكر بأن الصحافة بفرنسا والجزائر ، قد ضربت صفحاً عن سلسلة من الحوادث سبقت الوقائع التي جرت بالقاع القسنطيني . وكانت هذه الحوادث التي وقعت في شلالة (أواخر أبريل) بمناسبة مسيرة العمال في أول ماي 1945 ، قد امتدت الى العاصمة ووهران وغيرهما من كبريات المدن . فأماطت الآلة الجهنمية الاستعمارية اللثام عن مخططاتها ، نتيجة لتلك الحوادث الممتة ظلت تتأولها ، كل مرة . حوادث أخرى أشد عنفاً منها . وتوجه السيد بيريليه (Périllier) عامل عمالة الجزائر الى شلالة ، بدعوى انعقاد مسودة خاصة بالقياد ومتصرفي البلديات المتمزجة . وفي 25 أبريل ، قام ممثل

الحكومة المركزية في هذه المدينة الصغيرة الواقعة في الجنوب الجزائري ، باعتقال مصالي الحاج ، وعدد من الشبان الجزائريين . وصاحبها ، منذ التجاوزات المرتكبة في حق الجزائريين المسلمين ، مناورات أرماب ، ساهمت فيهما الدبابات والطائرات . ونسب مصالي الى عين صالح ثم الى برازافيل . ولما تلقى الجزائريون ذاك النبأ ، استولى عليهم السخط والفرط . فنظم حزب الشعب الجزائري ، على الفور ، تظاهرات شعبية كبرى ، بمناسبة فاتح ماي . ووقعت سيرات سلمية في كل مكان ، عموماً . وفي أهم مدن البلاد ، خصوصاً ، أي في العاصمة ووهران ومستغانم وقالة وقسنطينة وسعيدة وسكيكدة ومنا بة واقل وجهيوسل وتلمسان وتيزي وزو وعند اقتراب 8 ماي ، أخذت معالم السلم ، بعد التمهات الحلفاء ، ترشم على جبهة أوروبا . فقد سقطت المواقع الألمانية . وحدث ذلك ، بفضل الهجوم الذي شنه الجيش الأحمر السوفياتي على الألمان شرقاً ، من جهة ، وبفضل الحلفاء الذين طوقوا النازيين غرباً ، من جهة أخرى . وأدى ذلك كله الى انسحاب القوات البرية الألمانية .

أما في آسيا ، فقد عجلت القبلتان الذريتان اللتان ألقى بهما الأمريكيون على مدينة هيروشيما (3) (Hiroshima) وناغازاكي (4) (Nagasaki) استسلام اليابان . واستسلمت إيطاليا ، وشنق المقاومون موسوليني (5) (Mussolini) ، وانتهت مظرة (Hitler) . وكان ان آذنت هذه الحوادث ، جميعها ، ، بنهاية الحرب الكونية الثانية .

-
- (3) هيروشيما (Hiroshima) : مدينة ومرفأ في اليابان ، تقع جنوب جزيرة هونشو . رماها الامريكيون بالقبلة الذرية (6 أغسطس 1945) التي خلفت وراءها ، نحو مئتين ألف قتيل ومئة ألف جريح . (المترجم)
- (4) ناغازاكي (Nagasaki) : مدينة ومرفأ في اليابان ، تقع جنوب جزيرة كيوشو . أقيمت عليها القبلة الذرية الثانية (9 أغسطس 1945) . خلفت حوالي أربعين ألف ضحية . (المترجم)
- (5) موسولوني (Mussolini) ؛ (1883 — 1945) : من رجالات الدولة فاسي ايطاليا . مؤسس الحزب الفاشيستي . وقع معاهدة لاتران (1929) . قتله المقاومون سنة 1945 . (المترجم)

وعلى غرار الأمم المعادية للنازية ، احتفلت الجزائر بهذا الحدث التاريخي لأبنائها ، هي الأخرى ، وضحت بعدد من أبنائها . وكان الجزائريون ، وهم فسي غمرة ذلك الاحتفال ، يشعرون بفرح عظيم لأنهم قدموا ، بالفعل ، نصيبهم من التضحيات . لذلك ، كان أملهم على قدر مساهمتهم في النزاع . فكانوا يتصورون زوال النظام الاستعماري الفرنسي الذي اضطهدهم ، طوال 115 سنة . وكانت أميتهم أن يرتقي الشعب الجزائري إلى رتبة الشعوب الحرة المستقلة . وما هي الحقوق ، مرة أخرى ، تسلطت في ذاكرة البشر . فقد اسل خيرة أبناء الجزائر ، إلى أروبا ، ليلقوا حتفهم على ضفاف النرين ، وليكونوا ضامة المدافع . وهكذا ، ضحى الفرنسيون بهم ، بصفتهم " أنديجين " أي بصفتهم أجانبي ، يحاربون على أرض أجنبية ، من أجل قضية أجنبية . . . ونظم حزب الشعب الجزائري ، في 8 ماي تظاهرات صاخبة عبر أنحاء التراب الوطني . وكان أبناء الجزائر المطالبة بحقوقها ، محشطين بوقارهم في أثناء سيرتهم تلك ، وكانوا يرددون العبارات التالية : " ليسقط الاستعمار ! " ، " تحيا الجزائر حرة مستقلة ! " ، " أفرجوا عن مصالي ! " ، " ألقوا سراح المعتقلين السياسيين ! " وعلى غرار مظاهرات فاتح ماي ، فقد كان لهذه التظاهرات ، طابع سلمي . نسفي كل مكان ، لم تتدخل فيه قوات الشرطة ، جرت الأمور في هدوء تام . ثم جاء وقت التحدي ، ومنسوب العاصفة . وأقر هنري بنازيت (6) (Henri Benazet) بأن " المشاجرات بدأت ، عقب تدخل رجال الشرطة والجنود في المدن الستي تقيم بها حاميات " . وأطلق المستوطنون المبلان لغرائهم الدنيقة ، بعد أن امتلأت قلوبهم حنقا ، وبلغت المجازر ذروة الفاساة في القطاع القسديلي . وما فوقحات عباس ، يسوادي شهادة ، وموشي سليف ، مسقط رأسه ، فيقول : " كان 8 ماي 1945 ، يوم الثلاثاء . وكان يوم السوق الأسبوعية . ومدنيقة سليف تسأوي في مثل هذا اليوم ، فلاحين وتجارا ، قدموا من مناطق نائية يستراوح عددهم بين خمسة آلاف ، وخمسة عشر ألف شخص . . . " . وكان است المسيرة في هذه المدينة ، منظمة تنظيميا محكما . وقد سمحت بها السلطات عند انطلاقها من المسجد ، وبلغ الموكب ، شهرين فرنسا ، دون وقوع أي حادث .

(6) - "L'Afrique française en danger", p.53.

وكانت على مقربة من هذا المكان ، حافلات نقل محملة برجال الشرطة الذين كانوا على أهبة الاستعداد للتدخل . فوقف لافون (Laffont) ، مفتي الشرطة (وكان يرتدي اللباس المدني) الذي كان جالسا برصيف القهسى ، وأسرع يحاول انتزاع اللافتة التي كتبت عليها العبارات الطالفة : " لتسقط الاميرالية ! " ، " ماش انتصار الحلفاء ! " . فصمد حامل اللافتة في وجهه . فأطلق عليه المفتش ، النار بمسدسه ، وأصابه بثلاث رصاصات في بطنه . ونادى رجال الشرطة الى التجمع أمام المتظاهرين ، بعد ان كانوا يحيطون بالموكب ، من كل حدب وصوب . واذ ذاك ، جرت الامور بخير ما أمثل الجزائريون . وبدأ اندلاق النار على المتظاهرين . وامتد العنف الى وسط مدينة سطيف ، وأعلنت حالة الحصار . فلم يعد بإمكان أي كان ، أن يسير في الشارع ، إن لم تمنحه السلطات شريطة للذراع . فكل جزائري مخالف لهذا القانون ، كان يردى قتيلا بدون رحمة . وامتدت الاعمال الودعية الى الأحياء البعيدة من وسط المدينة . فامتدت أولا ، الى بريخو - المدينة (Périgot-Ville) ثم الى شوفروي (Chevrouil) سابقا ، ووزعت قوى الجيش الفرنسي ، في مقاطع المنطقة التي تم . آنذاك ، تدشينها بطريقة جهنمية . وكانت الهستيريا الاستعمارية : فتدخلت الامور بعضها ببعض ، وكان الدم يستدعي مزيدا من الدم . واعتبر كل جزائري مسلم ، حضريا . كان أرقروبا ، طريفة يتحين قتلها بلا شفقة . فلم يحد الصدويميز بين المناضل والمخلص للنظام القائم . وفي شوفروي ، تحكم جنود الفرقة الأجنبية بقيادة الكولونيل بورديلات (Bourdillat) في الامور . فتصوتوا حسب هواهم . وكان لهم الحق في النهب ، وانتهاك الحرمات ، والاعدام السريع للأشخاص . وكانوا ينشثرون ، في تلك الاعمال كلها ، بساترهم الخفي عن البيان والتمثيل في " عمليات التطهير " .

ونظمت حملات "أديبية" . وفي كل مكان ، كان الجنود ، يدلسقون النار على كل شي . فأصبح الرصاص يحصد الفلاحين والنساء والأطفال والشيوخ ، بالرغم من أنه لم يكن لهم ضلع في المسألة . وهكذا ، أضيف الى القتل الأرائل ،

عدد آخر من القسطنطينية . وتحت سماء ملي الصافي ، الفاتح اللون ، لم يمد المسيرة
يشاهد في الحقول ، وعلى الطرقات ، وفي قيعان الأودية الا خرائق ، وكام جيش .
وجعلت المجازر من وادي بن عمار وكاف لحمر والأربعاء بني مجلاد وفرجة
غابسة وهران ، الخ . . . مدنا شبيهة بأورادور - سور - غلان (7) (Oradour-sur-glane)
فمشاربنا ومحاصيلنا ومواشينا . كلها ، سلبت أو أحرقت أو أهدمت أو سرقت . وأحيل
زهاء عشرين الف سجين الى المحاكم العسكرية . ولم يصف بعض الموثقين
الجزائريين الذين كانوا الى ذلك الحين يخلصون للنظام القائم من تسلل
المستعمرات الاستعمارية .

وقصفت طرادة دوغوي تروان (Duguay Trouin) ، شاطئ بجاية
وضواحيها بدون سابق انذار . وفي أفنيس وشايبة الواقعة بين
عن هذا الميناء ، طلب الأعداء من 171 شخصاً أن يتراصوا في صف واحد . ثم
قتلهم أمام 14 امرأة جسي . بهن لحضور هذا الاغتصاب الجماعي . وفي ذلك
الوقت ، كان الرصاص يحمى قرويين آخرين ، عشر عليهم الهدوء فجأة . وهم
يسلمون ، مطحونين ، على درب من دروب الريف ، وأعدم الجميع من
غير مبالاة ، ودونما اقتراف ذنب من الذنوب . وفي قرية خلخل (الصومام) .
اختبأت نساء ، بعد أن استولى عليهن العرب ، في مضيق جبلي ، حتى لا يقصن
في قبضة العدو ، وقد أخذن معهن مجوهراتهن ، فأدركهن الجيش الاستعماري ،
وسدوا على عليهن ، بعد أن اقترب في حقن جرائم شنيعة . وفي تاشودة .
الواقعة بالقرب من شوفروي ، استسلمت خمس قبائل استسلاماً أليماً : فسقط
أمدلت بوايل من الرصاص بعد أن جردت من ممتلكاتها . وأكسره كل من دجا
من الموت ، على الرضوخ لأوامر الكولونيل الفرنسي . وأجبرت هذه القبائل التي

(7) أورادور - سور - غلان (Oradour-sur-glane) : تقع في فرنسا . قتل
الألمان جميع سكانها . وظلت ذاكرة البشر ، محفوظة بتلك المذبحة . . . الى ان
وقعت المجازر الجديدة والشنيعة في جزائرتنا الحبيبة ، وهي لحمر ، مجازر
لا يد من أن تظل عالقة بأذهان أبنائنا ، ليحرفوا عن الحرية التي ينصمون
بها ، حالياً . (المترجم)

قتل الكثير من أبنائها بالرصاص الفاشي في كل من كاسينو⁽⁸⁾ ومقاطعة الألسزاس ، على تسجل أسوأ الامانات ! فيعد أن طلب من أبناء هذه القبائل ، أن يتراصفوا أمامه في صف واحد ، دعا نفس الكولونيل ، السكان الفرنسيين إلى أن يمسروا بصوف "المهزومين" وليدلوه على "المعرضين على الشغب" . وفي المساء ، سيق زهاء 400 جزائري إلى أحد المضائق الجبلية أو إحدى المقابر الصامسة ، وأعدوا فيها بالرصاص . وحدث ذلك ، في حضرة الأمهات والزوجات المفجوات اللاتي كن يطلقن صرخات مروعة . ويبدو أن عنف القتل الجماعي بلغ ذروته على وجه الخصوص بقالعة التي لم يتسبب المظالمون بها ، في أي حادث مسين الحوادث التي وقعت ، مثلهم في ذلك كممثل المظالمين في سطيف . فالحشود الشعبية التي كانت متجهة إلى النصب التذكري لقتلى الحرب ، قد اصطدمت ، منذ تشكيل الموكب ، بحاجز من رجال الشرطة الذين كان يقودهم " فشياري " (Achiary) نائب عامل الجمالة . وكان هذا النذل ، جلادا ، خلال نظام فيشي . ويكسدا ، منعت الشرطة الموكب من التقدم . متجاهلة بذلك : الاتفاق المبرم مع السيد موبير (Maubert) رئيس البلدية .

وأعطى الشوطي الملحاضد الحرب ، الأمر بإطلاق النار على الجماهير . فجرح عدد من الجزائريين ، وقتل مظالمرا ، فتشتت الموكب ، وفاد المدونة . ولم يقع أي حادث في قالعة خلال يومين كاملين . فحاشت المدينة في مدونة تام . واستخدمت هذه المدنة لتوطيد الأجهزة القمعية التي وضعها الممجون في الأماكن المناسبة . حقا ، لقد خلف النازيين ، هؤلاء البرابرة المسيحيين ! فكان رجال الميليشيا ، مسلحين . وما كان هناك شي ، يبر والمذبحة ، ولكن ذلك كله ، كان لابد من أن يسحق ! وأذن ، فمن الواضح ان التحريض على القتل ، كان متعمدا . في كل من قالعة وسطيف ، وبعد ذلك جمع ليستيزاد كاربونيل (Lestrade Carbonnel) ، عامل عمالة قسديلية الذي كان يرافقه الجنرال

(8) كاسينو (Cassino) : مدينة تقع في وسط إيطاليا . جرت فيها معارك عنيفة سنة 1944 . (المترجم)

دوقال (Duval) الميليشيين الأروبيين والأعيان المسلمين ، فتوجه أولاً ، إلى
أبناء جلدته ، فملأهم وشجعهم ، تشجيعاً كان بمثابة علاقة حقيقية تدفع
للقبلة الذين أبدعوا على غير عادتهم ، فاقترفوا الجرائم الفظيعة والمقززة ،
وقال : " أمتكم على هذا الموقف الحازم . عيباً ! افعلوا ما شئتم ، وسأخذ
على عهدتي - كل تجاوز ومفالة ، في استعمال القوة " . وأخيراً ، أبى عامل
العمالة إلا أن يتوجه إلى الأعيان المسلمين ، فتحدث إليهم ، ولكن حديثه
كان حديث الغالب إلى المفلوب ، إذ قال لهم : " إن ما ابتغيه هو الاستسلام ،
بلا قيد ولا شرط ! " .

وأطلق عشباري ، آنذاك ، جيشه المتألف من القبلة الذين كان
بعضهم جنوداً في الفرقة الأجنبية ، وبعضهم الآخر سفاليين أو ميليشيين
(أي جنوداً إيطاليين أسرى) . فانقضوا على الميرت ، وقادوا السكان إلى ميادين
الاعدام . وهكذا ، حصد رصاص الرشاشات ، في محجوة تقع على بعد تسعمائة متر
من مدينة قالمة ، مئات الشبان والشيوخ الذين جيء بهم إلى هذا المكان . وكان
عدد الأبرياء الذين أعدمهم الجبناء الأذال ، يكاف اليوم ، كثيراً جداً .
وقتل المدون بكل سرودة ، سبعة فتيان تابعين للمنظمة الكشفية الإسلامية .
ثم طرحوهم في أفران الكلس . وفي كاب أوقاس ، نقل سبعة جزائريين على مسرتين
شاحنات صغيرة ثم دسوروا من أعلى مكان . . . وتصرف الميليشيون بكل حرية ،
من غير أن ينالوا جزاءهم ، ومن عسور أن يراعوا في عملهم ذلك ، سن أو جلس أو مركبتر
من يمدون . وفي فيسلار (Villars) سابقاً ، أعدم الميليشيون الذين جمعهم
عشباري ، خمسة جزائريين بالرصاص بعد أن طلب منهم أن يتراصوا مواجهين
الهدار . وكان عشباري يصيح بأعلى صوته : " اتيقموا لأنفسكم ، أيها
السادة الكولون ! " . ومن ثم ، اعترف نائب عامل العمالة ، كل هذه الجرائم
الشنيعية ، دون مراعاة للدين أو القانون أو الآداب العامة . ولم تتمكن هذه
الفتائن جمعها ، من أخمد الحسد ، بل لقد ذهب الأمر بالمستوطنين إلى
جمع جيش الضحايا ، في الساحة الواقعة أمام الكنيسة ، فرشوا بالبنزين ، ثم

أحرقوهما بحضور مئات الجزائريين الذين أصبحوا - والحالة هذه - ضحايا
الذراع ، مشلولي الأيدي ، وفي " بعد ، حلت اللجنة التي كان يرأسها الجنرال
توبير (Tubort) والتي كانت مكلفة بالقيام بتحقيق حول ما جرى من حوادث ،
لقد حلت - اذن - قبل أن تتمكن من أداء المهمة التي أسندت إليها . وزيادة على
ذلك ، فإن سلطات مدينة قالمة ، ورغبة منها في إزالة آثار الجرائم التي ارتكبتها ،
قد أخرجت من القبور أكثر عدد من الجثث قمد حرقها بأفران اليوبوليس . وانه
من المستحيل ، أمام هوس القتل (بكل معنى الكلمة) أن يميز المرء بين الضحايا
التي استخدمها الفاشيون الايديولوجيون في ليبيا أو تلك التي استعملها النازيون ،
وبين الأساليب التي لجأ اليها المسوؤلون الفرنسيون في الجزائر . وعرفت قسرى
أخرى مجازر متنوعة ، نذكر منها ، على وجه الخصوص " لابوات " ، الواقعة
بالقرب من بجاية ، حيث أعدم سبعة جزائريين . وقد أهدى الآلاف الأشخاص كما
دمور بعض الجزائريين من أعلى مكان في خنادق خراطمة . وسيق الأشخاص الذين
قبض عليهم في سوق الاثمين الى التعذيب . نعرفوا ما يسمى " بحذاب
القبيلة " (يجبر الشخص على الجلوس بعد ادخال عنق القبيلة في شرجه) .
وفي جيجل ، تعرض سكان عزل ، لفظائح أخرى ، لم تكن أقل شناعة من غيرها ،
وعلى أن نضيف الى كل هذه الجرائم الشنيعة ، عمليات تهيب وسلب القرى
والدواوير . ولجأ العدو الى الطائرات والطرادة الحربية المعروفة باسم
" دوفسي تروان " ، ليقتل بعض المشائبي . كما استعمل في عملياته عددا
لا يحصى من الدبابات . ولا ينبغي أن ننسى أن قوائم الرهائن قد تسببت
وضعبها مسبقا . ومن ثم ، فإنه بإمكان المرء أن يدرك المآسي التي نشأت عن
حوادث 8 ماي 1945 . فكان مصيد المجازر جسيما . وارتفع عدد الضحايا
حسب ما صرحته به السلطات الاستعمارية الى خمسة عشر ألفا . وصرحت
المصالح الأمريكية المقيمة بالعاصمة الجزائرية ، بأن عدد الضحايا بلغ ، آنذاك ،
خمسين ألفا . وأقرت اللجنة المركزية للاعلام التابعة لحزب الشعب الجزائري ،
بأن عدد الضحايا بلغ الأربعمائة ألفا . ومهما يكن الأمر ، فإن الأعمال القمعية
التي قامت بها فرنسا - سنة 1945 - لم تجد لها ، في التاريخ مثيلا . فلا
يذكر أحد ، أن القمع كان يمثل هذه الهمجية ، وهذه العنصرية المحسوسة .

فكان "القذمة" المزعومون ينسبونها لأم واحد، وتمثل في العبارة التالية:
"لا بد من استخدام العنف والقوة الضاربة، لفرض احترام السيادة الفرنسية". وهكذا
تم اقتتال آلاف الجزائريين عبر أنحاء التراب الوطني، ومثل مئات الضحايا الجزائريين،
أمام المحاكم الموجودة بمدننا الجزائرية. وحكم على عشرات الرجال بالاعدام. كما
حكم على الآلاف من أبناء الشعب، بالسجن. وظلت الأمة الجزائرية وجددها،
تعيش هذه الفواجع، ولكنها كانت متأكدة ان قضيتها، قضية عادلة. ومن
المؤسف، أن نلاحظ ان الأفكار السطحية التي عبر عنها الجنرال ديغول،
على عجل، ومويعلسق في "مذكراته" على حوادث 8 ماي 1945، لم تساهم
في رفع شأن رئيس فرنسا الحرة. فقد أخطأ حين أكد ما يلي: "... انها
بداية ثورة اندلعت في القطار القسطنطيني، وزالمت قتل شهر ماي السورية.
وأحمد نارغا شاطينيو (Chataignou) الوالي العام". فمذا الحكم السريسيح
الذي أصدره رجل 18 يونيو، المنقسم، آنذاك، الى طغمة تتألف من
أشخاص أمثال بورجو (Borgeaud)، يعبر تعبيرا صادقا عن المواقف التي كانت
تتأبها والتي تتمثل فيما أسموه "بمظلمة فرنسا"، وكنا ندرك، نحن
المناضلين الذين حللنا التجارب، أن الاستفسارات وأعمال العنف، ستظل
جذورها، تشكل أجابة المستنصر الوحيدة، تجاه قضيتنا الجزائرية. فلم تتمكن
مذاهب المستنصر، ولا الضخيفة التي كان يصرحها علينا، ولا المآزر التي قام
بها كل من ليستراد كاربونيل وعشيري، من تقويض الوعي الوطني والقضاء
على الشعب الجزائري، المطالب باستقلاله.

وكانت لهذه المآسى التي تحملها شعبنا نتيجة لم يتوقعها المستوطنون:
فلو لم يكن الأمازيغي قد طابوا هذه المطب الشاقة، وكان التطور السياسي، ووحدة
الشعب، معروضين للخطر... وأنه ليكون من الحسير، فيما بعد... ان تتمكن الحركة
الوطنية من توجيه الجماهير الشعبية الى ثورة مسلحة. فاعتبارا من هذا اليوم
المتمثل في 8 ماي، سيصمم الشعب المناضل... مقتنفا في ذلك، اثر حزب الشعب
الجزائري... على القضاء، بطريقة منهجية، على جميع العقبات التي تحول دون
استقلاله.

الاتحاد الفرنسي

وحكم الميثاق الثلاثية الاستعمارية

أطلق فرحات عباس في 8 مارس 1946 ، بعد أن مرت عشرة أشهر على الأعمال القمعية الفاشية والدامية التي قام بها الاستعمار في 8 ماي . فعاد على الفور إلى مذهب الإصلاح السياسي . وظل مصالي الحاج الذي جسيه به من برازافيل (Brazzaville) تحت الإقامة الجبرية في بوفاري ، بالجنوب الجزائري ، ثم في بوزريعة (الجزائر العاصمة) .

توى ، أكان ذلك تعبيرا عن أخفاق السياسة القمعية ؟ لقد كانت السلطة الاستعمارية تهدو وكأنها ترغب في تطبيق سياسة ليبرالية تخدم مصالحها . وكانت إضافة إلى ذلك ، تهدو وكأنها متأهبة لدعوة الشعب الجزائري إلى المساهمة في الانتخابات . وحاول حزب الشعب الجزائري ، وعيا منه بمسألة المناورة التي لا تحصل في شيء مشكلة الاستقلال الوطني ، أن يصرف فرحات عباس و لجنة إدارة الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري عن المشاركة في مثل هذه المهزلة الانتخابية . وبما أن حزب الشعب الجزائري كان مكونا على أساس المتارمة السريية ، وكان ينادي بالامتناع عن المساهمة في الانتخابات ، فإنه لم يجر البحث قط في عقد اتفاق سياسي بين الدرفين ، ولكن فرحات عباس وندسراة شييناوا لمعركة الاقتراع ، ففاز الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بخمسة عشر (15) مقعدا من بين ثمانية عشر (18) مقعدا في مجلس يونيو 1946 ، وتولى بذلك المجلس التأسيسي الفرنسي . وفورا افتتحت الدورة البرلمانية ، عرض فرحات المتأكد من مساندة "العلماء" له ، أمام المجلس الوطني الفرنسي ، مشروع ميثاقه المتعلق بجمهورية جزائرية مرتبطة بالاتحاد الفرنسي ، وهو مشروع كان قد سلمه إلى قصر البوربون (1) (Palais Bourbon) بتاريخ 9 أغسطس 1946 . وكان فرحات عباس ، من أعلى منصة هذا المجلس نفسه ، قد صرح بما يلي ، خدة لمشروعه : "إنها الفرصة المواتية الأخيرة التي تتاح لكم . فلحسن تمثيل الحاجز الأخير ! " وكان بذلك يود أن يسترعي الانتباه إلى السياسة

(1) المجلس الوطني الفرنسي بباريس . (المترجم)

الاتحاد الفرنسي
أو
حكم الهيئة الثلاثية الاستثمارية.

الحاسمة المناوئة للاستعمار، وهي السياسة التي تنتهجها الحركة الشعبية
أي حزب الشعب الجزائري . وبعد أن انتقل من التحذير إلى المصالحة ،
صرح زعيم الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بما يلي : (أي ألعن منكم . . .
وأتوسل إليكم . . . فحن أقلية جد قليلة . كونوا أسخياء ! . . .) ومع ذلك ،
فإن الدكتور سعدان كان قد أوضح المواقف السياسية الوخيمة الناجمة عن
كل ما يرمي إليه المشروع من أهداف . فقال : " لقد أعطيتونا العنل المالح ،
ومدحتونا طعم الحرية . ونحن اليوم ، حين نؤكد لكم أننا نود أن نكسسون
أحرارا ، وأن نكون رجالا ، لا أكثر ولا أقل ، نجدكم ترفضون لنا حقنا في استخدام
العبارات التي لجأتم اتم أنفسكم إليها . فأنتم فرنسيون ، ومع ذلك . . . تدمشون
حين يطالب البعض منا بالاستقلال ! " . وما أن نطلق بكلمة " الاستقلال " ،
حتى عمد رئيس المجلس الوطني الفرنسي إلى التحرك على مقدمه ، ليلافت
إليه الانتباه بما أحدثه كرسيه من صرير . ثم أخذ يهدد الخطيب مستصلا
عبارات ، أقل ما يمكن أن يقال عنها أنها لاذعة . فقال : " ياسيد سعدان ،
إنه سبق لي أن ذكرتك بأنك تتحدث من أعلى منصة فرنسية . فألتص منك
أن تتحدث من أعلاها بالفرنسية " .

أ يكون سعدان قد اعتقد أنه يتحدث من أعلى منصة جزائرية !
ومها يكن من أمر ، فما قد انهارت الظاهر الخداعة الأخيرة التي كانت
تظهر بها تلك الأنسية الفلسفية - السياسية . وأزاء التيار الثوري ، فإن
السياسة الإصلاحية ، بما في ذلك سياسة الحزب الشيوعي الجزائري ، لم تعلق
أذنا صافية لها . فكان الرأي العام الشعبي الجزائري ، في الواقع ، يستند
إلى حزب الشعب الجزائري في أغلب الأحيان ، وإلى الاتحاد الديمقراطي
للبيان الجزائري وجمعية العلماء في بعض الأوقات . أما الإدارة الفرنسية ،
فلم تصد تشق بمؤلا الموافقين على كل أمر (بنو نعم) . ففي ، على الرغم
من أنهم يسرون في ركابها ، تعتبرهم ثقلا - ثاسدي الأخلاق ، وتقدم
مساكين مدافعين عن ضم الجزائر إلى فرنسا .

وبعد أن استخلص الحيرة من اخفاق السياسة التي انتهجها الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، سمى قول فرحات عباس في "ليل الاستعمار" ما يلي : "سيمسك الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري عن تقديم مرشحين للمجلس التشريعي الأول في نوفمبر 1946 ، والغاية من ذلك أن يتمكن مصالي الحاج من مواجهة الرأي العام الفرنسي وبرلمانه ". وكان مصالي الحاج قد تلقى من وزير الداخلية ، ومن الولاية العامة بالجزائر، ضمانات مفادها ان القوائم الانتخابية التي يسادها حزبه ، ستحظى بالموائمة والتأييد، شريطة أن يضم حزب الشعب الجزائري تسميته . وهكذا نشأت حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في أعقاب الاجتماع المنعقد في ديسمبر 1946 ، وهو الاجتماع الذي ترأسه أحمد مزغنة والذي كان الحسين الأحمول أميده العام . وفازت حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ، عقب الانتخابات ، بخمسة مقاعد : ثلاثة منها في القطاع القسنطيني ، ومقعدان في القطاع الجزائري . وهكذا أصبح الدكتور الأمين دهاغين وجمال دردور وشمسود بوقادوم نواب الشرق الجزائري ، وأحمد مزغنة ومحمد خير نائبا الوسط الجزائري . ولم تكن أغلبية المناضلين مقتنعة بفعالية هذه الانتخابات السياسية ، ولكن صاممة حركات الانتصار للحريات الديمقراطية ، كانت قد تقرر في الاجتماع المنعقد في سنة 1946 لخوض واحد يكمن في اشارة ممثلها المسؤولين فرصة ابراز الهوية الوطنية للرأي العام الدولي ، وبطبيعة الحال فان هذه الانتخابات لم تجر ، دون اللجوء الى رجال الشرطة المتخصصين في القمع ، وفي عرقلة الانتخابات وتزويرها .

وبعد استعمال الحليف بتاريخ 8 ماي 1945 ، بدأ للوجود مدلسون مهورة ، تخصصوا في عمليات تزوير الانتخابات ، وتلحق " بالمدلسين " عيسى وجه الخصوص ايدمووند لايجلان (Edmond Néagolin) وروبير لا كوسست (Robert Lacoste) . فكان كل منهما يدعي انه اشتراكي ، بالرغم من انه يشغل ^{تحت} ووال عام . وان هذين المسؤولين ، ممثلي السلطة المركزية بهاريس ، لم يكونا في الواقع الا ديهتين رديتين بين أيدي أعضاء حكومة الثلاثة ، وتلحق بذلك

بورجو (Borgeaud) وشيافيو (Schiaffino) وبلاشيط (Blachetta) . وكان هؤلاء المستعدون الثلاثة قد وضعوا يدهم على أكبر جزء من الاقتصاد الجزائري . لذا ، ظلوا يتمتعون بسلطة سياسية غير خاضعة لأي رقابة .

(1) كان هنري بورجو (Henri Borgeaud) من أصل سويسري . وظل فخوراً بلقب "رائد الاستعمار" الذي أطلق عليه . وقد استولى على أخصيب أراضي الجزائر . ونذكر على سبيل المثال ، أنه وضع يده على حقول سدلاوي التي أصبحت لهجة لذلك تمتد قطعة واحدة على ألف هكتار ، وهي حقول اغتصبت حين شنت الحرب على "الأوقاف" سنة 1905 . علينا ، تعميماً للفائدة ، أن نشير إلى أن كلمة "سطاويي" هي ، في الواقع ، تحريف اسمي اخوين ، هما : مصطفى وعلي ، وهما شخصان قاوما العدو عند دخوله أرض الوطن . وكانت هذه الأراضي تنتج سنوياً أربعة (4) ملايين لتر من الخمر . وأضافة إلى المتسلكات المقاربية ، فكان لبورجو ، محمل مواد غذائية ، ومحمل لصنع التبغ وسجائر "باسلوس" بباب الوادي ، ومناجم الحبوب الموجهة إلى مداحن الشلف . وكان بورجو ، زيادة على ماسبق ، يشغل منصب مدير مصرف الجزائر وتونس . وكان يشغل ، في نفس الوقت ، مناصب الاسمنت الواقعة بلافارج (سابقاً) ، ومصانع السدادات والخشب ، ومعامل التقطير ، وبعض سفن الشحن . وكان له ، بوصفه عضواً في مجلس الشيوخ بالجزائر العاصمة ، عدد من الحلفاء الأقوياء . وتجدر الإشارة إلى أن آلان دوسيرينييه (Alain de Sérigny) المدير السياسي لصحيفة "ايكودالجي" (صدي الجزائر العاصمة) ، كان من بين الاقطاعيين القريبين إليه .

وكان لبورجو بقصر الهوربون ، صديقه الحميم روني مايسير (René Maissier) الراديكالي - الاشتراكي . وكانت أمراء طوريطه بهذا الامتداد ، حتى أن كلمة مأثورة كانت تقول آنذاك من هذا الشخص الذي أصبح صاحب ثروة فاحشة : "يتناول المرء أشربة بورجو ، ويتسقات من أغذية بورجو ، ويدخن سجائر بورجو ، ويقترض مالا من بورجو" .

(Georges Blachetto)

(2) لورون شافينو (Georges Blachetto) ايطالي - نابليطسي : كان يراقب الجزء الأكبر من الأسطول التجاري . واتفق الجميع على أنه جمع أفضح ثروة في الجزائر . واتفقت آراء الجميع كذلك على أنه رجل هادئ ، مدطو على نفسه ، وموإضافة إلى ذلك ، يعرف العالم البحري معرفة دقيقة . وكان عضواً في مجلس الشيوخ ، وصاحب صحيفة " لاديبيش الجزائر يسة " . وكان يحدد مثل شريكه بلاشيط ثرياً " فظاً " ، ويعني بذلك أنه كان يحول دون اتخاذ أي تدبير ليرالي .

(3) جورج بلاشيط (Georges Blachetto) : كان يلقب هذا اللص الثالث في الحكومة الثلاثية " بملك الخلفاء " ، وبالفعل ، فإن أكبر جزء من هذه العادة كان يسلم إلى مصانع الورق الانجليزية . وكان ذلك يمثل أكثر من 20 % من الفوائد المحصل عليها ، عملة أجنبية من حساب الجزائر . وزيادة على ذلك ، فإن بلاشيط كان صاحب مؤسسات صناعية ، وأخرى زراعية . وكان نائباً في المجلس الوطني الفرنسي ، ومدير جريدة " جورنال دالجي " . وعلى غرار شريكه : بوزجو وشافينو ، فقد كان لبلاشيط مستشارون سيّيون ، من بينهم جاك شوفالبيس الذي كان رئيس بلدية الجزائر العاصمة ، والذي كان الصديق المفضل لديه .

أما الجماعة المؤلفة من الأوروبين الجزائريين ، أصحاب الأقدام السوداء ، فلم تمثل في الواقع ، إلا طبقة كادحة ، شاعرة بأنها بمثابة أداة بين يدي الأوليغارشية⁽²⁾ المصرية والمستقلة . فمن هؤلاء الأوروبين الكادحين ، من كان معلماً أو طبيباً أو محاسباً أو وكيل عقارات أو عاملاً في سكة حديد ، ومنهم من كان مستخدماً في مصلحة بريد أو صناد سمك أو عاملاً من العمال اليساريين أو من الصانع النضار . ترى ، ألم يكونوا جميعاً ، يطمحون بدشاط وحزم ، لا قامة اقتصاداً موهباً للبقاء ؟ .

(2) حكومة تهيم عليها جماعة صغيرة نافذة ، همها الاستغلال . (المترجم)

انهم - جميعا - يحيلون أنفسهم ، بشغل ربيع عليهم المباشر . فلم يكن لهم ، - غير العمل - مصدر آخر من مصادر الثروة . والله اعلم ان تتأمل هؤلاء الكادحين المقيمين في الأحياء الشعبية ببلكور - وحسين داي - وباب الوادي ، لتتأكد من ذلك . فحياة هؤلاء الأشخاص ذوي الأيدي الخشنة ، وأصحاب الأسلوب المميز في التعبير ، تختلف تماما عن حياة بورجوا ، وسير يسويه ، وغيرهما من أقطاب الصناعة والاقتصاد الذين كانوا يتجاهلونهم ، ويتفهمون أوقاتهم ، متخترين ، أخذين راحتهم في مساكنهم المفضولة ، الواقعة بحيدرا ، والأبيار ، وبوزريعة . أما أولئك "البعض الضعفاء" ، فكانوا على علم بأن هؤلاء "الأسياء" يتصرفون في الأمور بكل حرية ، ويتزوجون ، ثم تتقدم بهم السن ، فيفتنون أجلبهم بعيدا جدا عنهم . فالطبقة الاجتماعية ، صاحبة الامتيازات ، تعلم علم اليقين انها ستظل تحكم مادامت تتظاهر أولا وقبيل كل شيء ، بأنها قليلة التشبث بالمسيحية والديمقراطية ، ومما دامت تتظاهر ، أخيرا ، بأنها تعيش في العزلة . ومن فرط الخلق ، أصبح هؤلاء "الأسياء" متعجرفين . وصاروا على مر الأيام ، مستهينين وعسريين ، وأصبح هؤلاء الاقطاعيون ، أخيرا ، لا يذاتون الا عن كرومهم ، وأهراثهم ، وخزائهم الفولاذية ، ومحلاتهم التجارية ، ومساكنهم ، وسفهم . أمنا أرويسو باب الوادي ، فلم يكن لهم شيء من هذا كله ، لأنهم لم يكونوا الا أبدا كادحة ، لا غير . فهم ، جميعا ، أصحاب حرف بسيطة ، يعيشون عيشة عادية بكل ما فيها من عسر ويسر ، ولكن تقليد "الأسياء" المشاهير ، استعمال قلوبهم . وقد عمل "الاشغاليون" الجشاع على دغدغة حواسهم ، فراحوا يساهرون رغباتهم من أجل استخدامهم واستفلا لهم ، بطريقة فضلى ، في أوقات الانتخابات المرحية . فهم يسرون في هؤلاء الناخبين ، كتلة طيبة ، تعمل على تخليدهم في امتيازاتهم المنافية للأخلاق . وكسنان هؤلاء الناخبون ، إضافة الى ذلك ، بمثابة العدد الكثير من الدحل السذي يسلم عسله الى الدبحة . وأومتهم المصاوبة العنصرية ، منذ انذارات والتحذيرات الأولى التي عكرت صفوح حياتها ، وأضعفت "سيادتها" ، أنهم يمثلون فرنسا في البلاد الجزائرية . واستولت الأوامم والخرافات على هؤلاء

"البيض الضعفاء" ، وأصبحت العصابة الاستعمارية تمدد ليم يد العمون ، وتقودهم في نفس الوقت ، وما هم يتحولون الى ميليشيين الضمير الفاشدين ! فأخذوا يفكرون من جديد في استخدام الأسلحة نتيجة للتأثير المتبادل ، وللحق الذي يتأكلهم ، وماروا يسعون جامدين ليكون المشيمه قائما بينهم وبين هؤلاء الأسياد من أمثال عبو (Abbo) وبلاشيسط (Blachette) ، دون أن يتحسبوا للاستقلال الذي سينقلب حلمهم فيه الذي كابوس ، ودون أن يفكروا في أنهم حين سيرتحلون الى فرنسا ، وهم لنسب يحدوا للاعترا ب شيئا ، ستقلب حياتهم جميعًا . وثمة ، سيهجرهم أسيادهم من أمثال شيفافينو وسيميان (Simian) ودوروكس (Duroux) الذين سبق لهم أن اندمجوا في طام العال الفرنسي ، وتم رسوا بالأعمال الدولية الكبرى .

وما قد أصبح هؤلاء "البيض الضعفاء" ، بسبب تواطؤهم مسرع مواطنيهم ، مثلنا "ضحايا" تشويبه الوقائع التاريخية . فهناك - وهناك فقط - بدا مزقهم ، واستولس عليهم حزن دفين . وكانت اعادتهم السى وطنهم ، سيثمة ، إذ كانوا غير مكيفين للحياة الجديدة .

وفي نهاية المطاف ، لم يجد هؤلاء الأشخاص غير المرغوب فيهم ، بسبب سوء فهمهم للأوضاع ، وهوسهم ترضت عليهم نتائج أجسامهم ، كوابيس وأكاذيب متتالية ومهينة ! فمدب في أجسامهم نزاع داخلي دائم ، وأمل مصالحة متلاش ، . . .

مؤتمرات حزب الشعب الجزائري
(ديسمبر 1946 - فبراير 1947).

مؤتمرا حزب الشعب الجزائري
ديسمبر 1946 - فبراير 1947

كان على حزب الشعب الجزائري أن يوضح بدوره مواقف السياسية،
غداة الأحداث الدامية التي عاشها القطاع القسطنطيني، والتجربة البرلمانية
الفرنسية الأولى التي مزّ بها الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري. فوسع بهذا
الشأن، مؤتمر ديسمبر 1946، جلساته التي انعقدت بجزيرة ريعة، بالقرب
من بوست مسماي الحاج، زعيم حزب الشعب الجزائري، العائد من برازافيل
(Brazzaville). وكان لابد من اغتنام هذه الفرصة، فالتقى للمرة الأولى
المسؤولون السياسيون والاطارات، على المستوى الوطني، وقد "خرجوا" من
السريّة، ليتباحثوا في القضية الوطنية، بصراحة تامة، وعن طريق زعيمه،
أحاط المكتب السياسي، جميع المؤتمرين، علما بالاتجاهات الجديدة التي حددتها
القيادة المركزية، والمتمثلة في حثية الاقرار شرعا بحركة الانتصار للحريات الديمقراطية،
بوصفها حركة جماهيرية تتدرج في اطار الكفاح المقاوم للاستعمار. وتقرر
مساهمة الحركة المذكورة، أيضا، في الانتخابات، من أجل أن تسمح مسوت
الشعب الجزائري، خارج حدود بلادنا الطبيعية. علينا أن نؤكد، فورا،
ان خيبة أمل الشبان الثوريين، كانت كبيرة جدا، لأنهم كانوا، كلهم، من أنصار
الكفاح المسلح. وتجاه الصلابة العقائدية التي أظهرها "الشبان الثوريون"،
فان عددا كبيرا من المؤتمرين، قد حاول، حفاظا على الوحدة العضوية
التي يتمتع بها حزب الشعب الجزائري، أن يوفق بين المعتدلين، والصعبين،
الانتخابات، والمتصلبين المدافعين عن العمل المباشر. ولسوء الحظ، فقد
كشفت التجربة بسرعة، عن "هجرة" أفضل اطارات الحزب الذي
امتصتهم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية. ومنذ ذلك الوقت، أصبحت
هذه الحركة تستظهر بمظهر حركة كلاسيكية ذات التقاطيع الإصلاحية
المميزة للديوانية (البيروقراطية) والانتخابية. فكانت تنادي بالاشتغال
بالطريقة السياسية، بواسطة الاقتراع. ومن الواضح ان مؤتمر أكتوبر 1946،

كان له الفضل في تحديد المواقف بين الشرعويين (1) المهتمين، على وجه الخصوص، باستغلال الامكانات النادرة التي أبن النظام الاستعماري، إلا أن يتكرم بها عليهم. أما العاملون في الخفاء، فقد عجلوا، وهم يتدربون سرا على أسلحتهم، بالحدث الذي سيجعل منهم رواد ثورة فاتح نوفمبر 1954. وكان مؤتمر 15 فبراير 1947 قد انعقدت جلساته ببلكور، في محلات المناضلين سي مولود، بائع شراب الليمون. وان مصالي الناج وشركائه، تحت ضغط الأحداث، وتأثير الشبان الثوريين، وبعد استخلاص العبر من النشاطات التي قاموا بها، طيلة 15 شهرا، في حدود القانون، (ووافق عليها الشبان المناضلون كرميا)، قد آل بهم الأمر، إلى توسيع قاعدة الحزب المتعمورة في ذلك الوقت على مراحل ثلاث، هي :

- استمالة قلوب أبناء الشعب، بالطريقة السياسية.
- تعجيل مسار مرحلة ما قبل الثورة تصجيدا موضوعيا.
- ميكنة هيئة عمل تتمثل في المنظمة السرية المكلفة بجزء البلد إلى الاستقلال.

إذا، فإنه لم يفت شعبة عسكريين الذين شجعهم طلاب المؤتمر السري من جهة، وتوسيع القاعدة الحزبية من جهة أخرى، وأن يذكروا صحة المطالبات الانتخابية، وبخية التعجيل بإرساء قواعد تحضير الكفاح المسلح، تحضيراً جيداً وفعالاً. وان القرار النهائي المتخذ قد جعل، من أذن، من أنصار العمل المباشر، والظافرين المؤقتين في المؤتمر، ولكن ذلك كله، سيجعلهم يعيشون مرارة خيبة ظلت تقذّرهم أياماً طويلة! وان هذا الانتصار الخاطف، سيجعل المنظمة السرية المزودة، محدثياً، بالتفويض الكامل، في عزلة تامة. وهكذا، ستعرض، شيئاً فشيئاً، للقمع المدني والعسكري، وستجهد، في ذلك، بعض الضعف والجزء، فتخرب قواها، ويصرح، فيما بعد، بحلها النهائي. وفيما يتعلق بالسياسة الاجتماعية المعروفة بسياسة "القفزة" المخصصة لمساعدة الآلاف من المهتلين السياسيين

(1) الشرعويون : المترمون حدود القانون، المتقيدون بحرفية الشريعة (الترجم).

الذين زج بهم في السجون الاستعمارية ، فقد أنشأت حركة الانتصار للحرييات الديمقراطية ، لجنة مساندة ضحايا القمع التي كلفت بمساعدة المعتقلين وعائلاتهم . وكانت هذه الهيئة المهيكلة على الصعيد الوطني ، تعمل بالجزائر العاصمة ، على عهد عيسى عبدلي الذي كان دوكيا (سابقا) ، ومرشح حركة الانتصار للحرييات الديمقراطية للمجلس الجزائري ، في سنة 1948 .

الحمولات الأدبية
(منطقة القبائل والأوراس)

الحملة التأييدية منطقة القبائل والأوراس

كان لابد من مرور مصالي بروج متأمل سنة 1947 ، ليتصاعد من الشراة لهيب القمع . وقصارى القول ، أن الجريمة المعزوة إلى سكان المنطقة ، تمثلت في الاستقبال الحار الذي خصوا به زعيم الحركة الوطنية . وبطيحة الحال ، فإنه ما كان للدعاية الاستعمارية ان تفوت على نفسها فرصة إثارة عامل " الجهوية " ، لتحاول بذر الشقاق بين سكان منطقة القبائل ، وغيرهم من الجزائريين القاطنين بالجهات الأخرى من البلاد . ولما بساءت هذه المحاولة بالفشل الذريع (كما كان يطيب للسلطات العليا في الولايسة العامة أن تؤكد ذلك) رأيت السلطة انه من الضروري الرجوع إلى استخدام القوة . وهكذا ، تذرعت الإدارة الفرنسية بجريمة ارتكبها بروج متأمل ، عناصر غرباء عن محيط السياسة ، لتقوم بأعمالها القمعية . وسرعان ما سبب هذا الاغتيال الذي يدرج في إطار القانون العام ، إلى الحركة الوطنية . ومنذ ذلك الحين ، سجلت عبر جميع أنحاء المنطقة المذكورة ، سلسلة من التحديدات والاستفزازات ، تمثلت في التمديدات والأعمال الردعية ، كما تمثلت في عمليات تشييد المنطقة . وأقامت السلطات مراكز تدخل في تيزي وزو وبرج متأمل ، للقيام بهذه العمليات . وانطلاقاً من هذه المراكز العسكرية والبوليسية ، كسبان الجنود ورجال الشرطة ينقضون على القرى . وكان ذلك يحدث ، عموماً ، علمند طلوع الفجر أو عند الغسق . وكان عدد كبير من المدن الصغيرة كدلس وبروج متأمل وذراع بن خدة (ميرابوسابقاً) مسرحاً لمخالفات قانونية ، وأعمال تصفية وحشية . واستولفت الأعمال الردعية بوحشية أكثر من ذي قبل ، في يوليو 1948 . فلما جاء اليوم الحاسم ، هجمت المصائب الإستعمارية ، على قريةيسة اعزيب لزوم⁽¹⁾ (موسونفسييه سابقاً) ، وأيقظ رجال الدرك والشرطة ، السكان

(1) ملكية القائد الثوري الشهير الحاج محمد لزوم الذي ماجم سنة 1931 بالبلدة المحتلة من طرف الجنرال دامريمون (Damrémont) ، وقد أحرز انتصاراً كبيراً بيهودواو ، حين حارب جيوش المارشال راندون (Randon) . وبعد الهزاه ، سجن بتادمايت ، ثم حكم عليه بالقي ، فمات في المدش .

الذين كانوا نائمين ، - آنذاك ، وضر هو هم ضربا مبرحا ، بأخضض بنادقهم ، ثم اشتد العنف ، فراحوا يحطمون سقوف البيوت ، ويمدمون الجدران . وأحرقت قوات الفوضى والفساد ، المساكن بما فيها . فلم تسلم مؤن القمح والشعير المتواضعة ، من شرها . وامتدت يد الدمار الى جرار الزيت ، فكسرتها . وذابت السادية (2) بأعوان شرطة الاستعلامات العامة ، الى اكراه بعض السكان ، على احراق بيوتهم الشخصية . وعاد "المدنون" الى معسكرهم بعد أن خربوا ، ونهبوا ، وسرقوا المجوهرات والأموال وأشياء أخرى نفيسة ، دون أن يشعروا بالجزع ، تاركين وراءهم أسلحة النيران المدمرة التي كانت بدخانها تفضي سماء جرجوة الهادئة .

وقام بهذه الأعمال المريضة دييسترينش فرييه (Diotrich Ferré) المشهوروم ، ذلك النذل الجدير بأن يخلف النازيين ، بجرائمه الرامية الى " استعادة " السلطة الفرنسية على منطقة القبائل . وكانت مفرزته تتألف من 150 دركيا وعشرة (10) أعوان تابعين لشرطة الاستعلامات العامة . وكان يقودها ضابط من ضباط كتلة الدرك ، يساعده في مهمته ميليشيان . وتكررت حملات هذه المفرزة على المسدأشر . وتمثلت خاتمة هذه الاعتداءات في تلك الأعمال الرذعية التي تنم عن فسفاذ لا يمكن للحقل السلميين تصورها . . . ولكن أوا أسفاه ! فان قائمة هذه " المآثر الحربية " ، لا نهاية لها . واضطر المناضل ك . . . الذي ألقى عليه القبض ، بمعديسة ابنته وزوجته الحبلى ، الى حضور المعاملة الوحشية التي كانت تعامل بها المصنابة البربرية امرأتين جزائريتين . وفي ديسمبر 1949 تمت بمسدي علي بونا ب ، حملة تأديبية (بداعي البحث عن جندي متمرّد) ، كانت تسد تجاوزت في هولها ورعبها ، جميع المذابح المسجلة سابقا في المنطقة . وأعلى استعراض النتائج ، بعد هذه الممجية الوحشية ، ما يلي :

(2) السادية : فساد الفريرة الجلسية . (المترجم) .

- سلب 600 بيت .
 - اكراه سبعة ملايين شخص علي المجرة .
 - تحطيم سقوف المنازل - تمديد الابواب بخرابات الممول .
 - اتلاف مؤن التغذية .
 - فتك بالمواشي .
 - اهانة عدد من النساء والشيوخ ، تحت التمذيب ، وتمديد جميع
- البيوت ونهب المؤن الأساسية بسيدي علي بوناب . وتبع هذه الفضائح ، رش الحوادث الاليفة بالرشاشات . وكان الجزائري البري ، الذي يختار طبيعة مستهتراً ذلك الوقت ، يفقد جميع مواد الخدائحية ، في أقل من ساعتين . وصبت خمسمائة لتر زيتاً علي الأرض . ونهب عشرة قناطر من التين المجفف ، وأربعة قناطر من الذرة الصفراء كما هضمت جميع الأواني الخزفية . وملك خمس وثلاثين سنة خلقت ، كانت تلك القرية الصغيرة قد قدرت خسائرها بأكثر من خمسة ملايين من فرنكات ذلك العهد . وعلينا أن نلفت النظر الي ان المدو قد جرد رب الأسرة "س" من ثيابه فوطوق عنقه بحبل ، ثم سار به عبر أنحاء الدوار ، وأكرمه ، تحت تمديد الأسلحة فقل أن يكيدل لمصالي الشتائم الكثيرة ، ولسوء الحظ ، فقد أوسع عدد كبير آخر من السكان شتماً ، وانتقل المستعسر من هذه الجرائم الشنيعة الي الإجراءات التعسفية ، وارتكب من الفضائح أسوأها . فتمتلك خمسة دركبين ، عرض فتاة ، لا تتجاوز الرابعة عشرة من عمرها ، في حضرة عدد كبير من الناس ، واذ ذاك ، غادر الدوار طفل وسبعة آلاف امرأة ، بعد أن استولى الذعر علي الجميع . وتوجهت أغلبية النساء الي العاصمة . فلم تعد هناك امرأة واحدة علي مدى عشرين كيلومتراً . وتكررت نفس الأساليب بوكالت نفس الخسائر في مكان آخر ، يدعي " أولاد بوزيد " . فاختار رجال الدرك ، وذلك بغية الترفيه عن أنفسهم ، أن ينتفوا شعراً لحيية شيخ يبلغ من العمر تسعين سنة ، وأرغموا المجرور ، فيما بعد ، علي أن يتجرد من ثيابه ، وأن يقطع مسافة ثلاثية كيلومتراً في الجبل . ولم يفتوت نفس الدركيين الفرصة عليهم ، فراحوا يدسون مسجد سيدي اسماعيل ، مما زاد الطين بلة . وكانت الادارة الاستعمارية المتهاشية بسيادتها التي أرسست قواعدها علي جرائم مخزية ، قد وجهت قواتها الرديئة الي مرتضعات الأرواس بعد ارتكابها الجرائم الشنيعة في منطقة القبائل .

فصدت منذ يناير 1950 إلى خلق جو حربي ، ستترتب عليه نتائج
جسام ، في هذه المنطقة ، ولكن القمع الحقيقي ، كان ذلك الذي وافق
الانتخابات التي أجريت بتاريخ 17 يناير 1951 والتي كان الغرض منها
اختيار النواب في المجلس الوطني الفرنسي . وكانت الإدارة الفرنسية تؤخذ
سكان الأوراس على رغبتهم في أعضاء المرشحين الوطنيين ، أصواتهم ، بالرغم
من أنها خلقت بطريقة منظمة ، حرية التصويت ، بتعيين مرشحين ، في كل
مكان . ولم يقف المستعمرون عند حد تزوير الانتخابات والتدريسات
لأن وجود عدد من الثوار في المنطقة — وهم متمردون تبحث عنهم
الشرطة — كان بمثابة شحنة الانفجار الفعلي لاطلاق عملية تدخل
القوات الردعية . فتذرع المسؤولون الفرنسيون بحجة " تمشيط المنطقة "
ليقوموا بحملة عسكرية وبوليسية واسعة النطاق على السكان الودعاء .
ولم يصد .. هناك ، منذ ذلك الحين ، ما يقف بعين الاستعمار . ففي 2 يوليو
1951 ، جرت عمليات تحد واستفزاز ، تعقبها مناورات ارهاب . وأشثشت
مباشرة ، من أجل مساعدة الشرطة في تأدية مهمتها . وفي 19 يوليو
1951 ، باغتت زمرة من الدركيين دوار " كيمال " ، ونظمت السلطات المحلية
توزيع أسلحة على أعوان الإدارة ، وتم ذلك جهاراً . نهاراً ، وفي اليوم التالي ،
أي في 20 يوليو ، استفز بعض من الرجال المسلحين السكان ، فجرحوا امرأة
وطافلين . وفي صباح 7 أغسطس ، توجهت إلى مرفعات الأوراس ، قافلة
تتكون من 5 شاحنات أمريكية و 7 سيارات جيب ، و 7 دراجات بخارية .
وكانت هذه المركبات جميعها ، تتقل حوالي مئة جندي من الجنود المتفلقين
(المختصين بحفظ الأمن) وكانوا وهم يرتدون بزوز ميدان ، مسلحين بالبنادق
القصيرة والرششات . وفي عشية ذلك اليوم ، أي في 6 أغسطس ، حاصروا
أرييس 14 دركياً ، كانوا ، وهم يمتطون أفراسهم ، مدججين بالأسلحة
اللقائية . وضلقت جماعات أخرى ، يدعمها رجال من الشرطة القضائية ،
ورجال من شرطة الاستعلامات العامة القادمين من باتنة ، عدد القوات القمصية
المنسجمة على دوار كيمال ومشتى الضاف ، ودوار فسيير ومشتى درون ،
الخ

وكانت الأخبار تتحدث عن دورها... عن جزائر بين يساقون الى المكاتب التي أعدتها الشرطة . فيتعرضون فيها للتعذيب الذي يعرفون من خلاله شواهاة وأسوأ قسوة . وكانوا يعرضون للشمس ، أثناء النهار ، وللسبرد ، خلال الليل . أما النساء ، فكان العدو يسوقهن الى الأماكن المصروفسة ، حيث يجدن أنفسهن تحت رحمة الفيليشيين ورجال الشرطة . ولجسناً الجنود المتعلقون " المختصون بحفظ الأمن " ، والدركيون ، ومفتشيو شرطة الاستعلامات العامة ، الى جميع وسائل وآلات التعذيب : عذاب المفلس ، واستخدام الآلة الكهربائية (جيجين) (3) ، الخ . . . وبالإضافة الى هذه الفظائع كلها ، كان على الشاوية القاطنين بالمنطقة ، أن يقوموا بمعايش الجيش والشرطة . ففض القياد ، بأمر من السلطات ، بأكرامه كل ساكن على دفع 200 فرنك ، يومياً ، لشراء المؤن المخصصة للقوات القمسية . وهذا أمر لا يكاد يصدق : فالضحية هي التي تقوم بمعايش الجناد . . .

ولكن نمو الحركة الوطنية ، وهو لم يتمكن العدو من مقاومتها ، قد صار يزعج ، أكثر فأكثر ، السلطة الاستعمارية التي رأت نفسها مرفسة على أن تقوم برد الفعل المتمثل في الأكتار من الاعتقالات . ولم تكن هذه الحملات التاديبية ، في نظر السلطات ، على جانب كبير من الوحشية والقسوة ! ولما ثبت أن القمع الممنوي ، غير مجد ، أضاف مسؤولاء الكلاب (أكلو لحم العربي) القمع الاقتصادي . ومن ثم ، كان الرجوع الى أساليب الاحتلال : فكيفت السلطات أساليب " الأرض المحروسة " لظروف الأحداث ، وبمباراة أخرى ، فإنها أنشأت شبح الجوع وعدم الأمن في نفس الجزائريين الذين كانت تؤخذ عليهم وطنيتهم . وكان لابد من أن تؤدي هذه الأساليب الى ارتشاء العاطفة الوطنية لدى الجماهير الشعبية الجزائرية ، وإلى اضحاف الحركة الوطنية في المقاومة

(3) جيجين : اسم مخترع الآلة الكهربائية المخصصة للتعذيب . (المترجم) .

من أجل تحرير البلاد . وكانت هذه الطريقة التي تقوم على إحداث
السيوس والتي تعد امتدادا للقمع السياسي ، تطبق ، آنذاك ، كما
يلبي :

- مصادرة بطاقات التموين المخصصة للجماهير الريفية .
- صرف العمال الجزائريين ، بلا قيد ولا شرط ، من القطاعات العمومية أو
الخاصة .
- عزل أي موظف مشتبه فيه بالموالية ، ويكون ذلك المزل بلا رجوع .
- صرف أي مستخدم في مصلحة من المصالح ، إن كان ذنبه يكمن
في أعرابه عن وجهة نظره الجزائرية ، خلال الانتخابات .
- فرض غرامة غير محدودة على الفلاحين والتجار الصغار علس السوا .
- رفض كل طلب باعتماد تجاري أو زراعي أو صناعي ، يقدمه مؤيد
من مؤيدي الحركة الوطنية .

وبطبيعة الحال ، فإن الحل الأفضل بالنسبة للمستعمر أن يكون الجزائري
خاضعا له ، مستثلا لأمره ، وأن ينكر هويته الوطنية ، فيحيطي ضمانات
على ولائه وأخلاصه . وإنه كان يوسع النظام القائم ، آنذاك ، أن يطمس
فرجا ، ولو رأى الجزائري يشرق في الهوس ، ويهضم في تسيار التحاييل
والتدابير المؤقتة ، غير أن هذا التسيار لم يكن قبلة المواطن الذي يرغب
في استرجاع وطنه المقتصب . ونحيثذ ، فإن النحاس الحقير قد أخذ
يزيد من الضعب الشديد ، ويوجه إلى الجزائري الساخط ، كلمات
جارية وأقوالا مسيئة . فكان ، وهو يحاول أن يسترجزه ، لا يفوته أن يختم
كلامه بالعبارات التالية : " إن لم تكن قائما بوضعك ، فقدم شكوى إلى
مصالي أو إلى حزبك ، حزب الشعب الجزائري " . فهذا المستعمر المتخلف
ذميا ، كان ، وهو يسلك المسلك الذي رسمه لنفسه ، يجهل أن صراخه
المصير عن حقه ، لا يزيد المناضل . إلا اقتناعا بقضيته الجادة ، ويكسبه ،
من الآن فصاعدا ، مناعة ضد التهديدات بالسجن ، وضد التفقيس
والتدمير بالموت . ترى ، أية قوة يلبسي عرضها لأخضاع السكان العزل
أو للقضاء عليهم ! وفجأة ، استردت الفاشية ، بما تتخذه من اجراءات

زجرية وثواما . واسترجعت شجاعتها التي افتقرت اليها ، يوم أن كان عليها أن تتصدى للعدو الألماني ، خلال الحرب الكوسية الثانية .

وهكذا ، فإن باريس كانت تقدم لقادة الجزائر كل الضمانات والتساعدات اللازمة ، وتتركهم يتصرفون ... كما يحلو لهم ، عبر أنحاء البلاد كلها .

فظلمت مسروريتها ، بذلك ، مذنبه ... تماما . أمام الضمير العام . وفسدي الواقع ، فإن الإدارة الرجعية ، كلما قامت بأعمالها الزجرية ، واجتمعت ارادة المقاومة الثابتة التي تسلمت بها الجماهير الشعبية الجزائرية في المسد ن والأرياف ، والتي لم تتمكن السلطة الاستعمارية من ادراك مصلاها ، وإن كانت أحيانا تسرى فيها السبيل الوحيد القادر على ابدال " خرافة " سيادتها ...

والحقيقة المصيرة الأخرى ، تكمن في أن الثورة المسلحة قد انطلقت من نفس هذه الديبال المنتشرة في منطقتي الأوراس والقبائل ، طبقا لمسلك أمان مؤكد . وإن السلطة الاستعمارية التي لم تفكر قط في احتمال وقوع انتفاضة شعبية ، ستطلع على الأمور ، بعد فوات الأوان ، لأن هؤلاء الجبليين ، وأولئك الفلاحين ، سيصلون الى الموعد التاريخي المحتوم .

المنظمة الخاصة
أو
المنظمة السريية.

المنظمة الخاصة
أو
المنظمة السرية

أشعث هذه المنظمة في 15/02/1947 حين انعقد ثاني مؤتمرها
حزب الشعب الجزائري ببلقور في محل كان ملكا للمناضل سي مولود . ومنحت هذه
المنظمة (السرية) طابعا شبه عسكري . ذات ميائل خاصة بالكفاح المسلح الذي
يحتج أساسيا ومحتوما . وكان المؤتمر ، عندما اختار سياسيا ، صحيفة الكفاح
الرائقة هذه ، قد أعمار الألووية للعمل المسلح الذي يعد السبيل الوحيد
الذي لا يوتد ، والذي يؤدي إلى تحقيق الاستقلال الوطني . وكانت هذه
المنظمة الرائدة ، قد أذنت ، آنذاك ، بما ستكون في 1954 ، اللجنة الثورية
للوحدة والعمل ، وجبهة التحرير الوطني . وكانت المنظمة السرية ، تتألف من
مجلسي قيادة : مجلس عام ومجلس اقليمي . وكان مجلس القيادة العام يتألف
من خمسة أعضاء ، ويضطلع على الصيد اليومي ، بإدارة الشؤون الدظامية ،
ويتحمل مسؤولية التوجيهات والمراقبة الخاصة بالمعاملات المبرمجة ، وكان قائد
المنظمة السرية ، يمارس كذلك ، وظيفة المنسق لدى قيادة الحزب . وكان محمد
بلوزداد ، أول وأشهر مسؤول عن هذه المنظمة شبه العسكرية ، وسرعان
ما حل محله ، مساعدته آيت أحمد ، بعد أن أصبحت صحته الواهنة تعوقه
عن أداء مهمته . وراول آيت أحمد وتليفته هذه ، خلال سنتين ، قبل
أن يستتارى بدوره فن الأظفار ، سنة 1949 (بعد الإغارة على مكتب البريد
بمدينة وهران) . فخلفه ابن بلة الذي تولى القيادة حتى ما ي 1950 ، أي حتى
تاريخ اعتقاله . وهناك عضوان آخرا ، كان لكل منهما ، على المستوى الوطني ،
مقعد في مجلس القيادة العام المذكور . ومذان العضوان هما محمد يوسف المكلف
بالمصالح العامة ، وعبد القادر بلحاج ، المكلف بالتدريب العسكري . أما مجلس
القيادة الاقليمي ، فكان يضم جميع القادة والمسؤولين عن جميع المناطق . وعلى
كل حال ، فان الميكيل التنظيمي الذي تهنته هذه السلطة هو الذي اعتمده
جيش التحرير الوطني ، لهيكلته ولاياته سنة 1954 . وكانت مهمة هذه

الادارات تكمن في القيام بتكوين المتطوعين الجدد، وتدريبهم تدريجياً عسكرياً صارماً . وكان مجلس القيادة الاقليمي الاثنى يتألف من الأعضاء الاتية أسماؤهم :

<u>الاسم واللقب</u>	<u>المناطق</u>	<u>المهام</u>
أحمد محساس	وسط العاصمة	
جلال رقيمي	القطاع الجزائري	
عمار ولد حمودة	منطقة القبائل	
عمر بوداود		
الحرثي بن مهدي	الشرق	القسطيبي
محمد بوضياف	الشمالي	
حمو بوتليليس	الشمالي	
عبدالرحمان	القطاع الوهراني	
أبن سعيد	الجنوب	
محمد سراب		المشجرات
عمر بن مجوب		مصالح الاستعلامات
محمد مرونك		المواصلات

أما بشأن قاعدة العمليات ، فكان يتم تجديد عناصرها تدريجياً من بين أعضاء المنظمة السياسية لحزب الشعب الجزائري ، وكان لابد من أن لا يتجاوز عمر كل منهم ثلاثين سنة . ويخضع المرشح لتدريب شبيه عسكري مكثف (نظري وتطبيقي) ، بعد أن يلقن المبادئ السياسية تلقيناً عميقاً .

وتمثلت قواعد حيزب الصحابيات ، في النقاط التالية :

— رائز التجلد وروح الانضباط ، واستخدام الأسلحة والمشجرات ، مما يستوجب صحة لا تتزعزع .

— شجاعة تامة واقتناع قوي ، واتزان نفسي ، ومعاملة ارتكاسات مرتفع ، وادراك معنى السر وأدراكها تماماً .

تلكم هي الشروط التي لابد منها ، للمواصفة على الضمام أي عنصر من العناصر الى الفوج أو الخلية . وكان يقوم بمراقبة هؤلاء الرجال مراقبة تقليدية ، مسؤولون يرتدون أقمصة أو أقمطة حاجبة للرأس ، لا تبرز منها الا الأعين .

وبعد أن يجري المناقيل هذه الروائز ، بلجأح ، وبعد أن تتم الموافقة على تجديده ، يوردي اليمين ، ويده على المصحف . وبمذا القسم ، يتعهد بخدمة وطنه ، في كل وقت ، ودون ومن . فان بدأ تقصير نفسي ذلك ، تمثلت العقوبة في توبيخ المعني بالأمر أو تجريده من رتبته . وكان الخطأ الجسم بمثابة الخيانة . فيحكم على المذنب ، في هذه الحالة ، بالامددام . وفور التجديد يتعذر على المتعهد بالعمل في صفوف المنظمة السرية ، أن يتخلص عنها في يوم من الأيام . فمدة الخدمة تظل ، أذن ، غير محدودة . ويعتبر كل تغييب غير مبرر ، فراراً من الخدمة ، فكانت هذه القواعد الدقيقة والصارمة في آن واحد ، تختلف اختلافاً تاماً ، عن تلك التي تنظم ، عموماً ، الأجزاء السياسية . لذا ، كانت الاجتماعات اجبارية . فالمسؤول ، هو وجدده الذي يبادر الى تحديد مكان وتاريخ ووقعت الاجتماع . ولذلك ، كان النظام يقتضي ان توردي التحية الى القائد ، داخل الفوج أو الخلية (ولا يقع ذلك خارجها أبداً) . وكانت جميع الجلسات تفتح وتختتم بالشيد الوطني . وكان لابد من أن يكون جدول الأعمال واضحاً كل الوضوح ، وان تصالج النقاط التي يتضمنها ، نقطة بعد نقطة . ومن الأهمية النظامية ، فقد كانت كل خلية تجهل الخلية الأخرى بفضائل الخواجز البيوية القائمة بين الخلايا . وخارج هذا الاطار ، فان استنقاضة جميع المناضلين واجبة ، وذلك لتلافي أي ضعف باستطاعته أن يدب في جسم المنظمة . وقد فصل بين الخلايا جميعها بحواجز ، فصلاً تاماً . وأخضعت المنظمة لنظام تسلسلي دقيق ، كما يحدث ذلك في جميع مناسج المنظمات السرية . وكان للمنظمة السرية أربع (4) دوائر تشتمل على المصالح العامة ، وتعني بذلك الاستعمالات والمواصلات والمشجرات وشبكة المتعاطفين مع المنظمة . وكانت هناك ، دائرتان أخريان ، تصبران امتداداً للمنظمة ، هما : التسليح والتعمير⁽¹⁾ . وبالإضافة الى ذلك ، كانت

(1) التسليح والتعمير أي السوقيات (الفن العسكري المتعلق بتعمير الجيوش ونقلها وايوائها) . (المترجم) .

المنظمة شبه العسكرية ، تضم على الصعيد الوطني ، خمسة آلاف
مناضل متخف ، وخمسة آلاف جندي بدون لباس عسكري ، يعيشون جميعاً
في عزلة تامة ، وكانوا أبسطاً ثابتي العزم ، وقد كلفوا بأن يلقوا الرعب الشديد
في قلب العدو ، بأسرع ما يمكن .

وفيما يخص التمويل ، فقد وضع تحت تصرف المنظمة السرية ربيع
اشتراكات أعضائها . وكان في متناول يدها ، زيادة على ذلك ، مساعدة مالية
كانت تلقتها لها سنة 1948 ، بقيادة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية .
وقدرت هذه المساعدة ، في ذلك الوقت ، بنحو مائة ألف . ثم حدث الاختلال
في التوازن ، إذ أصبحت المساعدة المالية تزداد تخفيضاً كلما ازدادت المنظمة
السرية امتداداً ، وهياكلها اتساعاً .

تسرى ، ألم يكن ذلك بمثابة علامات أولى تنم عن التذبذب العقائدي
الذي بدأ يظهر ؟ انها علامات من شأنها أن تبرز التدابير التي اتخذتها قيادة
حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ليضموا المنظمة شبه العسكرية ، تحت
وصايتهم . وبالرغم من أن سوق الأسلحة ، قضية شائكة ، فانه كان على
المنظمة السرية أن تتشرب في أقرب الآجال ، لترسانة أساسية ، قادرة على
تجهيز وحدات الصدام الأولى التي كانت تتنظرون بفارغ الصبر ، وقت الصلح .
وإزاء هذه الوضعية التي أدت اليها التدابير التي اتخذتها حركة الانتصار
للحريات الديمقراطية ، كان مجلس القيادة العام للمنظمة السرية ، يتأهب لبرمجة
تمويله الذاتي ، وذلك باللجوء الى وسائل قليلة الشبوع . فالعملية التي قام
بها عدد من المناضلي بلكور ، عند نزول جيوش الحلفاء على الشواطئ الجزائرية
تمكنت المنظمة من الحصول ، لأول الأمر ، على كمية من الأسلحة الخفيفة
الانجليزية الأمريكية . فالقبائل معروفة بكثرة جناتها ، وفي منطقة صيد ،
قليلة المراقبة في ذلك العهد . ولذلك ، كانت هذه المنطقة أكثر حظاً
من غيرها . فقد سمحت الحوادث بالحصول السريع ، على كمية من الأسلحة ،
أما بشرائها ، وأما بجمعها ، محلياً . وفضلاً عن ذلك ، فإن عدداً لا يستهان به

من أحفاد المقراني ، كان قد احتفظ في دهره بالأسلحة ، غيرة عليهما . وكان الجميع على قدم الاستعداد ، لاطلاق النار ، بكل فخر واعتزاز ، على المدور ، وذلك ساعة الهجوم ، وبعد تأدية اليمين . وكان الانذار بتكرار مجازر 8 ملي 1945 ، يشغل بال مناخلي وسكان القطاع القسطنطيني . فكانوا يزورون الله من راجبهم ، أن يلبسوا السلاح ، تحت البرانس . وبدأ على التزام الجفافير الشعبية ، فقد كانت التدابير الناجمة عن التواطؤ المتدين القائم بين الجميع ، تتخذ في السر المقرر . فالمسألة مسألة صمود الشاوي والموشى ، لهجمات الأعداء . وكان قبل ذلك ، يمثل شكلاً من أشكال الرفاء بالتمهيدات ، وتجميل الموتى . وكانوا يدافعون عن حقهم في التمرد ، مستقبلاً ، من أجل أن تتوقف الجرائم الناجمة عن الخضوع . وكان القطاع الموراني — آنذاك — يمد المنطقة الفقيرة من وكان لذلك ، يجلب نتائج كثيرة . لمحمد بلوزداد . ولندارك هذا النفس في الأسلحة ، حيث الأسلحة ، أرسل المسؤول الأول عن المنظمة السريية ، على جناح السرعة ، محمد يوسف ، إلى جنوب المغرب الأقصى . وحدث ذلك في سرية تامة . وكان لابد من البحث عن الأسلحة ، وعدم التساهل في أداء المهمة . وأخيراً ، ها هو القائم بالمهمة — يواكب — بعد تفادي إسقاط مراقبته الجيوش الاستعمارية ، وتبلا في أماكن الجمارك الفرنسية ، " الذخيرة " التي جسيء بها من المثلث الفسيح الأرجاء ، والمتمثل في مسار — تدرارة — وجمده . وكان محمد بلوزداد يعتبر تسليح الغرب الجزائري (الذي يمتد من مسابقة الأمير عبدالقادر) ، تسليحاً مشرفاً ، دينا مغلوباً ، وأغراباً عن إجلالهم لهذه الأرض الصلبة والمهيبة التي يقطن بها بنوشقوان وأولاد سويد . وستستعيد هذه المنطقة ، ابتداءً من ذلك اليوم المشهود ، مجدداً المتمثل في نشوة البارود ، وعليها أن نشير إلى أن آيت أحمد ومحمد يوسف تمكنا من الحصول في فندق سان جورج ، مقر مجلس قيادة ايزنهاور (2) (Eisenhower) على جهاز استقبال وارسال . ومرة هذه " الخزيمة " بيلكور ، قبل أن تنتقل إلى المنظمة السريية . وهناك مناظرون آخرون قد أضفوا إلى " المفهم " كمية

(2) ايزنهاور (Eisenhower) : قائد قوات الحلفاء في الحرب الكوسية الثانية ورئيس الولايات المتحدة الأمريكية (1953-1961) . (المترجم)

هامة من الأجهزة الكهربائية . وأخذت هذه الكمية من معامل الدايوران المدني الواقعة بالدار البيضاء (مطار مروري بومدين ، حاليا) .

وأخيرا ، فقد كانت المنظمة السرية ، في إطار نشاطاتها النظامية ، وبعض العمليات الخاصة ، تستخدم شركة تجارية للاستيراد والتصدير والتمثيل التجاري ، كتنظية لمصالحها العامة . وكان محمد يوسف نفسه ، يدير شؤون هذه الشركة التي كان يوجد مقرها بشارع بوبيليو ، رقم 42 (الجزائر الحاصية) . وكانت المنظمة السرية تستفيد من المدوة الصوري الذي يطمئن في هذه الفترة الواقعة بين دفتي 1947 و 1949 ، الطغمة الحنصرية . فاستغلت المنظمة هذا المدوة ، لتدعم أفواجها وخلاياها . وكان أدنى عمل تصبفي تقترفه السلطة الاستعمارية يوم شرع على تغييراتها . وكان ذلك يحمل الشعب على أن يتخذ ، شيئا فشيئا ، الإجراءات الحاسمة ، وأن يندمج متائديا ، في المنظمة التي أخذت هيكلها تزداد اتساعا . وكان قد بقي ، - أذن - ، على الحركة الوطنية أن تصرف الشعب - سياسيا - بالشروط الأولى الذي يتوقف عليه الاستقلال ، لتستجلب جميع القوى الحية إلى الكفاح . وفي هذا المستوى فقط ، كان يمكن للحركة الوطنية والمنظمة السرية أن توفقا بشكل مواز - بين ما هو " شرعي " وما هو " سري " أي بين كفاح الجماهير والأعمال السرية .



محمد بلوزداد : مؤسس المنظمة السرية وروحها المحركة .
كان أمل الثورة . . . فحطمه المرض وأدركته المنية ،
وهو في الثامنة والعشرين من عمره .

المقالات اجتماعات سريرية

فلسطين
(زدين والبليلة "ديسمبر 1948")

العقاد اجتماعات سريرية
في زدين والبليدة .

حزب الشعب الجزائري - حركة الانتصار للحريات الديمقراطية - المنظمة السرية .
ديسمبر 1948 .

لم يتردد عملاء الولاية العامة في توسيع رقعة الأعمال القمعية من سطيف الى منطقتي القبائل والأوراس . وكل ذلك جرى على هامش تزوير الانتخابات ، ذلكم التزوير الذي تعددت به الأحزاب الديمقراطية الجزائرية الثلاثة بالاجماع (وحتى بذلك الحزب الشيوعي الجزائري ، والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ، وحركة الانتصار للحريات الديمقراطية) ، فقد أصبح المستوطنون الذين يريدون أن تبقى دار لقمان على حالها ، بعد أن شجعهم الأعتاب على جرائمهم المقترفة ، يلجأون الى الأساليب التصفية ، خلال الانتخابات . وكانت حملاتهم التأديبية ، تلمظهم : فقد قضى الأمر في نظرهم . وتجاه هذه الحملات الاستعمارية التي كانت تتجم عنها خسائر جسام ، جاء (وذلك من أجل تسلافي أي شقاق سياسي في الحركات الثورية) عدد من أعضاء اللجنة المركزية (لحزب الشعب الجزائري وحركة الانتصار للحريات الديمقراطية) ، وبعض كبار المسؤولين عن المنظمة السرية ، ليحضرُوا الاجتماع المنعقد في ديسمبر 1948 في زدين ، وبالنضبط في مزرعة بلحاج الذي كان متعاطفا مع الحزب والذي كان والد عبدالقادر الفمسي جهلاسي والمصروف باسم "الرائد كوبوس" . وشأئت الأقدار والحوادث أن تصبح لزددين لهذه البلدة الواقعة في منطقة وادي فطة ، والمحاطة بوادي الشلف ، " شهرة " مزدوجة . فقد أصبحت بأذي ذي بد ، وممقل الباشاغا بوعلام ، أول الدعاة الى تكوين فرقة " الحركة " الخونة ، وهي الفرقة التي صار هو نفسه ، قائدا لها . وأصبحت زدين ، بعد ذلك ، مقرا للقاء السري الذي جمع بين مسؤولي كل من حزب الشعب الجزائري والمنظمة السرية . فتبادل المسؤولون الآراء ، ودون توقف ، واستمرت المناقشات ، خلال يومين بليلتيهما ، حول الاستراتيجية الثورية التي ينبغي اتباعها ، من أجل تحديد نتائج الحوادث . وأكراه الاستدار

الذي فاجأ زمرة المسؤولين ، في وقت متأخر من الليل ، على فسخ الاجتماع .
وتقرر استئناف الأعمال بالبليدة حيث التقى من جديد ، أعضاء مجلس
القيادة السياسي . وهكذا ، استهدفت المناقشات ، بجهد كما بدأت .
وتمثلت المسألة الرئيسية التي طرقت بأبها ، في البحث عن الطمس
والوسائل الكفيلة بتجسيد أهداف كفاح التحرير الوطني . وكان
التدخلات ، في منتهى الدقة والصرامة . وكانت كلها ، تنم عن إخلاص
أصحابها لوطنهم . واستعرض المجتمعون ، جميع أشكال القتال الأساسية
والعامة ، وبالجوما ، شكلا فشكلا ، ثم ناقروا عليها ، قبل أن يصفوها ، تصنيفا
محكما . وكان المشاركون يتمتعون ، حقا ، بالحسن التقدي الإيجابي . وحللت
اللجنة السرية ، الحوادث المؤلمة التي وقعت في القطاع القسطنطيني ، تحليلا
دقيقا . واستعرضت الحملات التأديبية في كل من القبائل والأوراس . وتبين
أن هذه الحوادث كلها ، قد جعلت الجماهير الشعبية والمناضلين يتمتعون
من خيبة الأمل . وأشارت تطلعات حزب الشعب الجزائري ، الذي كان يتمتع
عن التصويت ، تارة ، ويساهم في الانتخابات ، تارة أخرى ، تدخلات
عنيفة . فتصير الإرهاب ، وأصبح الجميع ينادي باللجوء إلى العنف
الثوري ، للتضدي للأعمال القمعية التي كان ينقوم بها الاستعمار . وأخذ
موضوع النقاش يتغير ، شيئا فشيئا ، حتى تخطى حدود إطاره الوطني ،
فدأجرح بعض الخطباء ، مسألة تضامن ممكن مع كل من المغرب الأقصى
وتونس ، غير أن هذه النقطة رفضت ، بسبب ما كان يحظى به البلدان
الشقيقتان المظلمتان بلدا ، من مميزات مؤسسية وسياسية ، ومراعاة لاحتياجاتها
الداخلية الملحوظة بالثورة المسلحة . وبعد دراسة قضية التسليح والتموين ،
بدأ الرجال المسؤولين ، الأخذيين بعين الاعتبار ، تطور الكفاح ، أن يبدأ
حرب المصائب قد تم الاتفاق عليه . ثم أركس مسؤولو اللجنة السرية ،
كل بدوره . وعلى رأسهم محمد بلوزداد وأبي أحمد ، حماس الأعضاء
الحاضرين الذين تناولوا بالبحث والدراسة المسائل العامة . فأرشدت أصوات
تلتقد حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ، انتقادا حقيقيا ،
وتروا أخذها على استكمالها . مسؤولي اللجنة السرية ، لخايات سياسية

والانتخابية، خلافا للتعليمات التي قورما وحددما مجلس قيادة المنظمة المذكورة، وكانت حركة الابتصار للحريات الديمقراطية مصدر المتاعب المستتي واجهتها المنظمة في تجديد الاطارات. فكانت ترفض، أحيانا، التسيّداب بعض المسؤولين الى المنظمة شبه العسكرية لأنها كانت تعتبرهم رجالا لا يمكن، أبدا، الاستغناء عنهم، لبلوغ الأهداف الانتخابية، فضلا عن ذلك، فان المعروبات المتمثلة في الحصول على الأسلحة، وفي العزاديسية (500 000 ف) التي كان الحزب يخصصها شهريا للمنظمة شبه العسكرية، قد وضحت المنظمة السرية، أمام عقبات مهيمة. وأخسند بعض الشبان يرفعون أمواتهم، واحتجاجا، ويطرحون على الحاضرين الأسئلة التالية: هل ينبغي لنا أن نشهد، إبادة سكان الأواس والقبايل، دون أن نقوم بأعمال مضادة للقمع الاستحطاري؟ وهل علينا أن نرضي بهذه الجرائم الشنيعة التي يعترفها المستمسرون الذين لادين ولا ضمور ولا أخلاق ولا مبدأ لهم؟ أي ينبغي لنا أن نستمر في سياسة "الفتة"؟

ومكذا، طرح مبدأ الأسبقية. فما كان يمكن أن يظل مضمورا، استخدام المنظمة السرية (وهي أداة شبه عسكرية) دون أن تصييط هذه المنظمة نفسها، اللثام عن مآربها. فليتخذ كبار مسؤولي الحزب، وهم أولئك الذين أنشأوا هذه المنظمة السرية، قرارا بهذا الشأن، فلا ينبغي أن يكسفي المسؤولون بتأسيس المنظمة شبه عسكرية فقط، ولكنه يجب كذلك أن يعرفوا، كيف يستخدمونها، وانتهى المؤتمر دون أن يتخذ قرارا عام خلال الجلسات المتعددة، بسبب تباين وجهات النظر، وتحسروالجميع على غياب الدكتور الأمين دباغين، والحقيقة، ان قضية الأمين كانت هي نفسها، تشير مسألة من المسائل العديدة الأخرى.

(1) فبعد أن اتهم بأنه صلب مواقف الحركة من خلال حوادث 8 ماي 1945

(1) كان الدكتور الأمين دباغين قد ترأس الاجتماع الذي عقده المكتب السياسي، خلال الأعمال القمصية التي قام بها الاستحطار بتاريخ 8 ماي 1945. وكان الغرض من تلك الجلسات غير المتقلحة، تخفيف حدة القمصية.

حاكمه الحزب غيبا بيا ، وغصله عنه في ديسمبر 1949 ، بسبب انحرافه عن الاتجاه الحزبي .

وهكذا سيستقبل الدكتور دباغين ، في آن واحد ، من المجلس الوطني الفرنسي بصفتهم نائبا في البرلمان ، ومن حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ، بوصفهم عضوا في المكتب السياسي وعضوا في اللجنة المركزية . فاجراءات الاقصاء التي كان يراها دباغين ، سرية وغير ملائمة ، قد أثرت فيه ، لاسيما وأنه كان معروفا بصرامته المضالمة ، وأصبح به ، منا رمتة به اللبالي ، جراحات لها في قلبه عمق . . . وزعزت هذه العقوبة الادارات والمناضلين ، لاسيما وأنهم لم تأخذ قط ، ولن تتأخذ أبدا صبغة رسمية . وأثارت هذه العقوبة سخط بعض أعضاء الحزب ، مما جعلت على القلب . وقد أحدث هذا القلق ، بدوره ، قلقا في خلاياها كلها . وكان دباغين ، السريخ التأثر ، يتعذب في قراءة نفسه ، من الخلاف الأساسي الذي أبدته عن مصالي والأحول حسين وشرشالي ، بل لقد كان يأسف على ذلك دون أن يخفى من جناحه لهم . فقد صيرته مفاهيمه الاجمالية للكفاح ، صلبا في مبادئه . وهكذا ، كان ابعاده ، في نظر الكثير من أولئك الذين كانوا يحترمونه ، ويقدرونه ، بمثابة خسارة تامة ، على مستوى النخبة المضالمة والثورية . فكان دباغين ، وهو لا يزال غسواء ، عضوا عاملا في الحزب ، وقد تفرس بالأعمال السرية منذ 1940 . وكان حماسه وحذقه السياسي اللذان تسليح بهما ، ليدافع عن قضية الشعب ، قد رفعاه الى مرتبة زعيم حزب الشعب الجزائري . وكان ، حقا ، زعيمنا ذائع الصيت ، وأضافه الى ذلك ، فانه كان ولديا ثوريا ، ومناضلا صلبا قسسي مبادئه . وأنه عرف كيف يكيف حياته ، وفق آرائه . فكان الحزب يمثل في نظره ، عملة وجوده ، كما كان يشكل أسرته الكبيرة ، بل كلة التماسك .

الوحشي الذي أنهك سكان الشرق الجزائري ، ومحاولة القيام بثورة مسلحة ، تمتد الى جميع أنحاء البلاد . وأعظمي شيئا بعد أمر ماركس . . . ولكن ذلك لم يخل دون القيام ببعض الأعمال الثورية في المناطق النائية .

فالحزارة التضالفة التي كان قلبه مفعياً بها ، حملته منذ فاتح نوفمبر 1954 على الالتحاق بصفوف جبهة التحرير الوطني التي مكنته من أن يلتقي مسبقاً جديده بذويه . وغور انضمامه الى الجبهة ، تركت شخصيته القوية أثراً في الحوادث ، وذلك بما أبداه من شجاعة ، وبذاته من نشاط . فمستجيباً لعضواً في لجنة التنسيق والتنفيذ ، وعضواً في المجلس الوطني للثورة الجزائرية . ثم أصبح رئيس الوفد المكلف بالعلاقات الخارجية ، وأخيراً ، وزير الشؤون الخارجية في الحكومة المؤقتة الجزائرية ، من 19 سبتمبر 1958 الى 22 يناير 1960 . وبعد انسحابه ، وتخليه عن جميع المسؤوليات السياسية الرسمية ، واصل الدكتور الأمين دباغين ، سيره الطويل مع الشعب المكافح الى أن ألبثق فجر التحرير الوطني سنة 1962 .

المجموع على مكتب البريد
المركزي بومفران .

المجموع على مكتب البريد المركزي
بومران 5 - 6 أبريل 1949.

كانت حركة الالتحاق للحريات الديمقراطية تهدو، يوماً بعد يوم، غير حريصة على ضبط الميزانية المخصصة للمنظمة السرية، وضبط موضوعها، ومراعاة للتجهيزات شبه "عسكرية"، فانه كان لابد من هذه الميزانية، لتتمكن المنظمة من مواصلة أعمالها، غير ان سياسة عدم الاكتراث، كانت تمنحني معارضة الأهداف الثورية. وهذا ما جعل الوضعية المالية للمنظمة تزداد سوءاً. وان النيات المبيتة، هي... اذن...، وحدها التي كان بإمكانها أن تدفع الحركة الى تخفيض المساعدة المالية، وإلى تخفيضها بالضبط كلما أصبح للمنظمة السرية نفوذ كبير، وكان هذا الأسلوب يكشف عن ارادة التقييد السائدة على مستوى المكتب السياسي لحركة الالتحاق للحريات الديمقراطية، ولم يسبق للمنظمة السرية، أمام هذا "التدجين" (1) الناتج عن ضعف الارادة، الا ان تعتمد على نفسها، وان تقوم ببعض العمليات لحسابها، بدلاً من أن تبقى في موقف "القاصر" ازاء الحركة.

وتكسبت المنظمة من ايجاد مفتاح تمويلها الذاتي، وبفضل قائمة -
المؤسسات العمومية الكبرى التي وضعتها من قبل: فكان ذلك عبارة عن رمية من ثورام. وأصبح مكتب البريد المركزي بومران قبلة الانظار. فبقل جلدول لعيش، وهو عامل في دار البريد والبرق والماتف الى ابن بلمه ومحمد يوسف (الذي كان في مهمة بومران) جميع المعلومات اللازمة لشحن المجموع.

(1) التدجين: الاستنطاق. (المترجم).

سينصبح هؤلاء المشاوير الذين كانت الشرطة الفرنسية تبحث عنهم جميعاً ،
والذين كانوا أعضاء في شبكة التواطؤ ، مجاهدين في صفوف جيش
التحرير الوطني .

ووافق هؤلاء الرجال على الأمر الملزم الصادر على مسامح كل واحد
منهم والمتمثل في الجملة الثالثة : " يمتنع استخدام الأسلحة من الآن باتاً " .
وكان على السائق خبير أن يكون غير بصيد عن أمين الصدوق ، كما كان عليه أن
يستعصي انتهاء الصالح الموجود بشباك البرقيات ، وذلك بأن يقدم له نصاً
طويلاً لبرقية حوت بالإنجليزية ، وكان آيست أحمد هو الذي أعد ذلك النص
للمناسبة . ولما جاء اليوم الحاسم ، أعني 6 مارس 1949 ، لم يجد المخطط
أي صدى : فكان الاخفاق الناجم عن توقف محرك السيارة ، بسبب نفاد الوقود ،
(فمن ياترى - كان يحتمل وقوع ذلك ؟) وكانت هذه السيارة الموضوعة
تحت تصرف مفزة المشاوير ، سيارة أجرة من نوع " فورد - فودينجت " .
وهي ملك خاض للوهراني ابن فريحي . وكان يسقودها في مساء ذلك اليوم
شخص آخر يعرف باسم بلعيد الذي كان يستخدم السيارة ليلاً ، بينما
كان ابن فريحي يستعملها نهاراً . وبعد أن شل واحد من أعضاء مفزة
الصدام قوى السائق ، حل محله واستولى على المقود ، وتناقل بالسيارة
سواد الليل كله ، بل حتى السادسة صباحاً ، أي إلى أن حان الوقت الذي كان
ينبغي فيه لمفزة المشاوير⁽²⁾ أن تتناقل إلى مكان موجود على مقربة
من بنائية البريد المركزي ، وأن تطأ لب للمجوم على السادسة وخمس وعشرين
دقيقة صباحاً . وطراً الأمر المفاجئ : فهبط السادسة ، فستوقف المحرك ،
ونزل الرجال من السيارة ، فدفعوا كي يعود المحرك إلى دورانه ،
واكن ذلك لم يجد نصاً . فكانت مفزة المشاوير متخلفة بخمس عشرة
دقيقة عن الموعد المحدد للحملية .

(2) مفزة المشاوير : (Commando) (المترجم) .



بوجمعة سروداني

لقد سبق السيف العذل ! وما قد أصبح الرجال في مأزق حرج ! فأعسهد
كل شيء إلى بساط البحث ، ثم ان حبوط الخطة ، للمرة الثالثة : قد يعرض
مروءات الجنود المتخفين للخطر . ولو حدث ما هو أسوأ من ذلك . . . لمستم
تقويض المنظمة واعتقال قادتها ، ولا وقع ذلك جيشها السي في الهم

بخفض النظر عن الارتياح الشديد الذي سيحس به العدو، أذاك . . . وشعر الرجال الذين نزل من شوفهم ، بحزن دفين لا لهم أصبحوا يرون انه ممن اللازم أن تكمل أعمالهم باللجاح . واستنقرو الرأي على إعادة العملية لتحقيق نفس المدف ، بنفس الجماعة ، وعلى نفس الساعة . وكان لزاما على مفسوزة المفاوضين أن توفق هذه المرة في العملية كل التوفيق . ومن فرط التيقن والكرار ، سيطرت الجماعة على الجهاز المستخدم ، وسيطرة تامة . . . ودقت الدقائق الثلاث ، ورفح الستار بومران . . . فكان الخامس من أبريل ، وكانت الساعة الصفر ، بعد منتصف الليل . . . فمثل آيت أحمد وعمار حداد الملقب " بالعيون الزرقاء " بين يدي طبيب حرم في ذلك اليوم على أن يصل المي عيادته قبل الوقت المحدد . فاحتجز أعضاء المفزة الطبيب بعد أن لاحظوا أنه عرفهم ، وانطلقت السيارة . وأفرج عن الرهينة في وسط الدابضة ، بعيدا عن مكان الاخطاف ، وأمر ابن زرقة بمراغبة الطبيب . ولما تمهين الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، اندفعت السيارة من نوع " سيتروان 11 السريعة " في نهج " أنزاس - لورين " . وكانت سلسلة آمنة . وما تسعد بدأت سرعتها تنخفض شيئا فشيئا ، ثم يبدأ لتوقب ما ستسفر عنه الحماية ، ثم ما هي تسن أسبلا ضعيفا ، وتتوقف . كان ذلك اليوم السادس من شهر أبريل ، وكانت عقارب الساعة تشير إلى السادسة صباحا . وما هي البناية شامخة . . . هناك ، . . . أمامهم . فتراث لهم في الطابق المخصص لمصلحة الفروز ، أنوار تتجف . ولا حظ الجميع أشباها تمرر الكرام ، خلف زجاج النوافذ ، ثم تتوارى عن الأنظار . فاسترد رجال المدام (بوشعيب وسويدانسي وحداد) رباطة جأشم ، وتواصدوا . . . وكانت نظراتهم مشحونة بمذه الاخوة الصدايمة التي جمعت بينهم طيلة حياتهم المتخفية والتي شعروا بما فسي مستهمل مآثرهم . وتهيأ كل منهم لما ينبغي أن يقوم به . فانطلقت أبواب السيارة في صمت .

وفي ذلك الصباح الباكر ، تكن ثلاثة رجال سهام من أن يخطوا خطوات

متيقنة . . . وكانت هذه الخطوات بداية مسيرتهم

ودقت الساعة السادسة وخمسة وعشرون دقيقة صباحاً ، وكان ذلك
يحتي بداية العملية . فدخلت مفرزة المغاوير ببغتمة ، مكتب البريد ، وأعلنت
المتلزمة السريسة عن غايتها . ثم هاجم رجال من رجالها يواجهن عمال مكتب
البريد .



أحمد بوشعيب



عمار حداد الملقب
"بالعيون الزرقاء"

" من عناصر مفرزة المغاوير الذين أغاروا على مكتب البريد ، بوهمان "

فأمروا أمين الصندوق المعروف باسم بارو (Barreut) برفع يديه .
فبقي مشدوما لحظة ، ولكنه ما عثم أن التصاع للأمر . وأصابه سويداني بضربة
مقلعة ، ووجهها اليه بأخمس سدسه . واستولت المفرزة بسرعة على
الأموال المنتشرة على احدى المناضد . وكان راجح لورقيري الموجود بالقرب
من المصحف ، مكلفا بتغطية هذه العملية . وعند انسحاب مفرزة المغاوير ،
استعاد أمين الصندوق السيطرة على نفسه ، وقد شمر بشيء من السعادة ، حين
لاحظ أنه لجا من الموت الذي كان على قبسدة أمثلة منسه . فتأوه خاف الرجال
الذين هاجموه ، قيل أن ينقطع نفسه من فرط الصراخ وإرسال الذار الخطر .
وما إن أشارت عقارب الساعة الي السادسة والنصف صباحاً ، حتى كان الرجال
خارج مكتب البريد .

وكان بذلك قد أبسحق فجر نهار جديد على المنظمة السرية بما أحرزت عليه من انتصار! وتمثلت نتائج الاغارة في 3 ملايين و 170,000 فرنكا من فرتكات 1949.

وكلفت المنظمة السرية، هذه المرة، محمد خيضر بتسيير الأموال على الفور، إلى المكان المصين، وتقرر أن تستم عطية سحب الأموال خلال مرحلتين، لأن نائب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية لم يرض إلا بأخذ الأوراق النقدية ذات القيمة الكبيرة، أما المتبقى من المبلغ، وهو يمثل مبلغا هاما، فسيحسب فيما بعد. ولهذا الغاية، أمرت المنظمة هذا القادر بلحاج الذي عرف فيما بعد، باسم الرائد (كوبوس) بتسيير كل من الجزء الثاني من المبلغ، والأسلحة التي استخدمتها ففرزة المفراويير.

وأبى مسؤول الشؤون العسكرية أن يمثل للأمر، فاستخرب الجميع ذلك، واستخربا كبيرا، وكان بلحاج، بهذا السلوك الشائن، قد انضم، دون ريب، إلى طليعة الخونة، وألقت المهمة إلى محمد يوسف، ولتخفيف الحمولات، شاءت سخرية القدر، أن يكلف مسؤول المصالح العامة بدوره، الطاجر الومراني عيسى مقران (وهو ملازم موثوق به)، بتحويل المتبقى من المبلغ إلى أوراق نقدية ذات القيمة الكبيرة، فحول جزء من هذا المبلغ في المصرف، أما الجزء الآخر، فحول في مكتب البريد المركزي، وبعد اعلان حالة الإنذار، قامت المنظمة السرية بعملية إلقاء، وتضليل السلطات الاستعمارية، فقلبت جميع الافتراضات رأسا على عقب، وراحت الصحافة تنشر مقالات خارقة حول ما حدث، وكانت الشرطة التي ألفت أن تقوم باستنتاج تفتضيه المهنة، ترى في سرعة التدخل مخفوة من مفاخر الأُسقياء أمثال بيرو والمجون⁽³⁾ (Pierrot le Fou)

(3) بيرو والمجون (Pierrot le Fou) اسمه الحقيقي بيرو لوترال (Pierre Loutrel) ولد في 1916/03/05 في شاطو ديوار (Chateau du Loir)، غادر المنزل العائلي في الخامسة عشرة من عمره، وأصبح لصا من لصوص القرن العشرين المشهورين بجزائرمهم الشليصة. تاربخ وفاته مجهول. (المترجم).

وشيعاً فشيئاً ، أفاقت الشرطة الاستعمارية من غشيتها ، فألقت القبض على نور الدين سطيحولي الذي كان مناضلاً من مناضلي الجزائر العاصمة ، وعضواً من أعضاء منظمة بلكور . وكان يشغل بالضيطة منصب مرافق قطارات البريد . وكان اسمه مسجلاً في القائمة السوداء لدى مصالح الشرطة التي سبق لها أن ألقت عليه القبض للمرة الأولى ، سنة 1945 ، غير أنها اضطرت إلى أن تفرج عنه لأن الحجج ، آنذاك ، كانت واهية ، وغير كافية . وكان بوسع المنظمة السريية صاحبة الحادث القليل الأهمية ، أن تستمر دون أن تخور قواها ، في زرع البليلة في صفوف الشرطة . وما كان يمكن أن يخطر ببال أية شرطة أنه باستطاعته قادة ، أن يقدموا من العاصمة ، وأن يقوموا بأنفسهم بالضبطية . وما كان يمكن أن يخذلوا بالبال - أبداً - أنه بوسع ابن بلنم وأيضت أحمد ومحمد يوسف ، أن يأتوا إلى وهران ، دون أن تراهم عين الاستعمار الساهرة ! فبما لها من جراءة ! البسيسة الفرحية الكبرى إذ لم يحدث مثل هذا قط في الماضي ،

وجاءت خيانة الشؤون (كوبوس) سنة 1950 ، وهتلك الحياة السني لم تلتفتز منها إلا لنفسه الخبيثة اللئيمة ، عرفت مصالح الأمن الفرنسية أن هناك منظمة تعرف بالمظلة أنشيت عسكرية ، وأن هذه المنظمة هي التي قامت فعلاً ، بالسطو المسلح على مكتب البريد المركزي بومهران .

وهكذا ، ستذرسنة 1950 بنهاية المنظمة السرية نهاية مؤقتة ، بسبب سكوت المكتسب السياسي لحركة الأنتصار للحرريات الديمقراطية عن الكفاح المسلح ، من جهة ، وبسبب خيانة جيلالي بلحاج الدبيشة من جهة أخرى .

تلويهن المنظمة السريرية
وامتثال أعضائنا

تقويض المنظمة السريسية
واعتقال أعضائها
1949 - 1950

خلافاً للاشاعات التي كانت ترمي إلى "تسميم العقول" أكثر مما كانت تهدف إلى التهور بالاعلام الموضوعي ، فإن تقويض المنظمة السريسية لم يكن تقويهاً كاملاً ، كما كانت تزعم ، آنذاك ، مديرية الشرطة . فكان تقويض المنظمة بين دفتي 1949 و 1950 ، لا يزال الغاية الوحيدة التي تبدو الإدارة الاستعمارية بلوغها . ومن ثم ، فإنه أصبح بإمكان المرء أن يدرك لماذا كانت الشرطة تعثر كل اعتقال انتصاراً . فكانت صحافة بيسبورجو (Borgeaud) وبلاشيط (Blachotte) ، رغبة منها في خدمة الاستعمار الطويل ، تبادر إلى تشجيع الاعتقالات ، لتحقيق مقصدين يتمثلان في تثبيط عزيمة المناضلين من جهة ، وفي اثقاء تواطؤ الجماهير مع المنظمة ، من جهة أخرى ، غير أن العمليات التي كانت تقوم بها الشرطة ، في ذلك العهد ، عملت على إقصاء في أغلب الأحيان ، على المراكز الحضرية ، ولم تكن المهمة في هذه المنادى سهلة . ويكفي أن نرجع إلى الوقائع المتأكد من ذلك . فقد اقتضت شراسة الاستعلامات العامة منطقة بودواو ، الواقعة بالقرب من العاصمة ، بحثاً عن سويداني وبوشعيب . وفقدت آنذاك ، واحداً من رجالها ، كما يشهد بذلك التقرير السري الذي أرسله كوست (Costes) محافظ الشرطة إلى عامل العمالة⁽¹⁾ بالعاصمة . وجاء في هذا التقرير ما يلي : " لقد لقي كولي (Gullet) الفشل الأول حتفه ، خلال هجوم قام به رجسال شرطة الاستعلامات العامة على مخبئ من هذه المخابئ : " (أي شبكة التواطؤ) . وكان قبل ذلك بخمس سنوات قد سقط بيلكور ، مفتشان آخران ، جثتين ممدتين ،

(1) عامل العمالة أي الوالي في عصرنا . وكانت الجزائر باستثناء الصحراء مقسمة إلى ثلاث عمالات : عمالة تسليمة ، وعمالة الجزائر العاصمة ، وعمالة وهران (المترجم) .

تحت وصاى أطلقه عبدالقادر بودا (2) ومصطفى ، خلال الاعتقالات التي تمت بين دفعتي أول وثامن ماي 1945 .

وكانت الخسائر التي ألحقت بالشرطة في الميدان ، بمناسبة درس لرجالها الذين كانوا أول من أدرك أن الأخطار التي يتعرضون لها عندما يطاردون أعضاء المنظمة السريية ، ستظل جسيمة ، وأصبح قلق الشرطة شديدا . فأصبحت تتحاشى أن تخاطر وحدها بنفسها في الأوسا أوفي القبائل . وكان لابد من أن يساعد الجيش هجومها .

فدنا وهناك ، اذن ، إعراب غير مباشر عن اجلال للمنظمة السريية ، وسيتم - في حقيقة الأمر - تقويض المنظمة السريية عن يد حركة الانتصار للحريات الديمقراطية التي أمرت رجال المنظمة دونما مؤالفة ، بأن يتجردوا من الأسلحة ، وأن ينضموا إلى الحزب . وباختصار ، فان ذلك كان يعني الاستسلام للأمر الواقع الذي يقضي بحل المنظمة بلا قيد ولا شرط ، وبدون أن تتخذ إجراءات نظامية ، ومن غير أن يستم حوار حقيقي ، ، ، ، وزاد هذا التخريب المسفروض القوات الردعية ، التي ما كان يمكن لها ، يوفيا ، مهما كان عددها وعدتها ، أن تقضي على المنظمة السريية ، قضيا ، مهرا ، حججا لتزيمتها آرائها ، وبها من لترويج امكاناتها ، وسيزيل الاستعمار ، زمنا طويلا ، شاكرا الحركة التي حلت محلها . فأتمت العمل الذي بدأه ، وهكذا ، عسناد المسؤولون والمناضلون إلى الحزب ، وظهر من جديد أولئك الذين كانوا يحيشون في الخفاء ، وأصبح الذين كانت الشرطة تبحث عنهم مخدولين ومحرومين من حقوقهم . وعدلت المنظمة السريية عن دورها ، اذ كانت بمثابة رأس الهجوم بالنسبة إلى الكفاح المسلح . فلم يكن مسؤولو حركة الانتصار للحريات الديمقراطية قرارا موتمرا سنة 1947 فقط ، بعد أن توفرت لهم أسباب الراحة بوصفهم قادة يلتزمون حدود القانون ، بل راحوا كذلك

(2) مناضل استشهد في سبيل القضية الوطنية في ناحية بوداوا . وكان ذلك خلال الكفاح المسلح .

يؤمنون المنظمة المسلحة على قبول الانتخابية⁽³⁾ والديوانية⁽⁴⁾. وبعبارة أخرى، فإنهم كانوا يريدون تحقيق مقاصد تتعارض مع أهداف الثورة. ولما أكد من رشح عناصر المنظمة السرية، فقد أخذ أحد المحامين، وهو مناظر من مناضلي حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، ينتقل من سجن إلى آخر، ليبلسغ إلى المعتقلين. تعليقات الحزب المتمثلة في نفي مؤامرة المنظمة السرية، تنفيها باتا، فلا ينهض المناضلين... من الآن فصاعداً... أن ينهضوا بالأعباء والمبادئ الثورية التي كانت تسدد خطاهم. وكان لابد لهذه "المؤامرة" من أن تخدم... سياسياً... قضية الاستعمار، وهو الأمر الذي سيهدى خاطر قادة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، الحريصين كل الحرص على أن يظلوا في مأمن من الخطر، وأن يصبثوا الجماهير كي "يتجهوا الرأي العام الدولي". وهكذا، لم تعد المنظمة السرية إلا قوة هامشية بعد أن تنحدر عليها أن تكون قوة مساعدة. فقد أصبح الهدف واضحاً. وكان يمكن للمرء أن يدرك جود حركة الانتصار للحريات الديمقراطية عن الكفاح المسلح، دونما انكار المسبب. ولإفراق هذا في ذلك، فقد بقي للحركة أن تحل هذه المنظمة الثورية، خلافاً لقرارات مؤتمر 1947، والثلبية رغبات الشخصيات، فكان لابد من إيقاف الأعمال الثورية وقتاً طويلاً، وأشعروا منها بأن الطابع التأميني الذي يكتسبه هذا الاجراء من شأنه أن يثير استنكاراً كبيراً. فان حركة الانتصار للحريات الديمقراطية قد استندت إلى بعض الأخطاء الحقيقية التي ارتكبتها بعض عناصر المنظمة السرية، وهي على كل حال، أخطاء ملازمة في منظمها لجميع المنظمات السرية. وكان لابد... كذلك... من التظاهر بإدراك المسؤولين، ولما تأكدت من الخطورة الكبيرة التي نالتها، لدى الجماهير، بعد أن تمكنت من تخديرها، لم تعد حركة الانتصار للحريات الديمقراطية تفتقر إلى الحجج والدلائل، وقد جنت فائدة كبيرة من اعتقال مناضلين

(3) الانتخابية : سياسة تتبعها الاجزاب وتستوحى فيها مصالحها الانتخابية (المترجم) .

(4) الديوانية : ما يسميه البعض بالبيروقراطية (المترجم) .

يلتمون إلى المنظمة السريية . ولتبرر سياسة التقهقر المنتهجة ، ادعى
مسؤولوها بكل بساطة ، وبدون أدنى اضطراب عصبي ، أنهم من أنصار العمل
المنظم ، تنظيمياً علمياً ، وكان الغرض من ذلك ، أن يستتفكروا ، بطريقة
فضلى ، كل عمر آخر ، أي كل ما تقوم به المنظمة السريية .

ولم يكن تقويمى المنظمة السريية في الواقع ناشئاً عن الأخطاء التي
اقتربتها عناصرها فقط ، كما تور كد ذلك حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ،
الحرية ، لتبرير ممارساتها للكفاح المسلح ، بالسرعة القصوى المستمدة
من تلك الظروف ، على تهرة أعضائها ، ولو أجلمنا الكلام ، لتسنى لنا أن نؤكد
أنه اتضح ، فيما بعد ، أن الأخطاء المسبوبة ظناً وعدواناً إلى المنظمة
السريية ، لا أساس لها من الصحة في مجملها . وما كانت هذه الأخطاء ، على
كل حال ، لتبرر تخلي مسؤولي الحزب عن المنظمة ، ثم هل كان المشكك
الرئيسي ، وهو مشكك في ديولوجي متعلق بعمل مسلح ، اللدراج أم لا في
زاوية ثورية معينة ؟ وهل كانت المبادئ المتشقة عليها ، في مؤتمر 1947
بذاتية قرارات أم هل كانت عبارة عن عملية غفائية ، لا مستقبل لها ؟ ومنها
يكن من أمر ، فإن حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ظلت تلزم الصمت فيما
يتعلق بهذه النقطة . وكان يبدو ، في ربيع 1950 ، أن تقويمى
المنظمة السريية يعود إلى خبر تافه ، جروا به ، سلسلة من الاعتقالات
والاستيادات . لقد كانت جريدة " الزهر " التوسية ، وهي صحيفة
مزلية ، قد نشرت على عهدة مديرها عثمان الخري ، وباللغة العربية ،
خبر فصل الدكتور الأمين دباغين عن حزب الشعب الجزائري ، وعن حركة
الانتصار للحريات الديمقراطية ، فمز هذا الندب المفاجئ ، تبسة ، وتلبيك
المدينة المشيرة المتأخرة للبلاد التوسية . ومرع زايبي المسؤول المحناسي ،
إلى الكشك ، بعد أن تلقى النبأ ، لشراء الكمية المخزولة والمقنية من مسنده
الجريدة ، بخفية أحراقها ، غير أن النبأ المنتشر بسرعة فائقة ، وقد حصل
تبسة كلها ترفجر دهنشة وغيظاً ، فلم تصرف الراحة في ذلك اليوم كلبه
لأن فصل دباغين عن الحزب ، ظل مجهولاً مدة طويلة ، ولأن المناضلين لم يكونوا
موافقين على ذلك .

ومكذبا وعم جوف في منتهى التوتر بين المناضلين الشرعيين والمناضلين المتخفين ، الأمر الذي جعل عبدالرحمان خدياري المعروف باسم "رحيم" ، والمسؤول عن فرع حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ، ينتقد القيادة المركزية للحركة بصورة سافرة . ولما طلب منه مراعاة النظام ، أبى أن يتقاعد للصواب ، فلم يأخذ التمهيدات بعين الاعتبار ، وذهب به الأمر إلى أن يفكر فسي أمالة المشام عن النشاطات المحلية التي تقوم بها المنظمة السرية . وأصر "رحيم" بعد أن فصل عن الحزب وعلى التذليل بالحركة ، فعزم محمد بوشيا ف (المصروف باسم سي علي) وديدوش مراد (المصروف باسم سي عبدالقادر) اللذان كانا يقومان بتفقد الشرق القسطيني على اختطافه لإرغامه على كتمان السر . وقام بتنفيذ هذا القرار ديدوش مراد وقد ساعده المادي مدهني في أداء هذه المهمة . وبعد أن قبض عليه بالقوة العسكرية لم يعد "رحيم" وهو يساق إلى مكان مجهول ، قادرا لمدة طويلة على التمتعة بالشتام . فقتل أصبح ملقبتنا على ذاته ، داخل صندوق السيارة الخلفي .

وشاءت الأقدار أن يفتتح الصندوق أثناء الطريق ، فقتل "رحيم" وتمكن من الاختفاء بسهولة في الطبيعة . واستولى الفلاح على "رحيم" الخائن الأخرق . فأسرع إلى أول مخفر شرطة ليروي مراحل حادثته المؤسفة بجميع تفاصيلها وجزئياتها ، دون أن ينسى أعداءه أو صاف ديدوش مراد ، واكسب مصالح الشرطة كانت على علم بهذه الأوصاف . فليست هذه أول عملية فدائية يقوم بها ديدوش مراد . فقد سبق أن كلف سنة 1947 بنفس المهمة بيلكور ضد المدعو "أحمد سنغال" فأدين المتمرد الموقت تأديبا إيجابيا دفعه إلى أن يعود إلى صفوف المناضلين . وكان ديدوش مراد ، وهو ابن من أبناء العاصمة ، وقتي مناضل بيلكور ، لا يحمل أبدا ، وهو في حالة غضب ، ولكنه كان يحمل دوما في صمت وتواضع . وما تجدر الإشارة إليه أن تواريه عن الألتار بسرعة فائقة هو الذي كان يلتفت ^{إليه} الانتباه . فكان يتفادى الشرطة بأريضة مفوية . وكان ذلك ما حدث فعلا ، في أكتوبر 1948 خلال انتخابات حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ببا ليكاو ، الواقعة بناحية مصكر . ومن المعروف

أن ديدوش مراد كان واحداً من المناضلي المنظمة الأوائل ، ولذلك ارتقى درجات السلم بسرعة . فأصبح مساعد بوضياف ، وأخيه في النضال وصديقه قاسم الأكرم سنة . وفي شهر أبريل 1950 ، كان رجال كوست ، محافظ شرطة الاستعلامات العامة ، متأكدين من أنهم سيوقفونه ، عند طلوع الفجر في بيته ، ولكنهم سرعان ما صرفوا بأسلحتهم فيضاً حين لاحظوا أنه تمكن من الفرار فسي الوقت المناسب ، ومهما يكن من أمره فإن الشرطة تسلت عن مومها حين قامست باعتقال محمد يوسف الذي كانت تبحث عنه وتلاحقه منذ أمد بعيد . وشأت الأقدار أن يكون في ذلك اليوم ، في بيت أخيه مراد ، ذلك المناضل الثوري الذي اعتاد مجابهة المخاطر والذي كان مسؤولاً عن المقاومة في الشرفستان القسطيني . واستشهد ديدوش شامخاً أنفه ، جلالاً وتبها ، متطاولاً على الحدو الذي أمطره بوابل من الرصاص في يناير 1955 . فكان استشهاده تعبيراً عن بطولته الخارقة كما كان نهايةً فطرية للحياة التي كان يعيشها . وهكذا ، فإن شهيدنا " رحيم " عن ديدوش مراد كان بمثابة الفرصة المواتية التي مكنت جيشي الشرطة من محاصرة مدينة تبسة من جهة ، ومن تمشيط المراكز الولدية من جهة أخرى . وفضلاً عن ذلك ، فإنه سرعان ما امتدت الاعتقالات التي قام بها الحدو في صفوف المنظمة السرية بتبسة إلى الشرق الجزائري كله . وعرفت مدينة عنابة كذلك شخصاً سخيلاً مشهوراً يشبه " رحيم " . إنه حسين بن زعيم . ومن المؤسف أن يكون هذا وذاك قد جسداً ثنائي الخزي والحار في ذلك العهد .

وفي منطقة القبائل ، اعتقلت الشرطة بجاية عيان رمضان المسؤول عن التتبع السياسي . ولما تحققت الشرطة ، بعد قوات الأوان من أن عيان شخصية ذات شأن عظيم ، نقلته إلى دار محي الدين⁽⁵⁾ المشهورة التي كانت مسرح التعذيب . وحكمت عليه المحاكم الاستعمارية الرديعية بخمس سنوات سجناً فسي القضائية المصروفة " بمؤامرة المنظمة السرية " . وسيكون عيان رمضان شي أبريل 1956 سبب انضواء السيد فرحات عباس وحركة الانتصار للحريات الديمقراطية إلى جبهة التحرير الوطني ، وإلى الثورة المسلحة .

(5) دار سفارة جمهورية اليمن حالياً .

وقدت جيجل بدورها مولود عمروش (المعروف باسم سي مولود) والمسؤول
الجهوي عن المنظمة السرية . فقد أُلقي عليه القبض في مكان عمله أي بصيدادة
دليلب الأستان المدعو الأمين ، وسيلتحق عمروش فيما بعد ، بصوف جيش جبهة
التحرير الوطني ، بصفته عضواً في مجلس القيادة بالثلاثة . واستشهد
عمروش استشهد الأبطال أثناء اشتباكه مع العدو ، اشتباكا عنيفاً . وحادث
ذلك بمشداة (مايو سابقاً) في 26 يونيو 1957 . وفي القسطع الوهراني ، أُلقت
الشركة التي كانت دائماً أول قوة تبادر إلى القيام بالأعمال القمعية ، القبض بحين
تمشدت على آيت زارش المسؤول المحلي عن المنظمة السرية في نفس الوقت
الذي أُلقي فيه القبض بومران على حمو بوتلياسن القائد الجهوي للمنظمة .
ولم يتمكن من أن يدجو من برائن الحنريين ، عملاء النظام القائم ، إلا بوضيف
وديدوش وابن مهيدى وابن بولعيد (مسؤولون) .

أما الحادث البارز الثاني الذي ساعد على تقوية المنظوة السريئة (بعد
عمل كل من رحيم وابن زعيم) فيمكن في اعتدال عهد القادر بلحاج الذي كان عضواً
في مجلس قيادة المنظمة ، وهوولا عن التدريب العسكري على الصعيد الوطني .
ولمست هذه أول جريمة شنيعة يقرم بها هذا الذي كان ضابطاً سابقاً ، متخرجاً
في مدرسة شرسال . فقد سبق له ، منذ الاغارة على مركز البريد بوهدمران ،
أن يفتن مواكبة الأموال ومعدات مفرزة المفاريسر الحربية (6) .

وكان ابن بله قد أفوه بذلك . وانتهى الأمر بأحداث أبريل 1950 إلى اثبات
خيانته ، ومكذا فان بلحاج لم يبد أية مقاومة حين أوقفه رجال شرطة الاستعلامات
الحامنة بالعاصمة . وخير من ذلك ، فقد بادره في جلسات الاستطاق الأولى ، وقبيل
أن يذهب منه ذلك ، إلى امانطة اللثام عن كل المراكل والمخططات الشبه العسكرية
التابعة للمنظمة السرية . ولم يكن اعتقال ابن بله الا عاقبة وخيمة ما شجرة
من عواقب وشاياته الدنيئة . وراح قضاة التحقيق ورجال الاستعلامات الحامة
بيذلون قصارى جهدهم في تحريش بلحاج على توجيهه أصابع الاتهام إلى المنظمة .

(6) مفرزة المفاريسر : (Commando) (المترجم) .

غير أن هذا كله لم يمنع السلطات من أن تحكم عليه بثلاث سنوات سجنًا . وأحاط
هذا الخائن الشهير أسياده علماء بحركات وسكنات جميع المواطنين . وأهمهم
- فيما بعد - وهو في خدمة الكولونيل شوين (Schoen) عوناً من أعوان مديرية
الأمن الإقليمية . وعطرس سنة 1954 يمارس عمله بقساوة بالغة ضد اللجوء
الثورية للوحدة والعمل . ولما شجعت المباحات النفسانية التابعة لفرودار
(Godard) ، نظم بلحاج الذي سيعرف فيما بعد " بالرائد كوبوس " مقاومة
الثوريسين بزدين أي في ناحيته بالذات وهي الناحية الواقعة بالولاية الرابعة .
وهكذا يكون بلحاج قد خان المنظمة السرية ثلاث مرات : أمام رجال الشرطة
أولاً ، والقضاة الاستعماريين ثانياً ، وفي عملياته الدائمة الموجهة ضد جيش
التحرير الوطني ، أخيراً . ولكن خيانتة الثلاثية تلك ، قد وجدت نهايتها
المدارسية والمشروعة . فقد وقع " كوبوس " في كمين نصب له رفاقه أنفسهم
سنة 1957 . فقلع رأسه ، وألصقت ظهره بطاقة مخزنية تعبر عن
شناعة جرائمه . وبعد أن قامت الكوكبة من الفدائيين بالمهمة التحققت
بمسئوف جيش التحرير الوطني . فكانت المدالة قد أخذت مجراها الطبيعي .

ومما لا ينبغي فيه أن غردار وشوين وكوسيت لم يستلذوا بالابتهاج والاعتباط
في ذلك اليوم . وقد أخذ كريم وأوعمران اللذان اعتصما بجبال القبائل يحملان
سراً ، بغية لتسليم العنصرة السرية ، وتخليها أفضل من ذي قبل ، أما آيت
أحمد المصروف بحصافته ، فلم يخاف مخبأه السوري بالجزائر العاصمة . وفي
أواخر أيلول وألقت السلطات القبض على محسنا بعد أن بلغ عنه بلحاج ، فسيق
إلى سجن البلدية ، محاطاً بشرطة الاستعلامات الخاصة ، ثم نقل إلى البلدية جميع
المعتقلين المنتمين إلى المنظمة السرية ، وكان قد تم حشدهم من قبل بتسيزي
وزو . وتمثلت نتائج هذه الأحداث كلها في اعتقال أهم اطارات المنظمة ،
وفي الجمود الماحل الذي أملتته القيادة العليا بسبب خيانة بعض مسؤولي
المنظمة السورية ، كما تمثلت كذلك ، في الانتصار الفاجي الذي أحرزت عليه
الشرطة ، وفي نشوة الظفر التي بدت تصلو محيا المستوطنين .
المتفطرسين .

وكانت القيادة المركزية التي استحوذت عليها فكرة واحدة تمثلت في خوفها من أن تتجاوزها الأحداث ، تستغل كل ضعف يظهره المناضلون أمام الشرطة ، وكل تقصير في أداة المهمة ، لتبرر العودة إلى سياسة الاعتدال التي تبشيري انتباهيها . وأخيراً ، شعرت القيادة المركزية بحركة الانتصار للحريسات الديمقراطية بارتياح كبير . فبادرت إلى توفير وثيقة سياسية للنظام القائم ، وهي الوثيقة التي لم تكن السلطة الاستعمارية تتخاطبها . وكان هذا الاتجاه المناوئ* للثورة والذي لا يجروا أصحابه على تسميته باسمه الحقيقي ، عمل ثلة من القيادة الحريستين كل الحوص على الحفاظ على أسباب الراحة التي توفرها لهم السلطة . وبالفعل ، فإن الأساليب التي استخدمتها قيادة الحركة ، منذ 1947 ، كانت كلها تدور إلى تجسيد غاية واحدة تكمن في إصابة الثورة المسلحة بالهجم ، ونسي شل قواها الطبيعية ، ويكفي أن نستبج الأحداث ، بحسب تسلسلها الزمني ، للميط اللثام عن مراحل مخطاط أعد ، منذ زمن داويل . وقد أدخلت عليه ، على مر الأيام بعض التعديلات ، ويحتوي هذا المخطاط على النقاط التالية :

- إقصاء الدكتور الامين دباغين ، قائد الكفاح المسلح .
- تخفيض الميزانية المخصصة للمنظمة السرية تخفيضاً متزايداً .
- كبح طموح المنظمة وتسريح عناصرها الملتزمين أكثر من غيرهم .
- انتهاج السياسة العشوائية التي وضعت بفضل ظهور قوموية سطيحية ، وهي سياسة كانت دوماً تؤخر إلى أجل غير مسبق ، كسبل حتميات الثورة المسلحة .
- تدعيم الاحرافية الايديولوجية التي توطدها هذه النتائج الحتمية المتسائلة في كل من (المصوبات) الديوانية والنظام الاستبدادي .
- العودة بلا قيود ولا شرط إلى الوضع الراهن المؤيد للانتخابات والقاضي بتمايش الشعب والاستعمار (تعاون مع ج . شونالييه) تعايشاً سلمياً .

ومكذا أصبحت الثورة بضرسة قاضية . نالفراف الايديولوجي والفرداع العذامي متكاملان . وكان تسقيوض المنظمة السرية ، على اعتبار انها دعامة الثورة الشعبية ، قد أجمل إلى خمس سنوات (5) (أي إلى 1954) تصميم كفاح الجماهير الشعبية . وقد كان بعض معسولي حركة الانتصار للحريسات الديمقراطية ، في نظر الشعب ، قد شق رمس أولى حركة ثورية مسلحة .



مراد ديدوش : مناضل في صفوف حزب الشعب الجزائري ،
وعضو في كل من المنظمة السريية واللجنة الثورية للوحدة
والصقل ، وجبهة التحرير الوطني . أول مسؤول عن الولاية
الثانية - استشهد في ساحة الوغي في (15 - 17)
يناير 1955 .

الوظائف التي أوتكتبها لنا
الشرطة الاستعمارية .

"بوسعكم أن تمزقوا جسمي
وأن تجعلوا لسي ألفظ لشيء الأخر
ولكنكم لمن تشمكونوا أبداً من سحق روحي
التي ستظل ترف على فضاءكم ، وأنوفكم راغمة" (1).

الفضائح التي ارتكبتها الشرطة الاستعمارية

كالتعذبات التي تحملها المناضلون قد أثرت تأثيراً كبيراً في الرأي العام
الجزائري . وكانت الأسباب التي استخدمتها الشرطة السرية النازية (غسطنبر) قد
أثارت استغراب أوروبا ، شعوبها وكنايس وخبيا وشهيات ، ومزت مشاعر الجمعيه .
وارتفعت آنذاك في جميع أنحاء المصورة ، أصوات استشاط أصحابها غيظاً ،
تديداً بالجرائم التي اقترفت في داشو (Dachau) وأورادوب - سور - غسطنبر
(Oradour-sur-glane) . وكان الأديان ورجال الصحافة ، في ذلك العهد ، قد تألفوا
فاستخدموا مواهبهم وآراءهم للتديد بهذه الفلسفة البربرية الحديثة التي
توشك ، أن لم يتوقها الناس ، أن تؤدي بالعالم إلى نهايته المؤكدة ، ولكن ما ان
تسترف هذه الجرائم الشنيعة في بلدان ما وراء البحار حتى يسمح بأن توضح الأمور
موضح الشك ، وتستعمل العبارة المعروفة : " نعم . . . ولكن . . . " ، ويمر
البحر أن أنواع التعذيب لم تكن شبيهة بتلك التي لجأت إليها الشرطة السرية
النازية في فرنسا .

وكان الفرنسي الذي يعيش في فرنسا نفسها والذي أصابه كل ذلك في
الصميم ، ينكر التهمة ، ويبادر إلى التديد بالفضيحة . فهو الذي كان محلياً
بالأمم ، ولكنه هو الذي كان يبيت في أمر ترك الاتهام أو باقائه . ومهما يكن
من أمره ، فالجزائري مذنب في نظر الفرنسي الذي كان يأبى أن يقر بالحقيقة .
ولحل ذلك ناشج عن تعجرفه أو عن شططه في الشعور بالمسؤولية . وهل كان لا بد
من نفي الواقعة وإخفاؤها ، بل هل كان لا بد من تخفيف حدتها لليل رضاه ؟

(1) كتابة على حائط زناتة من زنانات سجن بوبروس . وقد عثر عليها محمد يوسف
مؤلف هذا الكتاب عندما زج به في هذا السجن سنة 1952 .

فكانت عمليات الاعتقال ، وعمليات التفتيش التي تقوم بها الشرطة في كل مكان ، وفي كل وقت دونما سبب ولا أمر بالتفتيش ، تعد شيئا طبيعيا جدا ، فمن يا ترى: تويد الشرطة أن ترعب ؟

ومن المعلوم أن مراقبة المتهم تصبح متواصلة ، دون وازع تخشى رقبته . وقد تستمر هذه المراقبة لمدة شهرين كاملين أحيانا . وقالها ماكان رجسـال الشرطة يساعدون قاضي التحقيق في أداء مهمته . وكان المتهم يلذ أن يرد على الاستطاق المزدوج دون أن يكون له الحق في أن يفصل ذلك في حضرة أي محام من المحامين .

فلا أحد يتعجب من أحد ! وكان يزج بالمتنقلين في سجن بربوروس ثم يؤتى بهم ثلثة إلى مركز الشرطة بالتواطؤ مع مصلحة السجون ، ليتعرضوا ممن جديد لسوء المعاملة . وكان ذلك خروجا عن الرسمية ! فلم تلتزم الش ودلثة حدود القانون !

فأن تصصرف الشرطة كأنها صاحبة الأمر والمهي ، وان تعتمد الخيثة القضائية عليها وتنفق بها ، فتلك عادة قائمة بذاتها . وانه لمن العسير أن يبرهن المرء عكس ذلك . فالقانون والمبادئ والمثل العليا الأخرى لم تكن ههنا ، بالنسبة للجرائم الكبرى الصربي ، سوى عبارة عن ملا بسى سيئة الصنع ولا تلبسه فالشجرة ههنا لا تحل محل القانون . وكألت اللغة المستخدمة هي لغة العصاة . وكانت العبادة هي عبادة الأسياد والخضوع لهم . وكان الأروبي يفرض هذه القوانين سواء كان مستوطنا أو جنديا أو قاضيا أو شرطيا ، آه . . . كم عانينا من الصمت الذي لزمه بعض المثقفين الذين كانوا يرون أنهم من أصل شريف ، ومليت كريمة . وكم عانينا من تطامن التواطؤ الذي تميز به هؤلاء المستعمرون الذين تحولوا ، فجأة ، إلى متماولين حقيقيين مع النظام القائم .

ولشأ في عصرنا هذا ، نوع من الأدب ، هو في حقيقة الأمر ، تعبيري مرعب ، عن المعتقلات والسجون . ومن المؤسف أن يلاحظ المرء ، وفرة هذا الأدب . ولكن . . . لهذا السبب ، هناك تعذيب ، وتعذيب ! أختلف التعذيب

باختلاف الأدبيولوجيات وأخلاقيات الدول ومستوى اخلاص الشعوب لأوطانها .
وما تتركه الوسائل الاعلامية من آثار ؟ . . . وسرعان ما تطورت تقنية وسائل
الاتساع ، مهنا في أوكار الشرطة . ولم تفتقر هذه الطغمة التي تخصصت في قتل
الأبرياء ، إلى الوسائل اللاإنسانية . فمقاومة مارسيل ريجيس (Marceel Régis)
الجنس السامي ، والفظائح التي ارتكبتها عشيارى ، وميليشيا نظام فيشي ، ومذابح
المدد الصينية ، والمضايقات التي سببها مارتينو - ديسلا (Martinaud - Desplat)
للسكان ، كل هذه الجرائم جعلت مخيلة الشرطة الاستعمارية خصبة . فاعتقال أي
شخص ، كان يحتر دائما بمطابفة ضريبة حظ ، بالمسبحة إلى كل من مديرية حراسة
التراب الوطني (الفرنسي) وشرطة الاستعمارات الحماة . وكان أمثال جانو (Jeannot)
وطونسي (Tony) متيقظين على الدوام وقد جعلوا ضحاياهم قبلة الانتظار فلم
يفخلوا عن أهدافهم التي كانت عبارة عن مهمة شاقية ، ورسالة موهدة على أكمل
وجه . وكان " البنيكو " منذ البداية ممددا نفسيا لتجمل جميع الآلام المعنوية .
فكانت الشرطة تيسر له رؤية قريب مفلول اليدين أو جماعة من المضالمين
المكبلين بالأصفاد ، غير باب تصمدت فتحته قليلا . وكان الشرطي يستطلع
ضحيته ، ويحدد محافل تأثر يتها ، قبل أن يقذف بها في الجحيم . وكان الحديث
الأول يتمثل في قذف الشدائم التي تصعبها على الثور ضربات عديدة . وكانت هذه
البداية تعس ، دوما ، شرف البرم ، وتفقده توازنه ، فيصيح بطريقة مفوية ،
مشدوها ، وكان الصافقة صحنقه !

ثم يشهد المتهم ، وهو لا يزال مكبلا بالأصفاد ، ويدها مقيدتان وراء
ظهره ، تعذيب والده أو أحد أقاربه . وكان ، آنذاك ، يشعر بأنه ضيق
الذراع ، فيرفسي ، ويزيد من الضيظ . ويود المرء أن يفر حتى لا يرى هذه الأفعال
الشييعة . وكانت الشرطة تصيب هدفها لأن ما كان يتبع ذلك من منكسرات ،
يجعل جميع الحلول ممكنة . وكان الشهيد يأخذ طابعا مأساويا ، لأن
الشرطة كانت في أغلب الأحيان تلقي القبض على عدد لا يستهان به من الأبرياء
الذين تضيق صدورهم ، فيشعرون بأنهم زلزلوا زلزالا شديدا . وكل ذلك يجعلهم
يتصورون أشياء ، ويدفعهم إلى اختلاق أمور تطلق أسنتهم بالتحديث
عنها لأنهم يظنون علم اليقين أن الوقت الذي يستغرقه التفوه بكل جملة

برجسي* التعذيب والتككيل . وكان لابد أن ينجو المرء من الموت ، وان كسان ذلك باختلاق أذوبة .

وما هي الحكمة في ذلك اليوم ، تفرج من المعتقلين ، لعدم توفير الهاميين ولكن ، بفضل أي فمن حدث ذلك ؟ كان من بين الفرج عليهم من قضى سنتين في الحبس ، ومنهم من قضى ثلاث أو سبع سنوات أحياناً في السجون . وكان ذلك يعتبر توقيفاً احتياطياً ! وذلك ما حدث بالفعل للمناضلين المتهمين في قضية زر والي ، وهي قضية الاعتداء على الباشاغا آيت علي (2) . وهناك مناضلون آخرون أدمى التعذيب قلوبهم لأنهم كانوا موردين في التهمة أكثر من غيرهم . فأصبحوا عبارة عن كتل أشلاء بشرية أويكادرون : ففيهم ذور العاهات (الصور ، والصرج ، ومنحو الظهر) والمصابون بالأرق ، وفيهم مختلوا القول ، الخ وكان المصابون بجروح أكثر من غيرهم ، ينقلون سراً ، بعد عودتهم فمن التيفيقيين للقضايا ، إلى المستشفيات وهم مكرمين على الصمت ، خشية أن يردوا إلى مراكز الشرطة . وعلى المموم ، فإنه كان يتخاضى عن الأعمسال الشبيطة التي يقوم بها رجال الشرطة والقضاة : فخبير القاطن بأفرو فيل ، قد خلع كتفه ، ولن تلازم ذكراه القاضي أبدا . ومثل خبير كمثل كل من عهده الرحمن الساكن بالهروغنة الذي شج فكه ، والشاب مولود الذي شلت يسهده عقوبت تعذيبه بألة " جيجين " الكهربائية ، ولكن المؤسف أن يكسرون الموت بأشكاله المتنوعة ، مأل البصير الآخر من الجزائريين : فكان هناك الأقدام

(2) دجا الباشاغا آيت علي سنة 1945 من محاولة اعتداء على حياته . وتقامت بمذه المحاولة وحدة الصدام التي كان يقودها زر والي . وأصبح حسب الباشاغا بجروح خداسة بعد أن حارل اغتياله سنة 1956 شاب ، من القصبة ينتمي إلى وحدة الصدام التي يقودها ياسف سعدي . ولمقامت هذه المحاولة الثانية في النادي الفرنسي - الاسلامي تصحيح خطأ شائع : لم يقتل الباشاغا آيت علي سنة 1956 . لقد أوى إلى فرنسا سنة 1962 ، وأدركته فيها المطية ، بعد أن أقام بها سنوات عديدة (توفي حوالي سنة 1970) .

بالاغراق أو بالرصاص أو بالتسميم . وكان الموت في جميع الحالات ، يستر بـستار " الانتحار " أو محاولات الفرار من السجن . ويحسب ذلك ، تظاهر الادارة بالقيام بتحقيق وباجراء تفتيش في البيوت ، لتتجر القضية ملتھية .

وكان الجلا دون البارعون في مهنتهم ، يحملون جميعا في الأماكن المشهورة الآتية : في دارة " الطيور " الواقعة في جادة سان ساينس (Saint-Saens) ودارة سوزيلي (Susini) الموجودة بكلوصا لومبييه (Clos Salambier) ((المقر السابق لـقنصلية ألمانيا العامة ، حيث سبق لمديرية الأمن الاقليمية ان دربت رجالها على تعذيب الجواسيس الفرنسيين الذين كانوا يقدمون خدماتهم للنازيين) ولم تكن الدارة الثالثة الا دارة سان جيرمان (3) (St Germain) وهي عمارة قديمة ، مفرجة النمط ، جاثمة على مرتفعات العين الزرقاء (فونتسـين بلو (Fontaine Bleue) ببلكور . وظلت الحقيقة واضحة في اطار الالتزام السياسي . وحرقه هذه الأحداث السياسية قد عاشها قدور عسكري ، فاطبعت فسي أعماق قلبه . وجرائم الشرطة ، وظائح القضاة ، لا تزال آثارها في جسمه مؤسومة . لقد أوقفته الشرطة في 14 ماي 1945 على الساعة السادسة والنصف مساء . وكان ، آنذاك ، طالبا ضابطا بمدرسة شرشال العسكرية . وبعد أن غلبت يداه وكبلت رجلاه ، سيق الى الجزائر العاصمة التي دخلها على الساعة الثامنة والنصف مساء ، فألقي به في زنزانة يبلغ ارتفاع الماء فيها ثلاثين سنتيمترا ، وذلك بعد أن صُفد وجلس من جديد . وكانت تنبصت من جدران تلك الزنزانة رائحة كريهة ، وكأن بها من يحمرخ ، ويحشرج ، ويلفظ أنفاسه . وفي اليوم التالي ، استنطقه محافظ الشرطة لوفريدو (Lofrédó) ورجاله . وأخذ رجل من رجال الشرطة كان يرتدي يسروالا قصيرا ، يلقي الرعب فسي قلبه ، فقال له : " لا يخرج المرء من مكاتب مديرية الأمن الاقليمية الا ليذهب الى مثواه الأخير . . . اللهم الا اذا قبل مقترعاتنا . . . " . وكان للشوطني الذي تـلفظ بهذه الكلمات فـم يصبر عن فتور عممة . انه فـم شخص منحل الاخلاق .

(3) دارة (فيلة) سان جيرمان هي الدارة المصروفة باسم " مخي الدين " .

لقد كانت يدها ترتجفان ، وكان يبدو انهما خلقتا لارتكاب الأخطاء ، واقتراف الذنوب . ثم طرح معسكري في قاعة التعذيب . وعلقت على الجدار أدوات تتمثل في العصا والحضبل والسوط والبكرة . هذه هي آلات وأدوات عصف الجلادين . أولئك المهندسين المتخصصين في فن الشقاء ! كانت تسلسل مرحلة اخضاع المتمم ، وتخويله .

وتعرض معسكري لقصف الأسئلة المتتالية ، بعد أن أُعيد إلى المكتب . لقد عذبتة وأزعجته الألفاظ التالية التي كان يسميها : مؤامرة ... تمرد ... من ... وكان عليه أن يتحدث وأن يذكر أسماء ! وكان لابد أن يلفق الحديث ، وأن يعترف بذنوب لم يرتكبها ! ولكنه لزم الصمت . فأمر لوفريدو محافظ الشرطة : باخلاء القاعة . وكان الوقت ، وقت تهديد المذهبيين . فطوق الرهط الجديد من الشرطة " الضحية " التي أوسعت لكما ولدلما ، ولما صرع معسكري ، بسأدر الجلا دون إلى انعاشه بواسطة شحنة كهربائية ، زعزعت جسمه كله . فصحبا من غشيتة . وأزيد فم الشرطي المشرف على الضميلة ، وكانت يدها متأهبتين للضرب . وكان يضحك ساخرا من ضحيتة مستهزئا بما . ومزوت الشحنة الكهربائية الجديدة جسم معسكري . وعند منتصف النهار ، أُعيد الفكسل به ، مضرجا بالدماغ ، وسقيد اليدين والرجلين إلى زنزانة الماء .

وعلى الساعة الثالثة بعد الظهر ، عاد إليه الجلا دون ليعذبه بواسطة البوب الماء الذي وضع في فمه ، لينفخ بدلته إلى حين اغماسه اغما تاما . فركله آنذاك رجال الشرطة ، وجملوه يلفظ كمية الماء المبتلع ، باستخدام سبار خاص . ولما تاب إلى رشده ، انذروه بأن يقول " الحقيقة " ، ولكنه كان دائما يؤكد لهم انه لا علم له بأي شيء . فأوثقت اذ ذاك ، يدها وقدماه من جديد بنفس الوثاق ، ثم وضعت عليه لوحة موصولة بالتيار الكهربائي إلى جميع أطراف جسمه . وبعد ذلك ، طرح المعتقل في زنزانة مكهربة بموتها . وهناك ، أوسعه خمسة رجال من رجال الشرطة ضربا ثم استعملوه

بمناوبة كرة الملاكمة⁽⁴⁾ ، فكان مسكوري يستقل من شوطي إلى آخر دون أن يلمس الأرض . وما كان يوصفه أن يحتمل هذه الضربات التي كانت تنهال عليه . فكان يصرخ ويزعق كالأصم ، ظمأ منه أن ذلك سيخلصه من آلامه . وأخبره جلا دوه ، أصحاب الأقدام المساج ، بوضع كرة من مطاط في فمه . ثم ضرب قليلا على جمجمته بأخمص المسدس . وما هو للمرة الثالثة يكسب بل بالأصفاة ، ويطرح في زنزانتها إلى أن يحين صباح الفد السادس عشر من شهر ما ي .

ولما حضر بين يدي لوفريدو ، أمره محافظ الشرطة بأن يقول الحقيقة ، وأخبره بأنه ، أن لم يفصل ذلك ، سينتهي به الأمر إلى المقبرة . فقال له المسؤول - الجلاد ، مزجرا : " انه من حقنا أن نتصرف بحياة الناس جميعا " . وظل مسكوري فتشباها برأيه ، فقال : " اني أوكد ما سبق ان صرحت به " . واذ ذاك ، أفولوفريدو ، رجاله بمراصلة التعذيب ، فطرح في مغطس ، معلقا مسن رجليه ، فانهوى رأسه . وبقي على هذه الحال إلى أن أغمي عليه . وعند مسكوري للمرة الثانية بنفس الطريقة ، ولكن هذه المرة ، تشبهت أعصاب الشرطة التي راحت ، تبكر في فن التعذيب : فأدخل ألهورب الماء في شوح المتهم الذي علق ، بعد ذلك ، من رجليه بواسطة بكرة . . فأصبح الدم يفيض من أنفه وأذنيه . وكانت الدموع تخشي عيونه . ولم يعد للألفاظ التالية التي تفرغ بها الشرطة نفس الرنين : " لثيم ! سافل ! . . . ستروح اليها ، الآن ، بكل ما تصرف ! " وكانت الشائم بصخبها المتزايد قد لعبت برأسه . وابدعت الشرطة على غير عادتها . . . فوضعت على جسده المتكل به ، صفيحة ، قنا لونهنا ، بواسطة التسيار الكهربائي . ولم يجلسوا اجزائه المصنابة من قبل بجروح ، من ذلك العذاب ! وأخذوا يدرجون فوق بطنه ، بعد أن وضعوه على السرى . وتعرض ، فيطبعده لملكية ادخال الزجاجة (علق الزجاجة في الفسرج) . وبذل لوفريدو ، محافظ الشرطة ، كل ما في وسعه ليضفد ، بكل ثقله على كتفي مسكوري . ولما جاء الليل ، طرح الرجل في زنزانتها بها بوميل صغير بزر بولا ونفايات . . .

(4) كرة الملاكمة (Punching-ball) كرة تعلق عموديا للمترب على الملاكمة (المترجم) .

وفي صباح اليوم التالي ، تكررت ضربوب المذابات التي كابدتها البارحة . ثم قلع أحد الجلادين أظافر معسكري ، بواسطة كلابة . فأخذ الدم يفضح من يديه ورجليه . وصارت الصرخات التي يطلقها لا تتوقف .

وكانت الآلام مبرحة ، يعجز المرء عن وصفها . وإضافة إلى كل ما سبق ، غرزت إبرة في لحمه الحي . فشوهت الضربات وجهه ، وصيرت الشحلات الكهربائية جسمه ضاربا إلى البهيجي . وأصيب عصبه البصري بالقسط . وهكذا ، أصبح معسكري مهددا بالعمى . وكان ضعفه شديدا ، لاسيما وأن جلاديه لم يقدموا له أي طعام خلال ثلاثة أيام . أما الشرطة ، فكانت تعتقد أن تجويعه كفييل بأن يبطل مقاومته ، ويسضمن الجراحية الجسم الكاملة .

واستولفت المقابلة على افراد . وعرض لوفريدو ، على معسكري ، قائمة بأسماء أربعة أشخاص . وكان على المتكلم به أن يتهم الجميع " بالمساهمة فسي المؤامرة " . فكأس اللبهن الموجود فمهنا ، من شأنها أن يهوتر فينه ، وراح لوفريدو ، يستفسر معسكري عن عائلته : فسأله عن أبنائها ، وعن مركزها الاجتماعي ، وحالتها الصحية . . . وهكذا استخدمت جميع أساليب المكر والخداع . وانتهت " فترة الأسترحة " . فكشرت الشرطة من جديد عن أنيابها . وكان على معسكري أن يوقع تقريرا مزورا ، دون أن يطلع عليه . وكان رجال لوفريدو يمددونه بمسدساتهم ورشيشاتهم ، اعتقادا منهم ان هذه الأسلحة ستجعل منه إنسانا " عاقلا " . ورفض معسكري توقيع التقرير . فضربه شرطي بمسدسه ، على رأسه ، فشق فروته ، وبادر الجميع إلى تضييد الجروح ، ومددوا الرجل على الأرض ليوسعوه . فيما بمد ، ضربا بالسوط . وجاء جلاد آخر ، فتناول قدمي معسكري ، وبكل ما أوتي من قوة ، ادخلهما فسي طست ينفور ماوه .

وفي الخد ، جاء المحافظ توروبون (Touron) ، وهو من شرطة الاستعلامات الخاصة ، ولوفريدو ، وهو من مديرية الأمن الإقليمية ، وأعادوا لمعسكري عملية " المقايضة " التي اقترحت عليه البارحة ، والمتمثلة في توقيع التقرير مقابل طاس لبن .

ياله من منظر كئيب! لقد ذكرهما مصسكري بشرطي القبول: فاما أن يقرأ هو بنفسه الوثيقة. واما أن تقرأ له. فوافق قائد الجلادين على ذلك. واطلع الرجل على "الأمر الفظيح"، ورفض التوقيع. فمولا يعرف أي واحد من الأشخاص الذين ذكرهم لوفريدو، في تقريره. فأصبح الطالب الضابط يعذب في حضرة المحافظين، واقترح لوفريدو أن يعذب مصسكري، تعذيباً مديراً "تديراً محكماً".

وذهب الشرطي للقيام بهذا العمل، وهو جذلان، ودلح لسان مصسكري، بواسطة كلابة. فشعر قائد مديرية الأمن الاقليمية بأنه أرض رغبته، وقال لرجاله: "عدوه الى الزناينة. وسنهتم بأمره، ~~مديراً~~".

وفي مساء ذلك اليوم، لما حان منتصف الليل، أرغم مصسكري على الركوب في سيارة من نوع "تراكسيون" ونقل الى أروغيبور، واقعية في برج الكسيفان. وفي ذلك المكان، حفر الرجل قبره بينما كان رجال الشرطة الأربعة يتمززون الويسكي. وما أن انتهى من الحفر، حتى وضع نفسه في الرمش، فأخرجته الجماعة، وربطته بشجرة. وأخذ رجال الشرطة يلعبون ويمرحون إذ جعلوا عليه هدفاً لرمصهم.

وكان الرصاص يثر حوله. واعتمد على ضروب الرعب الأخرى التسي تهاد السبيل للموت. وصاح أحد من رجال الشرطة على رفاقه: "اعتسنوا! لا تقتلوه. فانه سيسلم الوجود بسرعة فائقة، لو فعلتم ذلك! فمن الأفضل أن نفرقه في البحر". وقام نفس الشرطي وبعض الرجال بتسيذ العملية، وهم يرتدون سراويل قصيرة، فطس... اختساق... طسفو... ضحك... وعلى الساعة الثانية والنصف ليلاً، أمضى مصسكري التقرير، وهو منهوك القوى، لا يحي ما يفعل. وأعيد الى مكاتب مديرية الأمن الاقليمية. وهناك، كابتد ضروباً أخرى من العذابات، لمدة واحد وعشرين يوماً، كان الغرض منها اجباره على الحفاظ على توقيعه، ريثما تفتتح الجلسة القضائية. وفي السابع من شهر يونيو، جاء رجال مديرية الأمن الاقليمية، بمصسكري الى المحكمة

محاكمة المناهضين الست والخمسين (56)، الأعضاء
في
المنظمة السريية .

محاكمة المناضلين الست والخمسين (56) ،
الأعضاء في المنظمة السريسة
(البلدية - نوفمبر 1951) .

كان هم المنظمة السرية أن تتحول الى حركة جماهيرية ، غايتها الشروع في اقضاء الاُحزاب الاصلاحية ، وقد تمكنت اللجنة الثورية للوحدة والعمل التي تحولت فيما بعد، الى جبهة التحرير الوطني، من تحقيق ذلك ، بعد مرور بضع سنوات على تأسيسها . وكان الاستعمار يعتقد انه يكفي أن تزداد الأعمال القمعية والاجراءات الردعية، حدة ، لتقهر المناضلين الثوريين ، وتعز عليهم . وتيسرت له الأمور : فقام بمذابح شعبية في القطاع القسطنطيني ، وجمعات تأديبية في منطقة القبائل وبتعذيبات هوليسنية في الجزائر العاصمة ، كما قام بتمشيط منطقة الأُراس

وتصدر العظام الذي أقدم على امانة الضمير الولي ، فخارت قواه ، أمام الوسائل السياسية والمعنوية المتوفرة للشعب الذي لم يكن ملهما على الاطلاق . وقامت الشرطة والصحافة الاستعماريان - وقد أمبختا في حالة تمرد - بعمل عدتسه المنظمة السرية خدمة لها ، لا تُهما في الواقع ، أكملت عملها باذ أحاطتنا السرياني العام الوطني والدولي ، علما بوجود المنظمة الثورية ، واذن أفقدت الدعوى التي رفضت بالبلدية على المنظمة ، الى تكريس المنظمة المصرية ، تكريسا رسميا ، بالرغم من جميع التدابير المتخذة . وأدى ذلك أيضا الى تكريس التكوين الشبه العسكري الذي أحيط بأتم سير عرفه تاريخ الجزائر المجاهدة .

وكان يبدو أن كل شيء قد أعد في يوم الاثنين الثاني والعشرين [22] من نوفمبر 1951 لمجابهة الحدث السياسي . وفي صبيحة ذلك اليوم ، تجمعت الحياة في البلدية عروس متيجة ، بطريقة تسكاد أن تكون غير ألوفسة : لقد غزا الأماكن المجاورة لقصر العدل ، جمهور لم يلاحظه المرء في سائر الأيام . واتخذت الشرطة اجراءات استثنائية ، لتتمكن من المحافظة على النظام القائم . ولذلك ، كانت السيارات المزودة بجهاز ارسال اللاسلكي ، والمركبات التي تحمل على متنها الدركيين ، تتعاقب . وعند ابلاج الصبح ، وصلت سيارات المتهمين الى قصر العدل . وخرج المعتقلون ، مصفدين معا . وكان لذلك المنظر أكثر

من معلى . فكانوا جميعها قد رفعوا رأس وطنهم . واخترت مشاعر الحاضرين ، فمفقوا لهم . وانسرت الزغار يمد في النفوس ، فاغتاضت الشرطة لذلك ، وراحت تدفع الجمهور ، وتطلق الشتائم . وراحت شائعات ثابتة ، فادها ان القاعة الصغيرة التي تعقد فيها الجلسات داخل المحكمة ، لم تكن لتتسع لجميع الحاضرين .

وكان الوطنيون الست والخمسون (56) متراصين جنباً الى جنب في جبهة واحدة .

وكانت هناك فرنسية قد جلست أمام الحائض ، انها تدعى ماريان (Marianne) . فكانت تلوف على مكان القضاة ، وكانت وهي عديمة الاكتراث لما يجري ، تسدرو وكأنها تحاول أن تجلس على العرش . . . وعلى يمينها احتفظ الميزان (رمز العدالة) بنفس الذراع المائل ، منذ احتلال الجزائر . ولما أشارت عقارب الساعة الى التاسعة صباحاً ، كان كل قاض قد جلس في مكانه . وكان يرأس الجلسة ، قاضي ، يخضع كل الخضوع لمامبر (Humbert) المدعي العام . ومامبر هذا ، شديد الإعجاب بنفسه ، فكان يطيب له أن يظهر كثيراً من الغطرسة حين يتكلم . وكان يكسر كلامه عن الحكم الذي أصدره بشأن مصالي الحاج سنة 1937 ، وكان كان يجاب ممثل العدالة الاستعمارية ، لغيره من المحامين القاضيين من فرنسية ، قد حكم عليه ، انذاك ، بما مين سجن . فتوجه هؤلاء الاساقفة ، وهم سبعة ، الى (Stibbe) وغيبيتيه (Vienn) وديشال (Dechezelle) وبرون (Braun) ودوزون (Douzon) والجزائري الموراني (1) ، الى القاعة ، وجلسوا أمام المتهمين ، دون أن يفقدوا شيئاً من ابائهم .

محكمة . . . ! . انها سمرة الاستعداد . ! .

وما قد ظهر في القاعة بعض الشخصيات كالشيخ توفيق المدني (العضو في جمعية العلماء) ومدوبي حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في المجلس الجزائري (أحمد بوداء والصربي دماغ المتروس) . فظل هذان المدوبان جالسين ، غير بعيد عن رشيد قالي باي الشيوعي . وكان أمام الجميع شهود الحق الذين ذكر الدفاع اسماءهم والذين كانوا يلفتون اليهم الانتباه بمظمرهم النبيل . ومولاه

(1) استشهد في ساحة الوغى .

الشهود هم : كلود بورديه (Claude Bourdot)، مدير صحيفة الاوبسرفاتور (L'Observateur) وقد كان بورييه فيما مضى عضواً في اللجنة الوطنية للمقاومة (الفرنسية) ، وأندري مندوز (André Mandouze)، الأستاذ بجامعة الجزائر والمساعد في تحرير صحيفة تيمونينج كريتيان (Témoignage Chrétien) ودوفريش (Dufrich)، السكرتير الكفدرالي لاتحاد العمل العام (C.G.T.) في فرنسا .

وتبين ان المكان المحجوز للصحافة الوطنية والدولية ضيق جداً ، وهو الأمر الذي أجبر عدداً كبيراً من المراسلين الخاصين الى اكتساح مكان الجمهور السندي احتفظ بوقاره ورماتته ، وقد وضع كل واحد، على ركبتيه ، دفتر المذكرات . وكان بإمكان المرء أن يلقي نظرة على المائدة العريضة المعدة للوثائق المؤيدة للتهمة ، ليلاحظ أن كل ما حجزته الشرطة قد وضع شذر مذر . وكانت الشرطة قد قامت بحجز تلك الأشياء حين ألقت القبض على المناضلين والرجال المشتبه فيهم . وتمثل هذه الأشياء في : سدسين ، عيار 6 و 35 وثلاث (3) بنادق صينيد ، وسيف واحد ، ومتفجرات شديت⁽²⁾ (Cheddite) وكتيبات تتعلق بتاريخ الثورة الفرنسية للافوزيل (La Vauzello) . وبدأ يستحوذ على القاعة ، مرج صاخب لجه القضاة الى ان عرض هذا المشتم مشير للسخوية ، ولذلك ، رفضت عن المائدة بعد الظهر ، جميع الأشياء المتينة وغير المؤلفه . وكان مامبير المدعي العام قد طلب في شيء من الحزم ، منذ أن فتح باب المرافعات ، عقيد جلسة سرية . وراح آنذاك يزعم أن احتجيات الأثمن تستوجب ذلك . ولم تجد تدخلات الدفاع نفعا إذ أخذ اقتراح المدعي العام بعين الاعتبار ، بعد أن تشاور القضاة وأصدروا حكماً بعقد جلسة سرية . فأحدث ذلك الخبر ضجة كبرى ، ورات الجماهير والصحافة أنهما حرمتا من حقهما في معرفة الحقيقة . ورفض الجميع مفادزة القاعة . وأثار ذلك مشادات كلامية . وندد بوديسة (وزير العمل في حكومة ابن بلة) المناضل المفتاض بالقرار الاعتباطي . فألقي عليه القبض ، على الفور ، وزج به في السجن قبل أن يحاكم ، بل قبل أن تحكم عليه المحكمة بستة أشهر سجناً فعلياً . ولم يتردد كلود بوردي (Claude Bourdot) ، أمام

(2) هفجرات تعرف باسم محلة في فرنسا (المترجم) .

هذا التحويل الأول للقضية ، في تنبيه الرأي العام ، الى كل ما يحدث مستن
أمر ، وفعل ذلك بواسطة صحيفته الأسبوعية (الأسبوعيات) التي كتب فيها
ما يلي : " انه ينبغي لنا أن نقول ان هذا الإفراط في استعمال الجلسات السرية ،
قد أخذ يكسي هذه القضية طابعا مقلقا . . . " . وقبل ذلك بأربعة أشهر ،
أي في 7 يوليو 1951 ، كان مراسل (لاغازيت) (La Gazette) الصادرة بلسوزان
(Lausanne) ، قد كتب حول قضية عنابة . نقالا جاء فيه ما يلي : " . . . ان
الباس عموما ، يرون ان الحكم كان قاسيا ، وهم اضافة الى ذلك يتشكون خاصة من
السلطة التي لم توقف الجمهور والصحافة على أحداث هذه القضية . . . " .

ومن الواضح ان عقد الجلسة السرية قد قدم للقضاة مساعدة بالغة الأهمية ،
اذ منحهم الضمانات اللازمة لممارسة سلطتهم الاستبدادية واجراءاتهم
التحكيمية . وكان من جملة هذه الضمانات :

- تسمية بطلان الملف .
- اقصاء العائقين اللذين كانا يضايقان السلطة على الدوام ، ونحلي بهما
الرأي العام والصحافة .
- تكييف الدفاع للقضية الأمر الواقع المتكرر ، تكييفا تدرجيا ، شريطة
أن تستغل هذه القضية بصياغة التحفظات المألوفة . . .
- اتخاذ التدابير الزاجرة ، ومحاكمة المتهمين بالقساوة التي تسمح
بها الجلسة السرية .

ومن المعلوم ان انعقاد الجلسة السرية يعني خطورة القضية ، ووضعها
طي الكتمان . فمزاولة هذه المخالفات القانونية كان في عناية ، بشكل دفع محكمة
الاستئناف بالعااصمة ، الى تخفيض العقوبات التي اقترتها المحكمة الابتدائية .
وكان العمل البطولي الباهر الوحيد الذي قام به الدفاع في البلدة متمثلا في
رفع الجلسة السرية لمدة يوم كامل . وكان ذلك الوقت كافييا للاستماع الى " شهود
الحق " الذين جيء بهم من فرنسا . وبطبيعة الحال ، فان الفرنسي فرنسي ،
والجزائري جزائري . ولذلك أخذ مطلب الفرنسيين بعين الاعتبار . وقبيل

الشهود والمتهمون الست والخمسون (56) التحدي ، فراحوا جميعا ، ليستمعوا
كلمتهم ، يطالبون عند استئناف الجلسة بنفس الحق المتمثل في الادلاء
بشهاداتهم ، أمام الجمهور ، موضحين ما يلي : " . . . بما ان الملف مثقل
بالتهامات ، فلتترك المرافعات تجري علانية ، لتجرمن على ذلك . . . " .

فاعترض هامبير ، المدعي العام ، على ذلك فوراً ، وأخذ يهدد الجميع قائلاً :
" ان بين يدينا ملف ، وان في حوزتنا جميع البراهين ، ولكنكم لم تطالعوا على
هذه البيانات . فالحكم الذي سيصدره القضاة ، كسهل وحده بأن يقتضكم " .

ثم حدثت تطورات غير مجدية : فلما نطق الدفاع بعبارة " وطنيين جزائريين " ^{لشهر}
ليشير الى موكله ، فظاهر المدعي العام بالألا بمالة ثم التفت الى جماعة المتهمين ،
وقد خذلته فكرته ، فأصبح متسقماً من الغضب والحقد ، وصرخ في وجوههم :
" زيمة السفلة ! سأنتقم منكم جميعاً ! " وادخل محضر المحكمة الشاهد الأول
كاترينو (Catherineau) ، قاضي التحقيق بتيزي وزو . وخاصم الشبان هذا القاضي
المحسق لأنه سلم الشرطة عدداً من المناضلين ، فوصفوه " بالقاضي الشرطي " .
ودعاه المتهمون ، وهم في مقصورتهم " بالقاضي الجلاد " ، فأزداد الخوض
حدة . وأتم الدفاع عملية التهم بالرجل الصوري الذي يمثل السلطة الاستعمارية .
وقعت الواقعة التي نزم فيها هامبير المدعي العام بالضربة القاضية . فأخذ
كالمجنون النائم يجد في الأشادة بمهارة ومزايا قاضي المحكمة . وشعر بأن أصوات
المتهمين ترمزه حين أخذوا يصرخون في وجهه : " انه اسان مثلنا " .
فأرض المدعي العام من الغضب ، وقد أصبح عاجزاً عن ارغام المتهمين على السكوت ،
لأنهم أصبحوا ، وهم في مقصورتهم ، في حالة هيجان . . . وتلاشت الأصوات في
فيض الاحتجاجات والايامات الساخطة . ووقع رئيس المحكمة الجلسة ، سأمًا
من المقاومة . وبشارة من الاستاذ ستيب الذي توه بأهمية اللقطة المسجلة ،
عاد المدعي والاطمئنان الى مقصورة المتهمين . وعند استئناف الجلسة ، اضطلع
وكيل النيابة العامة . ولما لاحظ المناضلون انسحاب المدعي العام والقاضي
كاترينو ^{الذين} قد مت نفس كل منهما قرباناً على مذهب الحقيقة ، غمرتهم فرحة

الاتصاف المعنوي . وقضى ما يبرر المدعي العام بحبه في احدى المصحات بعد مرور بضعة ايام على الهت في القضية . وحدث ذلك عقب نوبة قلبية أصابته .

وحل الأماي ، خارج المحكمة ، محل المتهمين . فكانوا ، وهم يتتبعون مجرى الحوادث واصداة الجلسة ، يرددون شعارات وطنية ، متحدين بذلك قوات الأمن .

وكانت الشرطة في منتهى السعادة بتلك الفرصة الساحة . فقامت باعتقال العشرات من الجزائر يمين . وهما هي قافلة عربات جديدة تنقل الى السجن أولئك الرجال المعتقلين المعتزين بانضمامهم الى اخوانهم الذين سبقوهم . ولينال ، التقى هؤلاء الوطنيين باخوانهم المساجين ، فاتحدت أصواتهم ، وأخذوا جميعاً يتلون النشيد الوطني (3) . وحدث كل ذلك بالرغم من وجود الحراس الذين استسلموا للأمر الواقع ، بعد ان الفجروا غضبها .

وبدت مصلحة السجون مرصعة . فقد تخطأ ما توافد المعتقلون الطائفة ، ولم تصد فرش القماش كافية ، وأصبح للمعتقلين الجدد مدف واحد يكمن في تعزيز الأغراض التي تريد المنظمة السرية بلوغها ، خدمة للثورة والوطن . لذلك اعتبروا الدعوى التي تقام على الاستعمار ، متواصلة في كل مكان : في الشارع . وفي قاعة الجلسات بل في السجن نفسه . فقد لبسوا ثوب الحرية التي سكن بورها قلوبهم .

وتضمن الحكم الصادر بتاريخ 11 مارس 1952 أي بعد مرور أربعة أشهر من ذلك العهد ، عقوبات تتراوح بين ثلاث وسبع سنوات سجناً ، مع دفع غرامة قدرها ثلاثون (30) مليون فريك . واحتفظ المناضلون الست والخمسون (56) بمددتهم وقارهم ، لما تلقوا بباقرار المحكمة . فأخذوا ، وهم لا يزالون واقفين متحليين في موقفهم ، يشدون النشيد الوطني . وعلى كل حال ، فإن المناضلين

(3) هو نشيد الانطلاقة الوطنية الأولى لحزب نجم شمال افريقيا ، وارتأينا اضافته الى الملاحق (المترجم) .

الست والخمسين كانوا على علم بهذا الحكم وهم في السجن أي قبل أن يصدره القضاة رسمياً ، وقد ظنوا بذلك بفضل ريبول (Rippol) المتعاطف معهم . وريبول هذا ، فرنسي ، يشغل منصب حارس سجن البليدة . واستوفت القضية بتاريخ 26 أبريل 1952 أمام الغرفة الخامسة التابعة لمحكمة الاستئناف بالمامسة ، وهي الغرفة المكلفة بالقضايا السياسية . واصطدم المعتقلون والمحامون بنفس المحطات التي وقفت في وجوههم بالبليدة : فكان نفور القضاة من الحرب بيننا وضحنا ، وبالإضافة إلى المخالفات القانونية والشرقية العنصرية الواضحة ، كانت الجلسات السرية تعقد طقائياً . وبعد أن أجتلت الدعوى لعدة خمسة عشر يوماً ، أيدت المحكمة في العاشر من شهر ماي ، الحكم الاستثنائي . فأدى ذلك إلى مظاهرات صاخبة حول قصر العدل . وكانت الاستفزازات التي قامت بها الرجعية قد وقرت للشولسة العنصرية ، الذريعة التي مكنتها من استعمال العنف . فجرح أكثر من مئة جزائري . وتمكن أبناء القضية من أن يدخلوا القوات الجزائرية . فرشقوا رجال الشرطة بالحجارة ، وقد فوجئهم بمشاعل ملتهبة ، وقلبوا السيارة الوحيدة المزودة بجهاز الإرسال اللاسلكي ، وكانت هذه السيارة متوقفة في ذلك المكان . وخشية أن يأخذ جمهور المناضلين الجزائريين سجن بوبروس عنوة ، فقد أرسلت من فرنسا ، على جناح السرعة ، كتيبة من كتائب السرية الجمهورية للأمن ، لتحصن ليسل — نهار ، ولعدة طوياسة ، مرشحات القضية . ومن الواضح أن العار الناجم عن محاكمة المناضلين الست والخمسين ، كان سببه هؤلاء القضاة الذين تعاقدوا على أن يكونوا جلادين من الدرجة الثانية ، بعد رجال الشرطة . ولم يكن عناد قضاة محكمة البليدة ، وهي المحكمة التي رفضت كلما صدر عن المعتقلين والدفاع ، نتيجة بسيطة من النتائج التي تؤدي إليها عنصرية سخيفة ، ولكنه كان عناداً مرده إلى مرض نفساني . وكانت الفضيحة المعنوية الأخرى ، تكمن في هذا العدل الاستثنائي الذي ما انفك يتصرف في حل الأعمال الدنيئة التي يرتكبها المستعمرون أنفسهم .

الفرار من السجن

كانت ومران ، عاصمة الغرب (الجزائري) مستشيطة غضبا ، فقد عادت قضية الاغارة على مكتب البريد المركزي ، لتحتل صدارة الأحداث . وعرضت القضية على المحاكم الاستئنافية . فمكّن ذلك الصحافة المحلية الراغبة في احتدام الرأي العام ، احتداماً أفضل ، من ذي قبل ، من أن تعيد البسطو المسلح على بساط البحث ، كما لو وقع ذلك ، منذ عهد قريب .

فبعد المؤامرة التي دبرها " ال 56 " من أعضاء المنظمة السرية " والتي اعترفت بها محكمة البلدية ، وأُنزلت بأصحابها عقوبات ، على اعتبار أنها قضية سياسية ، لم يبق لمحاكمة وموران إلا أن تحاكم ، في هذه القضية التي هي من اختصاص القانون العام ، متهما واحداً ، هو أحمد بن بلة . ومن الملاحظ أن التهم الموجهة إلى أحمد ، هي وحدها التي أخذت بمعين الاعتسار في هذه الدعوى . وحدث ذلك عقب الاتهامات التي أدلى بها " رفيقه " (1) عبدالقادر بلحاج المعروف باسم " كيهوس " . وأخذ أحمد بن بلة ، على عاتقه ، جميع أسباب الاتهام . وكانت غايته في ذلك ألا " يورط " المتساقدين المناضلين الذين كانوا في ذلك الحين يمينشون في غيابات السجن . أما السادة: يوسف وزاينج لورثوي وآيست أحمد وسويدهاني وبوشعيب وعمار حداد ، فكانت الشرطة تبحث عنهم ، لا أنهم تمكنوا من أن يلوذوا بالفرار . ولما قبض العدو ، فيما بعد ، على ابن زرقنة ، أنزل به عقوبة شديدة ، (ولم يطلق سراحه إلا عند استقلال الجزائر) ، ولكن خطورة الوضع كانت ، آنذاك ، تكمن في شيء آخر : فالأبناء الأخيرة التي تسربت إلى السجن ، أو هربت عزم المعتقلين الذين صاروا وكأنهم جلمود صخر حطه السيل من عل . فشقق عليهم أن يصدقوا بما نفي محالي الحاج إلى ليون (فرنسا) ، وأقلقتهم سياسة الاعتقال الجديدة التي تهنتها حركة الانتصار للحريات الديمقراطية . وحز في قلوبهم أن يسموا الحديث عن تعاون منتخبي مسنده الحركة مع جاك شوفالبييه (Jacques Chevalier) رئيس بلدية العاصمة ،

(1) " رفيق " الأصغر : رفيق يصحب الأسير في الزنزانة ليحصل منه على اعترافات . (المترجم) .

الذي أصبح ، فيما بعد ، (أي سنة 1954) كاتب الدولة لوزارة الحربية . كما أصبح زميل ج - ج - سوزيلي (J.-J. Susini) المدافع الشهير عن سياسة منظمة الجيش السريّة . وفي غضون ذلك ، فإن الإدارة المركزيّة الوطنيّة ، رغبةً منها في إطلاق العنان لجمودها السياسي ، قد تركت المناضلين المسؤولين عسكراً المنظمّة السريّة ، يتمفنون في غياب السجون . وأفضل من ذلك ، فإن التقرير المفترى الذي وجهه إلى الطغمة الحاكمة ، أخذ المعتقلين الذين أفرج عنهم (وكان هذا المعتقل مضوا في اللجنة المركزيّة ، وعضواً من أعضاء المجلس البلدي بالعاصمة) ، آثار اللجنة المركزيّة على المنظمة شبه العسكريّة وشغل هذا الموقف الرجعي المشتهر فيه ، والمعلن عنه ، على رؤوس الأشهاد ، فكسر الثور يمين ، وأقلقهم قلقاً شديداً . فهم يرون فيه تخليتها من جانب واحد ، من المبادئ ، والديولوجية والسياسية . وساعدت على ذلك كله سياسة رفع المسؤوليّة ونقض التعهدات ، وهي سياسة تتكرر جميع ختميات الكفاح المسلح المتعددة ، ديمقراطياً ، على أعلى مستوى . وكان لجميع الوطنيين ، أمام خطورة مثل هذا الاحراف ، نفس الموقف : فقد فوض إلى مؤتمراتي واحد ، اقراراً أو رفضاً أي اتجاه جديد يطريق التصويت ، ويعني ذلك القطع العلاقات الذي لا مخلص بين التيارات الرسميّة والتيارات السريّة المتوسّسي تتبناها المنظمة . وأرادت الإدارة ، حرصاً منها على أن تظهر بمظهر لائق باستخدامها المثل القائل : " حقنة بحقنة " ، أن تعبر عن شهامة ذوبها . فأخلت سبيل عدد من الضحايا التائبين . وهكذا ، سيقس أصلاب الرأي من المناضلين ، وخدمهم ، في السجون ، بعد أن فرضت عليهم أسوأ العقوبات . وكانت صحتهم تزداد يوماً بعد يوم . والشرح لذلك ، صدر مؤلماً ، وأولئك جميعاً ، وتأسرت الإدارة المركزيّة الوطنيّة ، بدورها ، بعملية إطلاق سراح بعض المعتقلين ، فاتخذتها ذريعة لبعض أعمالها الاصلاحية . وأخذت تفكر ، بعد ، في حلّ المنظمة السريّة . وبالأجمال ، أرزح الوطنيون المفتقلون على الأيدخروا جهداً في اسطاع كلمتهم ، بوصفهم مجاهدين مجهولين ، مغمورين .

ووقع الاتصال ببوضياف وديدوش وابن مهدي الذين كانوا في حالة "فرار" بالنسبة للسلطات الاستعمارية . واتخذ قرار يرمي الى تنظيم عملية تهريب أعضاء مجلس قيادة المنظمة السريية : العام والاقليمي . ومولاه الأعضاء هم : ابن بلة ويوسفي وابن محبوب وعراب ومحساس . وكانت الغاية من هذا "التهريب" أن يلتحق هؤلاء الرجال بذويهم ليقاوموا العدو من جهة ، وليحاربوا أولئك القائمين بشصية المنظمة السريية من جهة أخرى . فكان لابد من اتخاذ ما يمكن اتقاذه من ثورة أخذت نارها ، مؤقتا ، في ذلك الحين ! ولكن الأمن والواقع الفعيشي ، كانا يفرضان الحل على مراحل ! فلن يلوذ بالفرار هذه المرة ، الا ابن بلة ومحساس .

لقد كان النور والظلام يتفاليان : فعناية والبلدة وهران ، وهي مدن سبق أن فر من سجونها بعض المعتقلين ، تمثل النور ! أما جانب الظلام فيتمثل في الادارة التي ، بعد ان اطلعت على هذه الأعمال البطولية ، قد عقدت المزم على القضاء على كل مشروع يقضي بالسماح للمساجين " بالخروج" من الحبس ، لفترة معينة . وحول بوتيليس ورفاقه من القطاع الوهراني التي الشلف⁽²⁾ (أورليانفيل سابقا) ، بينما ألحق معزوزي واخوانه الذين رج بهم في سجون القبائل ، بيهير بروس . وحول عسان رمضان الى سجن من السجون الواقعة بفرنسا .

وبعد أن لاذ بالفرار كل من أحمد بن بلة ومحساس ، نقل يوسف وابن محبوب الى سجن أكس - أن - بروفانس (Aix-on-Provence) ثم الى سجن ليوميسيت

(2) أورليانفيل : أسسها سنة 1843 المارشال بيجوفي مكان مدينة رومانية . تدعى (كاستيلوم) ويرى توفيق المدني ان العرب كانوا يسمون أنصار تلك المدينة "الأصنام" لكثرة التماثيل بها . ولما صدم زلزال العاشور 10 أكتوبر 1930 هذه المدينة ، فضيل الجزائريون ، وعلى رأسهم المسوولون تفسير اسم "الأصنام" ، "بالشلف" . فسميت المدينة - اذن - باسم السوادي الذي يسميها ، ويجعل من المنطقة أرضا زراعية بالدرجة الأولى . (المترجم) .

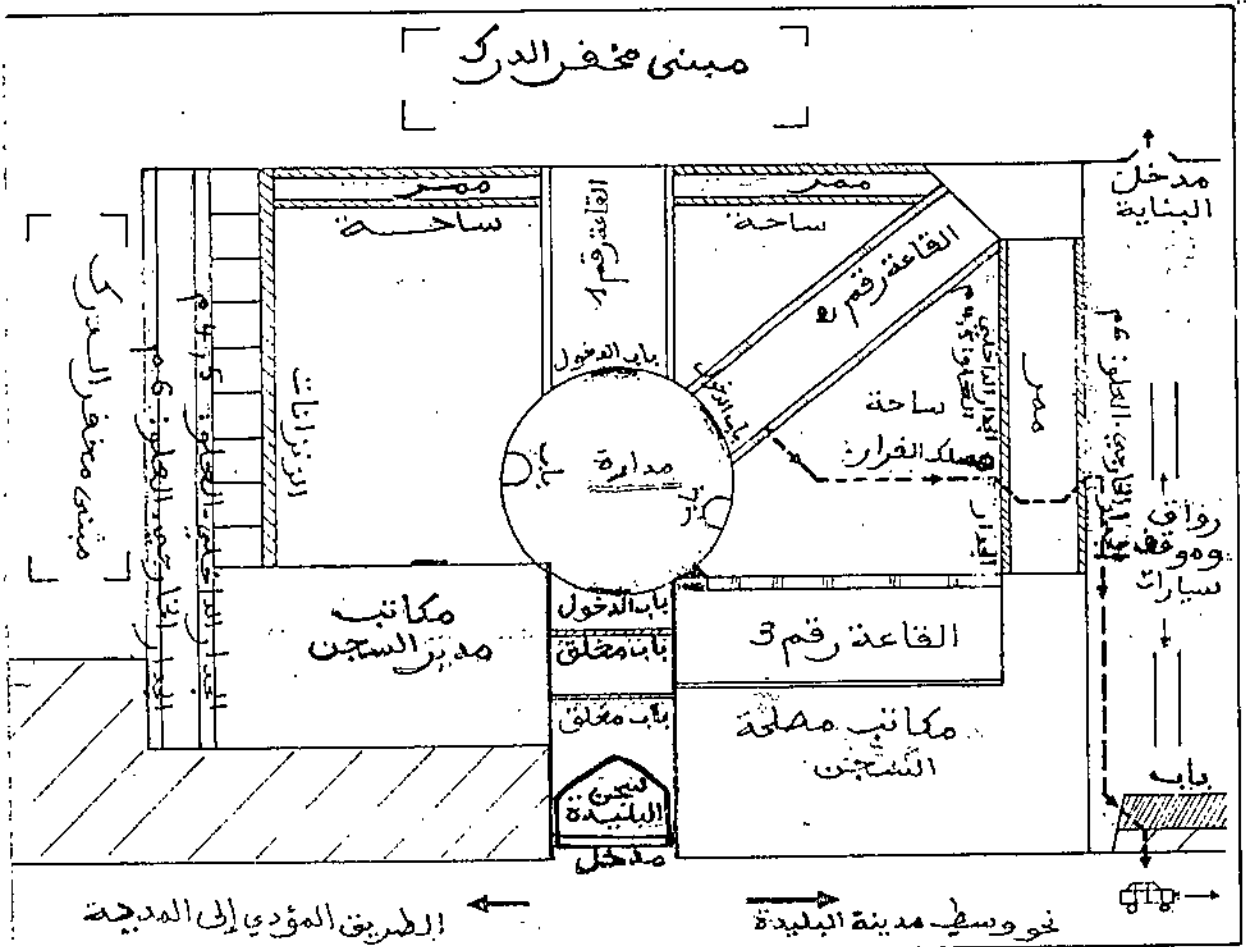
(Marseille)

بحرسيليا (Les Beaumettes de) . وتكن المناضلان سويداني وبوشعيب ، ومما
 على سران من عناصر المنظمة السرية ، كانت تبحث عنهما شرطة الاستعلامات
 العامة ، من أن يلوذا بالفرار، في الوقت الذي جاء فيه رجال من رجال الشرطة ،
 لإلقاء القبض عليهما . وتمكنا من الفرار بعد أن قتلنا كولي (Gullet) مفتش
 الشرطة . ولما قدم الملف الى اكنس - آن - بورناس ، اخذت المحكمة ، لا تصدأ
 الحجج ، سبيل يوسفى وابن محجوب المتهمين " بتواطئهما مع الاشرار " ،
 غير انهما سيظلان متهمين بتهمة أخرى تتمثل في " المساس بأمن الدولة " .
 وفي التقرير (3) الذي وجهه محافظ شرطة المقاطعة ، وقائد شرطة الاستعلامات
 العامة ، الى المحكمة ، اتهم كوست (Costes) : يوسفى ، قائد شبكة التواطؤ ،
 ومساعداه ابن محجوب ، والمسؤول عن الاستعلامات ، بالقيام بالعملية .
 ونظم بالبليدة مشروع الفرار من السجن . وكانت الزمرة المتألفة من
 معتقلين مكلفين بجمع المعلومات ، تفكر ، بدون توقف ، في المخطط ،
 فلم تستقل من نقطة الى أخرى ، الا بعد دراسة المسألة الأولى ، دراسة تامة ،
 من حيث جميع الجوانب . وكانت الزيارات المبررة الى غرفة التمريض الواقعة
 بالطابق الأول ، تسمح بدراسة الجدران ، من جانبها الداخلي . وعاد مولود بن
 عمار المسجل اسمه في قائمة الاستشارات الطبية بمستشفى المدينة
 بتصميم الحائط من جانبه الخارجي . وكان قد حدد موقع الحواجز ، ونقطة
 السقوط في الشارع ، وساحة ورواق مخفر الدرك الخارجي . وكان للسجن ولمخفر
 الدرك جدار مشترك . وأوضح مولود ، في رسمه ، موقف السيارات الرسمية ،
 وعلو السور رقم 2 (6 أمتار) الذي يطوق السجن ، الخ

وتشارور الرفاق . وذلك جميع الصواب ، بفضل مصلحة السجنون
 التي الهمت فكرة جديدة تمثلت في اسكان الخائن عبدالقادر بلحاج ، في مكان
 آخر . وضبطت الزناتمة ، بجميع تفاصيلها ، في الميعاد المحدد : المدة 45 يوما .

(3) كتب في هذا التقرير ما يلي : " . . . لقد لقي كولي (Gullet) ، المفتش
 الأول ، حتفه . . . خلال مجرم قام به رجال شرطة الاستعلامات العامة
 على مخيل من هذه المخابى " .

مدة الحراسة 12 ساعة (من الساعة مساءً الى الساعة صباحاً) ، وقسمت الاستمارة من النوم) . وحددت الجماعة الوقت المخصص للحراس . فكان على مترصدين مجدوا للمناسبة ، أن يراقبوا كل شيء ، بما في ذلك أوقات تهديد الحرس . وكان لابد من معرفة أسماء ومواقف الحراس . وبعد دراسة وتحليل سلوك كل واحد من هؤلاء الخفراء ، سجلت الملاحظات التالية : طيب - شري - خطر - مندفع - الخ . . . ورأت الجماعة أن تستثني من هذه المراقبة الدقيقة ريبول (Rippol) وزميله الذي كان يرى - دوماً - مصحوباً بكلية الذي يتشمم ، بسرعة فائقة ، كل من هو مشتبه فيه أو غريب . فكان ريبول هذا ، متعاطفاً مع رجالنا المشاويير . وللصم بطريقة فضلى ، فقد اختير الحارس الذي كان يمتاز بان دفاع أكثر من غيره . وكان ذلك الحارس جزائرياً (مسلماً) . وتجمع المناضلون في القاعة ، ليطلحوا على كل شيء . فكان يذوذ عن حياض كل نافذة صغيرة بقضبانها الثلاثة ، وشببك سلكي مكين ، ينفذ من خلاله نور فحمت كل نافذة ، بدقة تامة . ولاحفظ



الجميع أنه بإمكان أي رجل ذي بنية عادية أن يتسرب إلى الخارج وأن يستنشق هواءً طلقاً ، بعد أن ينشر قضيب النافذة الأوسط . وكان لابد من اذن ، من الحصول على منشار . وكان لابد ، أيضاً ، أن يكون هذا المنشار صغيراً ومستلحاً للغاية ، ليتمكن المرء من اخفائه بكل سهولة .

وحدد ، فيما بعد ، موعد مع شقيق محساس لدى طبيب أسنان يقيم في عيادته بالمدينة . وفي قاعة الانتظار ، تقدم حامل المبرد وأخذ يقبّل السجين ويدس في جيبه " مفتاح " الحرية ، بمهارة فائقة . وكان لابد من اجتياز الحائط الذي يبلغ علوه ستة (6) أمتار من كلا الجهتين . ترى هل يسمثل هذا الحبل ، بمختلف عقده ، متميزة من المتاعب ؟

فالحبل أمر يدعو إلى القلق لأنه سلحة لادرة ، وانطبقت الجماعة رعشات القلق الأولى الناتجة عن البحث عن المفتاح السحري ، قصد الخروج مسرّعين المأزق . وشيئاً فشيئاً ، بدأ الرجال ، يتهايمون ، وفي غضون ذلك ، بوز الحبل ، وبدأ الأمر هائلاً . نعم ، بدأ الأمر بهذا الرضوخ الذي أقلق الرفقاء أكثر مما ظمأنهم . وانتبه الجميع إلى الأخطية ! ولاحظ الاخوان ان عشرة (10) أمتار من الشرائط كافية للمهمة . وانكبّت الجماعة على العمل . فطفقت تقني القطع ، وتصل بعضها ببعض . ولما أعد الحبل ، اختبر مناظران ، مقارنته . فوقفا ، وجهها لوجه ، وأخذ يجتذيانه للتأكد من متانتها . وماهي الوجوه تشع فرحاً ، والقلوب تمتلئ ، غبطة وسروراً ! فأخذ الرجال بيتسمون ويضحكون بصوتهم الرخيم ، تصبيرا عن يقينهم بأنهم سيدجحون في عمليتهم . وخي الحبل ، بعد أن تأكد الجميع من ان قياسه قد بلغ عدد الأمتار الضرورية لهم . وهكذا ، سيبدو الحارس الأكثر حذراً من غيره ، على عقبه ، مرتبكا ، خجلاً ، بعد التفتيش الأسبوعي أو التسفقد المفاجيء الذي سيقوم به . وكانت القضايا لاتزال تستحوذ على تفكير الرجال ، وهي منتصبة أمامهم . فأخذت الجماعة تقدر علومها ، والوقت اللازم لنشرها ، كما أخذت تقدر أهمية ارتداد الصوت على قاب قوسين من نقطة السقوط الراقصة خلف متر من الباب ، حيث يلبس الحارس ، صاحب ردود الفعل الحبيبة والمفاجئة .

وأخذ الحبل يتمدد ، شيئاً فشيئاً ، وكان ذلك يعني أن الرجل المستنظر في الموعد المحدد أي على الساعة الثانية وعشورين دقيقة ، لم يخلف وعده . وامتز الحبل ، ذليلاً على أن رجل الارتباط ، قد تسلّم طرف الحبل . وبالنسبة للمتواطئين في العملية ، فإن الفضل في إنجاز ما تبقى من العمل يعود إلى الإرادة القوية والبسالة الخارقة اللتين سلحت بهما مدرسة المنظمة السرية كل أعضائها . وهذا قد تمكن ، بكل بدوره ، من تسلق الجدار ، بعد قيامه بحركات عديدة متتالية . فكان يري جسم أحدهما لحظة ثم يتراعى عن الأُتظار ، حين يقع الشخص ، خارج السجن . وكان مصطفى⁽⁴⁾ وهو مناضل من مناضلي البليدة (استشهد في ساحة الوغى) ، مسوؤلاً عن تغطية العملية . فكان واقفاً في آخر الطريق ، وهو يضم رشيشتيه بين ذراعيه كما يضم المرأة رفيقاً من رفاقه الأوفياء إلى صدره . وكان ابن بله ، أول من وقعت قدماه على الأرض . وكان في منتصف التأثر والانفصال . ونزل بحده محساس ، وقد كان وجهه يطفح بشراً وسروراً . والبيجس نور الكرامة من جديد ، من خلال نظراتهما النافذة الدالة على أنهما أصبحا من الرجال الأحرار . انهما النشوة الأولى الناتجة عن تلاقى أعضاء المنظمة السرية ! وانها أولى العبارات الجديدة التي كان لابد من أن تكيف سلوكهم ، وفق الثورة ! ومدبر محرك السيارة عند أسفل الجدار . وتلاشت وشوشات المضارير الأخريرة ، في حالك الظلام . وأخذ الرجال الأربعة أماكنهم ، داخل السيارة . وكانوا جميعاً متفعلين صامتين . وانطلقت السيارة لتتزلق على مهل في اتجاه الحوية ... وما قد أصبح ابن بله ومحساس يمثلان مستقبلاً ! . وأعلنت حالة الانذار ، بعد مرور ساعة . وتدخلت مصلحة السجن بحسب شديد يتم عن الصدمة التي سببها الحادث الذي تطقت أخباره . وحاولت أن تنادي المعتقلين ، كلاً باسمه ، ولكن الرأبيين كلهم ، تظاهروا بأنهم مستغرقين في نوم عميق . واذ ذلك ، بدأ للحيان ، حراس رجال دوك وشرطة ، وكلهم ساخطون . وكان ابن حمو ، محافظ الشرطة ، يتبصهم على رأس رمط من أعوانه . وخيم على القاعة في ذلك الوقت ، خطر الارهاب والرعب .

(4) أعدم سيدي يخلف مصطفى بالمقصلة في سجن بربورس (تغمده الله برحمته الواسعة) .

وازاء انتشار هذه القوات ، أخذ يوسفى على عاتقه عملية التواطؤ مع الفارين من السجن . وكانت مصلحة السجن تشهد متوعدة ممددة ، نظرة .. ومتساهلة متسامحة ، نظرة أخرى . ومهما يكن من أمر ، فإن مساومات العدو ، لم تسفر عن شيء . فكان الصمت المطبق ! ولم يهتق لرجال شوطية ابن حمور ، إلا القيام بعمليات التعذيب المتنوعة واللجوء إلى القتل . فلزم الوطنيون ، كسبل بدوره ، نفس الصمت النهيل الذي أفاظ المستعمر . وكان النصر الكبير الذي أحرزته المنظمة السريسة !

الجهينة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها
(25 يوليو 1951) .

الجبهة الجزائرية
للدفاع عن الحرية واحترامها
(25 يوليو 1951).

قام رجال الشرطة بأعمال قمعية وقوضت المنظمة السرية . فأثر ذلك في الحركة الوطنية ومنظمتها السرية شبه العسكرية . وتصدت السلطات الاستعمارية بعد ذلك ، للنشاطات البرلمانية الشرعية التي كانت تقوم بها الأحزاب الاصلاحية (مصادرة الصحف وتزوير الانتخابات) . ولجأت الادارة الى العنف ، وأقامت دعاوى على حركة الانتصار للحريات الديمقراطية . وأخذت ، منذ ذلك الوقت ، جسدة كل حياة نضالية ثورية وديمقراطية . ووعداً منهم بضرورة الصمود لتلك الهجمات والحفاظ على استمرار حياة حركتهم ، فقد ضم أعضاء كل من جمعية العلماء والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ، والحزب الشيوعي الجزائري ، وحركة الانتصار للحريات الديمقراطية على التنديد بالاجراءات التحكيمية والاعتقالات التعسفية التي كان يذهب ضحيتها ... كل بدوره ... مثلوم المنتخبون ، وأجمرتهم الاعلا مبنسة . وبالرغم من تهاين آرائهم ، فقد كان للجميع رد فعل سريع تمثل في ذاك التضامن الذي أصبح قائماً بين القادة الوطنيين والاصلاحيين ، والذي كسب الشرح منه القيام بعمل مشترك . وأسست اللجنة الادارية ، في اجتماع عقدته بالعاصمة ، بتاريخ 25 يوليو 1951 ، الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها . وكان المكتب يتألف من الأعضاء التالية أسماؤهم : الشيخ الصربي التبسي وخير الدين (جمعية العلماء) ، الدكتور فرسيس والمهامي صاتور (الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري) ، أحمد مزغنة ومصطفى فروخي (حركة الانتصار للحريات الديمقراطية) ، بول كبليرو (Paul Caballero) وأحمد محمودي (الحزب الشيوعي الجزائري) .

وكلفت هذه الهيئة بتشكيل ثلاث لجان جهوية (الجزائر العاصمة ، وهران ، قسنطينة) . وأسندت لها مهمة تنسيق جميع المصالحات التي من شأنها أن تنسج وتتشط عمل برنامجها ، ليكون له أثره العميق في الجماهير الجزائرية ، من جهة ، وليلقى آذاناً صاغية لدى الرأي العام والرأي البرلماني الفرنسي ،

من جهة أخرى ، وكان لابد من توجيه مذكرة الى السلطات الدولية ، لاحتياطها
علما بجميع الأهداف المنشودة . وكان من مهام اللجنة الادارية كذلك ، أن
تسظم مؤتمرات صحفية ، واجتماعات عامة . وكلف المكتب ، باقامة الاتصالات بجميع
الأحزاب الديمقراطية الفرنسية والأجنبية القادرة على أن تحمل السلطة المركزية
بباريس ، على إعادة الحريات العامة الى نصيبها . فمذه المنظمة التي كان
مجال نشاطها محدودا والتي كانت عبارة عن جبهة وحدوية ، لم تتورط في
العمل ضد السلطة الاستعمارية أكثر من ذلك ، بل راحت تبتغى ، عن قسم
كل عمل يطمح بحيث ان القاسم المشترك بين قادتها كان يتعلق بحرية الشخص ،
لا بتحرير الوطن .

ومهما يكن من أمر ، فان القوانين الأساسية ، لم تتناول بالبحث توسيع فكرة
كفاح الجماهير الشعبية ، واقتصرت الجبهة ، اذن ، على مطالبات دستورية وأسمية .
وكان هذا الأسلوب الذي قاومت به الجبهة النظام الاستعماري " بأرضية الشرعية "
محكوم عليه ، ألف مرة ، بالأخفاق . وبمذه الطريفة غير المباشرة ، خلقت
الجبهة جوا من التوتر السياسي المتجاوب مع جميع العوامل الذاتية والموضوعية
المؤدية الى وضع ما قبل الثورة ، وعبارة أخرى ، فلم يكن الاستقلال من شأنها
واهتمامها . وكان هذا الاختيار السياسي واضحا جليا . اذ تمثل في ايجاد سبب
مستقبل البلد ، من أجل التفاوض في الحريات الوقتية ، وما نحن ، في غضون
ذلك ، بين نظام استعماري وتحرير مسبق غير مؤكد . وتوجهت الجبهة الى
الرأي العام الدولي لميثة الأمم المتحدة ، بدلا من أن تصرب عن أهدافها المنشودة
باستخدام التمايز الدالة على المقاومة والكفاح . وكان على أغلب مسؤولي الجبهة ،
مذ ذلك الوقت ، أن يسمحوا للبقاء أطول وقت ممكن ، على المسرح السياسي .
ولما تخطتهم الأحداث ، حاولوا التخفيف من الآثار السلبية الناجمة عن الاستعمار ،
باتخاذ بعض الاجراءات التي تنبئهم في مناسبتهم ، عوضا عن تفويض النظام القائم
، آنذاك . فلم يكن انشاء هذه الجبهة ، اذن ، عبارة عن اختلاف
العراقي . ووجدت حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ، الفرصة سانحة لتحقيق
انفصالها النهائي عن المنظمة السورية ، بعد ان كانت قد ابتعدت عنها

بستلة 1949 . وهكذا ، تمكنت الحركة الوطنية ، بهذا الانفصال السياسي التام والواعي والمسؤول ، من أن تقطع علاقاتها بالثورة المسلحة ، قطعاً واضحاً .

فلم تأخذ بعين الاعتبار دروس الماضي ، ولم تحسب حساباً لمطلوبات المستقبل . ووجد الوطنيون والأحرار حين أنفسهم في اتحاد ، هدفه الأساسي الدفاع عن الحرية واحترامها . فكانوا ، وهم يجهلون جوهر القضية ، يتعاونون ، قصداً ، في تأسيس جبهة ثورية موحدة ، تتركز على منظمة مسلحة يكون هدفها ، على المدى البعيد ، استقلال الجزائر . فكانت هذه الجبهة الوطنية الديمقراطية ، وهي وليدة ظروف معينة ، تضم وطنيين شعبيين (حركة الانتصار للحرييات الديمقراطية) ووطنيين ممثلين (الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري) وعمالا (الحزب الشيوعي الجزائري) وعلماء الكلام (جمعية العلماء) ، وأظهرت التجربة ان الهركات البشرية والأديولوجية التي تقوم عليها الجبهة ، لم تكن لتتكامل ، لأن جمعية العلماء ، كانت ، على غرار ما كان يجري في المشرق العربي ، حريصة على نشر الدين الاسلامي ، في حين ان الحزب الشيوعي الجزائري ، كان ينادي بالديمقراطية الشعبية . أما الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ، فكان ، آنذاك ، قد عرف بأسيسته اليقوتوية والترابطية . وامتازت حركة الانتصار للحرييات الديمقراطية بقوميتها التجديدية .

وكان على حركة الانتصار للحرييات الديمقراطية ، في نظر بعض الوطنيين المنادين بالعمل المباشر ، أن تقوم بدور الموجه والنائد ، ولكن جماعة المستوطنين جعلت من الحزب الشيوعي الجزائري ، روح الجبهة ، بعد ان استحوذت عليها فكرة واحدة تتمثل في ان الحركة تقاوم الشيوعية ، مقاومتها الهدائية . وعمل جميع الذين انضموا الى الجبهة ، على تلاشي مسؤلياتهم . وما كان يمكن لأحدهم ، بسبب هذه الفوضى السياسية ، أن يشر بالخطأ تجاه الشعب . فكان مبدأهم السياسي المشترك يتمثل في تنادي البعثات جبهة ثورية مسلحة . ثم ، هل كان يمكن أن تكون الأمور خلافاً لذلك ؟ فمذ تقويمى

المنظمة السرية (1950) ، لم تسجل مؤتمرات الأحزاب الثلاثة ، الاستقلال ، ولو مرة واحدة ، في قراراتها الخاصة بالسياسة العامة . فحركة الانتصار للحريات الديمقراطية ، وهي حركة شرعية ، أنشئت لتحل محلّ الحزب السري ، رأيت نفسها ، بعد فوات الأوان ، مكلفة بتسييق منظمة سرية شبيهة عسكرية ، تفوقت على ما بأعمالها البطولية ، وكانت توشك أن تطويها . ومنذ ذلك الوقت ، فسما انضواها الى الجبهة (وهو انضواء جاء على الرحب والسعة في النهاية) ، قد خلفها من المنظمة السرية التي كانت تعد بالأمن القريب ، حاجزا غير متوقع .

(1) وكان يطيب " للعلماء " أن يستمروا في " روحاتهم وفذواتهم المتبدلة " التي كانت تجعل منهم - ثورة - وطنيين ، وتارة أخرى ، أصلا حيين ، معتمدين أحيانا على الإشعاع الذي كان من الغروض أن يمثلوه . فالاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ، بالرغم من اضطرابه بصهفة استغراب متخلف وعدم الفعالية بالنسبة الى المطامح الشعبية ، قد أصبح يعيش في الطمأنينة التامة ، لأنه لم يجمل الاستقلال ، هدفا من أهدافه ، مثله في ذلك كمثل الحركة الوطنية . أما فيما يخص الحزب الشيوعي الجزائري ، فإنه استنطاق أن يتجاهل ، مؤتتاه ، نقائصه المتمثلة في العلاقة المتينة والمفرطة ، القائمة بينه وبين الحزب الشيوعي الفرنسي ، والمتمثلة كذلك في الحاده المذهبي ، وفي كونه لم يصل حظوة كبيرة لدى الجماهير . وتمثل الخطأ السياسي الذي ارتكبه هوؤلاء المنضون تحت لواء الجبهة في طرح فكرة الثورة المسلحة ، السبيل العادل والوحيد الذي من شأنه أن يزيح العقبة الاستعمارية . فبرمج هؤلاء وأولئك ، بيانات عامة متبدلة .

وكانت هذه البيانات تعرض على المستعمرين من أمثال بورجوا (Borgeaud) وعلى المسؤولين في باريس . وكانوا جميعا يرفضونها . وهكذا ، بدأت المحاسنات جميعا بالفشل . وكان الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ، وجمعية العلماء والحزب الشيوعي الجزائري عبارة عن حركات متشعبة جميعها ، باللغو السياسي .

وبالرغم من السلمية اللاسطقية التي أصبحت تعرف بها هذه الحركات ، فإنها وجدت نفسها مقصاة عن الاندماج والتمثيل الليبرالي المشترك . وكانت حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ، فيما يختص بهما ، قد تخلت عن المنظمة السريية ، وضربت صفحا ، عن مبدأ الاستقلال الذي لا يمكن تجسيده إلا عن طريق الكفاح المسلح . وفيما عدا الكلام ، وروقة التصويت المنحصرة فسي المتعين الى الطبقة الثانية ، فانه ما كان يمكن لأية حركة أن تحل محل المنظمة السريية في ذلك الوقت . نعم ! لم تكن أية حركة على قدم الاستعداد لتثوب عنها ، في القيام بالعمل الثوري . وظلت جماعة المستوطنين على حالها ، لا تكن للمسلم - الفرنسي ... أي للجزائري المسلم الذي كانت تعتره شيئا مسن الأشياء التي وضعت يدها عليه - أي اعتبار وتقدير ، وكانت باريس ، من بعيد ، تسقاد لما تخططه السلطة بالجزائر العاصمة . وهذه الأمور وحدها ، كانت كفيلة بأن تحث على توطئيد مبدأ الكفاح المسلح ولنترك ، إذن ، جميع الذين انضوا تحت لواء الجبهة ، يصفقون أبواب المجالس التي كانوا يعدون اليها ، ليندوا بتزوير الانتخابات ، وليرشحوا أنفسهم ، فيما بعد ، للانتخابات القادمة . وهكذا ، فإن مؤيدي الجبهة " الجدد " ، يرفضهم تنظيم جبهة ثورية ، واتباع طرق خفية ، وأعداد مياكل وسند لوجستيكسي . قد أضفوا تأخيرات أخرى ، وآلا ما أخرى . فأجلوا ، بذلك ، الكفاح المسلح الى 1954 ، وهي السنة التي كشفت عن مرحلة تاريخية ، امتازت بمسهرور الشهامة الجزائرية . ومهما يكن من أمر ، فإن التاريخ سيلقاهم ثانية في الموعد المحدد ، مسارعين الى الانضواء الى جبهة التحرير . وكانوا جميعا ثائمين ناديين ، ومضطرين الى ذلك اضطرارا . وكانت جبهة التحرير الوطني ، في ذلك اليوم ، وكثيرة التساهل معهم ، فكرتهم تحت ستار الوحدة الوطنية . وذهب الأمر بها الى ان جعلت منهم مسؤولين عن تسرورة كانوا بالأسس القريب ، يعدون المعارضين لها ، الاكثر تعنتا ومراعاة لهذه العوامل المتعارضة مع شروط الكفاح المسلح ، فلم يكن " تجميد " الثورة ، بدافع الاصلاح ، من الأمور التي يتصذر علاجهما . ومن ثم ،

فان واثمين آخرين ، مخلصين وواعين ، سيحفظون وحدهم مسوؤلية الكفاح المسلح ، دون أن يسقموا حسابا عن أعمالهم لآخوانهم الاكسبر منهم سنننا ، اولئك الذين حبسوا أنفسهم ، زمنا طويلا ، في سبيل التهدئة المقلقة .

شأنى مؤتمر حركة الاستعمار
للحريات الديمقراطية .

ثاني مؤتمر حركة الانتصار للحريات الديمقراطية
(5 أبريل 1953) .

لم يطل الصبر بالجهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها ، فعاشت
ضعة أشهر . وما كان يخيل للمرء ان حزبا من الأحزاب المعنية متأهب لتقسيم
الوضع أو لاستخلاص العبرة من هذه التجربة المشتركة . فالروح الوجدانية
التي كانت تملأ قلوب مشيخي هذه الجهة ، لم تكن الا عبارة عن رغبة فسي
تسوية الخلافات ، وقصد المطالبة الجماعية بكل ما كان يطالب به ، من قبل ،
كل حزب على انفراد ، ونصني بذلك ، القانون الاساسي للحريات الديمقراطية .
وكان من المتوقع ان يجرى المشروع ، في هذا المستوى ، بالفشل . وكانت الجهة
قد أدرجت في الاطار السياسي ، على المدى البعيد ، دون ان يعطس لها أي
شكل حقيقي من أشكال الكفاح الذي من شأنه ان يؤدي الى تغيير العلاقات
الاجتماعية ، وتغييرا كبيرا . وكان ظهور الجهة حجة تذرعت بها حركة الانتصار
للحريات الديمقراطية ، لتستفادى . مواجهة المنظمة السرية ، ولتمح لها تأجيلا
امتد الى 3 أبريل 1953 ، أي الى تاريخ انعقاد مؤتمرها الوطني الثاني .
ولجأت الحركة ، آنذاك ، الى اجراءات تسلم عن نيات هيئة . فاستدعت حركة
الانتصار للحريات الديمقراطية ، المؤتمرين الى مقرها الكائن بساحة شارتر ،
بالجزائر العاصمة . وحدث ذلك في نفس الوقت الذي كانت الشرطة فيه ،
تهجس ، بهمة ونشاط ، عن اطارات المنظمة السرية المتخفين ، والمدعوين
 للمشاركة في المؤتمر . واذن ، فما كان يمكن القضاء على الطليعة الثورية ،
بطريقة أفضل من تلك التي سلكتها الحركة التي تؤذ ان يسلم أعضاء
المنظمة السرية أنفسهم الى قوات القمع ، أو ان تتأكد ، على الأقل ، من
امتناعهم عن التصويت . وكان هدف أصحاب الحيل والدهاء ، جليا واضحا . فقد
كانوا حريصين كل الحرص على ان تكون لهم حرية التصرف بشؤون سياسي
كامل ، خلال الاجتماع الذي تعضره أسرة الانحرافيين الكبيرة .

ولم يكن بوشنج مبالى ، وهو في فرنسا ، إلا أن يملح من بعيد ، قادة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بالجزائر المأهولة ، نعمانا احتياطيا . فلم تكن أساليب الثورة المضادة ، تهمة على الاطلاق ، واذ كان (في حوض فدرالية فرنسا) مشغل البال بشيء واحد هو أن تستغل " عبادة شخصيته " متراصلة . وكانت غايته أن يوطد سلطته .

فأقصاؤه من المؤتمر برسائل تضريرية خداعة ، وعلا مات التعاضد الأولى التي بدت على الزعيم الذي كان يعيش في المنفى ، كل ذلك حمل المنظمة السريية على أن توصي جميع المناضلين الثوريين ، أنصار الكفاح المسلح ، إلا يحازوا إلى أية نزعة . فقد بات من المعلوم أن هذه النزعة السياسية أو تلك ، لم تكن من الوجهة السياسية ، إلا نوعا من أنواع التعاضد مع النظام الاستعماري . وهكذا ، عقدت حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ، بعد اقضاء المنظمة السريية ، وابعاد مبالى ، اجتماعها في جوسادته روح النقد الذاتي الذي لم يكن متوقفا . وحمل مكتب المؤتمر على تخمين دفتر ، تسجل فيه النقائص والزلات المتمثلة في عدم وجود مذمب الكفاح ، وابعاد مفهوم الاستقلال من كل مضمون سياسي واقتصادي واجتماعي والكامنة في خيبة الأمل المتكررة والغابرة من الانتخابات . وبدأ كل ذلك جليا في النقص الكبير الملحوظ في تكوين الأبارات تكوينا سياسيا ، من جهة ، وفي عدم اغراز الحركة جذورها فسي أوساط العمال والموظفين والمثقفين من جهة أخرى ، ولكن سرعان ما عوشت المؤتمر عن حالة الاخفاق بتقديم اقتراحات اصلاحية ، تتلخص فيما يلي :

- (1) تدعيم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بوصفها حزبا جماهيريا (بدون طليعة) .
- (2) عدم سياسية مبدأ الاتحاد الوطني (في جميع اشكاله التي تختلص عن الوحدة الثورية) .

ومهما كانت هذه الانتقادات الذاتية مضمودة من حيث الظاهر ، فإن السؤال الذي كان يملح نفسه بنفسه ، وقد تمثل في معرفة الأشخاص المسؤولين عن هذه النقائص والزلات نفسها ، وهي كلها اخطاء طاب للجميع

أن يقر بها . وانه يتسنى لنا أن نؤكد ان المتسببين فيها . هم أنفسهم أولئك الذين كانوا يدردون بها ، ويحلثون عنها ، غير ان هذه الانتقادات التي كثيرا ما أعبت عنها المنظومة السرية ، ظلت عديمة الجدوى ، لأنها كانت تصدر عنها ، بل لقد كانت تعتبر ، أحيانا ، أساليب تهدف الى الحط من قيمة الحركة ، وواقفا ترمي الى تكبير نفو حياة القادة الذين لم يكونوا مسميين ، نقلا ، على الكفاح المسلح . ولم تخفف هذه الصودة المفاجئة الى الدم والاعتراف بالخلل ، اختلافات وجهات النظر الجوهرية في شيء ، بالمرض من اعتبارها عملية أجريست داخل الحركة نفسها ، ودون أن يساهم فيها رجال المنظمة السرية .

ولقد أصبح الانقطاع الاديولوجي القائم بين مسؤولي حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ورجال المنظمة السرية ، محط الأفتار . وكانت حركة الانتصار للحريات الديمقراطية نفسها ، فضلا عن ذلك ، تعيش ممددة بأشفاق أخذ يدب في جسمها ، بين المركزيين الا عملا حسين القائمين بالجزائر العاصمة ، والزعيم القديم الذي صار يدير في المنفى ، وقد كانت لرجسيتها متشامخة تشا مجمله لا يتردد في تمويل حركة الانتصار للحريات الديمقراطية الى حركة تتضمن شخصيته (أي المصالية) . وأصبحت حركة الانتصار للحريات الديمقراطية عاجزة عن تقبل الأستدلاء الاديولوجية والسياسية العاجزة عن كل ماكانت المنظمة السرية ، حسب زعمها ، تقوم به من أعمال في الخفاء ، كما كانت غير راضية بحياتها السياسية السطحية التي تعيشها من خلال الانتخابات التي حملتها على تنازلات لم تسفر عن أية نتيجة ايجابية . فراحت تعترف ، بصعوبة لعبة التراجع — التي حاولت أن تلصقها — بين الداعين الى الثورة والمتشبهين بالشرعية الانتخابية . وباستعلاء المرء أن يجد تفسيراً لكل ذلك ، حين يعلم ، ان النزعة السياسية التي تبدر الحركة من خلالها وكأنها توجب في التقيد بالأهمال المسلحة التي تتبناها المنظمة السرية ، لم تكن ، في الواقع ، الا نزعة من النزعات السياسية المتنوعة التي عرفت بها .

ومن أجل ذلك ، كان لزاما عليها ، في نفس المنظور ، أن تبخس قيمة طاقاتها المنظمة السريية ، وأن شرط في تقدير امكاناتها الخاصة . ومن ثم ، كان انزلاقها نحو الليبرالية الاملاحية التي كثيرا ما نادى بها ج . شوفالسييه (J. Chevalier) الذي زعم انه سيجعل الحركة تستدرك ، سطخيا ، ما فقدته ، عميقيا ، مع المنظمة السريية . وإلى جانب ذلك كله ، فان حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ، كانت ، قصد كشف النقاب عن نواياها ، تحرم حرمنا شديدا على الافصاح عن عدم اكرامها للاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ، وعن ابتعادها عن الحزب الشيوعي الجزائري ، شريكها القديم في الجبهة . وما كان يمكن لهذه الاجراءات بمرمتها ، الا أن تنفذ الى تصفية الثورة . فاختارت حركة الانتصار للحريات الديمقراطية هذا الاتجاه الثالث ، في الوقت الذي انقلب فيه الفيتنام في آسيا يشعل نار ثورة الشعوب المضطهدة . وقد كان باستداعة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية والمنظمة السرية ، أن تستنسا بالتدريج ، منذ سنة 1950 ، جبهة ثانية افريقية ، لتساعد بالاعمال الباولية ، الفيتمين ، ابتغاء تحقيق اتحاد الشبيبتين المتحمستين والراعتين : علو حدث ذلك ، لتمكن الفيتناميون والجزائريون من أن يساهموا في بلوغ نفس الغزاة الجشاع ، في نفس الموقع المعروف بديان - بيان - فو (1) (Dion - Bion - Phu) وقد كان هؤلاء الغزاة جميعهم ، يحاولون وقف سير التاريخ .

(1) ديان " بيان " فو (Dion-Bien-Phu) موقع في الفيتنام ، مزوم فيه الفيتتمين القوات الفرنسية وأجبروا على قبول وقف إطلاق النار (1954) (المترجم)

اللجنة الثورية للوحدة والعمل

أو

سبيرة الاستعداد .

اللجنة الثورية للوحدة والعمل

أو

سيرة الاستعداد
(25 يوليو 1954) .

لم تلبث الأزمة التي زعمت حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بين دفتي 1949 و 1950 ، أن بانت وانتشرت على رؤوس الأشهاد . فانشقاق الحركة اليسارية ، كان منذ صيف 1954 ، الحمل الذي بأشهره أولئك الذين كانوا أنفسهم يتمنون اندحار المنظمة السرية ، وكانوا يحرضون أعضاءها على تشتيت شملهم مرة ثورسن ، بذلك ، الانتخابية⁽¹⁾ والليبرالية . وهكذا ، فقد كان مصدر الشغل المزروع الذي منيت به حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ، إزاء النظام الاستعماري متمثلاً في ضعف هيكلها الداخلية نفسها . وأدو الداء الذي كان يدخل الحركة ، إلى أن قاد مؤتمريين في يوليو وأغسطس 1954 . فالتحق واحد منها بالجزائر العاصمة (المركزيون) ، والتحق الآخر بهورنو (Hormu) الواقعة بهاجيك (المصاليين) . وتشبثت كل نزعة انشقاقية برأيها ، وبادرت إلى اقتسام منافستها وعلى الفور ، جعل المصاليون - وكانوا هم الأوائل الذين انتموا خارج الوطن - جميع الفصائل النضالية وثقاً لهم ، وجميع القرارات السياسية محصورة بهم ، عن "أويسق" بركة " زعيمهم مصالي . فاستولى مكتبهم على المنظمة السرية ولقبها بالحركة الوطنية الجزائرية . واستنزل اللجنة على كل من يحاول أن يستعرض على ما كان يعتبره شيئاً خاصاً بهم ، وتأييده . وعامل المركزيون ذلك الزعيم ومكتبه ، بالمثل ، حتى لا يخلوا الجو للمصاليين ، ووجهوا لهم مسامحة اتهامات عنيفة ، مبررين بطريقتهم (دون أن يبيدوا المسألة إلى بساط البحث) أسباب الأزمة وإبعاد الأشخاص الثلاثة عن الحزب ، ونصني بذلك : محالسي ومزغدة ومولاي مرياح . فكان السباق إلى اتخاذ الحقوقيات ، وإلى الجزايدة . وكانت كل نزعة تحاول أن تسيق الأخرى إلى التمرد والتجريح . وكان المصاليين ، باقضاء المركزيين يتمنون أن تتلضم حركة الانتصار للحرييات

(2) الانتخابية : سياسة تتجهها الأزاب وتستوحى فيها من المصاليين الانتخابية (المترجم) .

الديمقراطية اليهم ، ليجهلوا منها وسيلتهم الخاصة لتحقيق مآربهم . وتمكنت جماعة مورنو الاشتراكية ، بعد انضمامها الى مسعالي ، من أن تَنْصِب "بأوذايما" (2) القادم من نيور (Niort) ، وذلك بمسأى عن اعتراضها على كل نزعة لم يحدثها "البقي - بوسى" (3) ابراه . وكان ضلال المسعاليين يتمثل في كونهم يعتقدون انه ، بوسعهم ، انفلاقا من الخارج ، أن يديروا شؤون الحركة الوطنية ، وأن يوجهوا الجماهير الجزائرية الى الكفاح المسلح . أما المركزيون ، فانهم يتدخلون كامل المسؤولية في ايجاد باب الثورة ، لأنهم كانوا حين تخلوا عن المنظمة السريية ، قد اختاروا طريقا متجها نحو النشاط السياسي . وبوزت للوجود ، داخل منظماتهم ، أنواع الشقاق المستترة . يستار الليبرالية التي يمثلها أشخاص من أمثال بلانشيت (Blanchette) وشرفالبييه (Chevalier) . وكان هذا الشقاق لمناج الديوانية (البيروقراطية) . وفيما يخص الاتحاد الديمقراطي للبيير الجزائري ، فانه لم يجمد ، لما كان يتصمم به من عناد ، ولما كان يتشبث به من سياسة الاندماج والتمثيل النيابي المشترك ، آذانا صاغية له لدى الجماهير . ولو حدث ذلك ، لتمكن الاتحاد من استخدام منهج صحيح في البحث عن المويضة الوطنية . وبالرغم من أن الحزب الشيوعي الجزائري كان ضد الاستعمار ، فانه قد تبلى مبدأ سياسة الاندماج والتمثيل النيابي المشترك . وكان يريد ، قبيل ذلك ، أن يكون حزبا وحدونيا ، شريطة الا يندفد هذا الاتحاد الى الكفاح المسلح . ومن ثم ، فانه وضع جميع آماله في تطور أوروبا ، كما وضع مستقبل الجزائر ، في مدار مستقبل البلدان المقاومة للرأسمالية . ولما ردت القضية الجزائرية الى هذا المنظور ، لم يجد المحتوى السياسي الخار بالموقف الذي اتخذه الحزب الشيوعي الجزائري مطابقا ، اطلاقا ، للوضع السخا من جزائر جزائرية وطنية . والسبب الواضح ، في ذلك ، يكمن في شي آخر : فلم يكن الحزب الشيوعي الجزائري يوم من بزمانا التصبئة التي يفرسها الكفاح المسلح الكشيل

(2) باو - داي (Bao-Dai) ولد بهويه (Huo) سنة 1913 . ملك انام (1925)

(3) (1945) . رئيس دولة الفيتنام (1943) . لجأ الى فرنسا وأبعد بها

عن الجرش بعد استفتاء 1955 (المترجم) .

(5) لقب بهلقه المؤلف على مسعالي (المترجم) .

بأن يستجيب للمقتضيات الثورية الريفية . وهكذا ، أسفرت روميته المصداقية
بالهزيمة الأوروبية على تضيق وجهة نظره حول اجزارة الجزائر . ومن ثم ،
لأنه لم يدرك مدى الروح الوطنية التي كان قلب الشعب مفعما بما . ثم ، ألم
يكن العربي برمالي ، قد صرح ، ذات يوم ، بأن : " الكفاح من أجل السلم هو
الطريق الأقصر والأقل كلفة للتحرير الوطني " . ولكن الحزب الشيوعي
الجزائري كان لا يزال يحمل في دلياته ، كذلك ، عدائة أخرى ، يصعب قهرها . أنها
المدائة التي حملت مناضليه الفرنسيين الذين تنشطهم وتحركهم حركة نقابية
قد أصبحت أكثر فأكثر قوتورا ، على أن يتخلوا بالذهنية التقليدية . فلم تكن لهم
أذن ، صلة وثيقة بخيرهم من أبناء جماعتهم . فالذي كان يجمع بينهم ، هو
تلك المطالبات الاجتماعية ، لا غير ، وقد حاربوا جميعا ، أكثر من مرة ، أن
يتقمصوا شخصية المناضلين الوطنيين المعبرين عن أفكارهم الداعية الى اقامة
جزائر جزائرية . ومنذ ذلك الوقت ، ستجسبل الالهزات السياسية من 1954 ،
سنة توذن بنهاية الالتباسات ، وتصر عن المسلك الحاذق الذي ستسلكه الحركات
التي نالت تخفي ، في شيء من الصعوبة ، رفضها في اتخاذ قرار يقضي بالمشاركة
في الحركة التاريخية المتمثلة في الكفاح المسلح . وكانت الجماهير المناضلة
تدبر حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ، حركة ثورية مزعومة أو حركة تدعي
انها تتنادي بالثورة . ولم تفلح حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في الظهور
بذلك المظهر وكان لابد من أن يبرز على الساحة رجال مثل أولئك الذين ثاروا
بالأمام القريب . وكان لابد من أن يمتازوا مثلهم ، بالحزم والثبات لأنهم كانوا
مسممين على التخلص من مخاضات والحراقات الكذابين الآثمين المستكورة .
وسيوضح هؤلاء الرجال ، وواد الثورة ، حدا نهائيا لجزائر محرومة من حقها في
الحياة الوطنية . وسيضعون حدا نهائيا ، كذلك ، لكل مذهب اصلاحي ،
تشتم منه روائح الصفوة الفدرالية ، ولا يتلاءم مع ما كانت الجماهير الشعبية
تتحسرق إليه شوقا ، ابتغاء تحقيق آربها . وأن هؤلاء الرجال ، باعني النشاط
في المنظمة السرية هم الذين سيشكلون اللجنة الثورية للوحدة والعمل .
وسيرمجون المراحل الحاسمة للكفاح المسلح ، فيعيدون بذلك ، التوازن بين

الشعب والثورة . وتتألف المجموعة الأولى التي أسست اللجنة الوطنية للوحدة
والحمص في 25 يوليو 1954 من الأشخاص الآتية أسماؤهم : ابن بولصبيدز ،
وابن بلسة ، وآيت أحمد ، وديدوش ، وكريم ، وابن مهدي ، وبوضياك ، وخيضر ،
وبيطاط .

أما الأعضاء الآخرون الذين بهم اكتملت اللجنة : فهم : زيخود ،
وسويداني ، وابن طوبال ، وبوشعيب ، ومرزوقي ، ووصوف ، وابن عودة ، وهاجي ،
وابن مصطفى ، ومشاتي ، وسلال ، ومو علي ، ومو عجاج ، ولعمودي ، وابن علسة ،
وحياشي . وبمذا تكون المسؤولية السياسية - العسكرية قد تحددت بدقة .
وكان على العناصر الأولى للجنة الثورية للوحدة والعمل ، أن يتفقدوا ويراقبوا مناطق
القلع الخمس التي سيحولها جيش التحرير الوطني ، فيما بعد ، إلى ولايات :

القطاع الوهراني :	ابن مهدي
القطاع الجزائري :	بييطاط
القبائل الكبرى :	كريم
الشمال القسطنطيني :	ديدوش
الأوراس :	ابن بولصبيد .

وأمام الكفاح الذي ستخوض غماره الجماهير الشعبية ، ستواري جميع
الأحزاب التي تبين على كسر الأيام ، إنها أحزاب أعيان ووجهاء ، وقد
بقيت ، حتى ذلك الحين ، معارضة لكل حركة ثورية . فلم تعد هناك نفوس
سياسية أو سرعات مذهبية . ولم تكن ، هناك ، خيبة أمل ناتجة عن تزوير
الانتخابات !

فلم تلحد الممارك السياسية في شي من شروط النزاع الأساسية المتعملة في
كلمات ثلاث هي : نظام ، إصلاحية ، ثورة . وأصبحت غريزة البقاء تستوجب الوحدة
الوطنية ، تجاه الفراغ السياسي المفاجئ الذي غذاه ، تفرق حركة الانتصار
للحريات الديمقراطية . وكانت مدى الفكرة الثورية تسلك ببطء سير منحناهما
الصاعد . وبدأت حالة نفسية مضطربة ، تظهر ، في انتظار قادة شعبيين ،

يفصرون عن بيان نتائج لؤمهم . وكالت الجماهير تبدو وكأنها تبحث في الأفق البعيد ، عن منظمة مسلحة موسعة . وكان المسؤولون الأوائل للجنة الثورية للوحدة والعمل ، يشغلون فكرهم بقايلية حياة هذه المنظمة ، اعتبارا مسبقا من الصعوبات الأولى التي دون ريب ستواجههم .



المرابي بن مهدي : ابن الشهاب البزار . كان عضوا في كل من المنظمة السرية واللجنة الثورية للوحدة والعمل ، وجماعة التحرير الوطني . اغتاله مظلوم الكولونيل بيجار (Bigeard) الذي كان مضجعا به .

وتتمثل هذه الصعوبات في المسائل التالية : التمويل وهياكل التنسيق ، والقانون الأساسي التأسيسي وتخطيط التسليح ، والتخزين والعخابين وتوزيع الرجال والعتاد في مناطق الحرب ، توزيعا محكما . وهو لج موضوع المصالح الشخصية مسألة دقيقة . ثم أعدت بسرعة خطط التجنيد والدعاية السياسية ووسائل التسجيل والاسمافيات الطبية ، وغير ذلك من الملحقات (استثناء ، وانتداب ، مهمة . . .) وكان المغاوير يرفعون نيرانهم الفاتحة . وكان الشعب يصنع ثورة بينادقه وظلفاته التاريخية . فأرجت قرارات عديسة ، بعد أن حفزتها واستنهضت همها الانتفاضات

الشعبية الكبرى . فتزعجت الامبريالية ، وتشجعت كل التشنج بمصالحها ،
وبأسلوب المخاتلات (4) التي عشى علينا الزمن .



عبد الحفيظ بوصوف (عضو في كل من المنظمة السرية واللجنة الثورية للوحدة
والعمل وجبهة التحرير الوطني) . رجل عمل ورفيق العربي بن مهيدي .
أدركته المنية في 31 يوليو 1930 على اثر نوبة قلبية . .

(4) انظر : ج 2 ، الفصل الذي عنوانه : فحص دقيق للحركة الوطنية الجزائرية .

وقام الشعب الجزائري ، وهو المطلح على المواصفات المتصلة بكل حركة من الحركات ، بثورته الخامسة (5) (الريفية والمقاومة للاستعمار) والمختلقة عن الثورة السوفياتية (ثورة بروتارية شيوعية) والثورة الصينية (حرب تحرير شنت على الأجانب ، أمحاب النوايا التوسعية ، وعلى الهرجوازية المسخلية - ثورة شيوعية) والثورة الكوبية (كفاح من أجل تحرير الشعب ، ومقاومة الامبريالية - ثورة شيوعية) . ففي سنة 1954 ، كان المرء يمثل ، حينما يكون مناضلا ثوريا ، فرصة فريدة تتمثل في التمكن من تحقيق وتجسيد الاستقلال ، وسيستشرف الشعب الجزائري تحرير بلاده من خلال جبهة التحرير الوطني .

جذور ثورة فاتح نوفمبر 1954 .

لقد كان معظم المناضلين المخلصين والواعين الذين حثوا على إشعال نار الثورة الشعبوية، من أجل أن تنال الجزائر استقلالها، يشغلون مناصب هامة داخل حزب الشعب الجزائري، وقاوم هؤلاء الوطنيون المشهورون الاستعمار، بدون توقف، إلى أن بلغوا غاياتهم المشهودة، وكابت الحقبة الزمنية الممتدة من 1940 إلى 1954، بمثابة الخميرة التي أحدثت غليان الخواطر والأفكار، وأدت إلى اندلاع ثورة غيرة نوفمبر 1954، وشكلت هذه الفترة، العلة التي تمثل أرمها في الحرب الدامية التي دارت رحاها بين الشعب والمحتل، ومما لا ريب فيه، أن هؤلاء الرواد الثوريين، كانوا يمتازون بروح التضحية القيصوي، فقاسوا شتى ألوان المذات، وتحملت أجسادهم وعقولهم، مختلف الأعمال القميصية واللائسانية، فالسجون والتجازرات التي ارتكبت في حقهم، قد مكنت، ككل واحد منهم، من استخلاص عبر كثيرة، واكتساب تجارب عديدة، فاشتد عزمهم، وتوطد التزامهم، وكان هؤلاء، هم الرجال الذين مهدوا في الخفاء - وخطوة فخطوة - لسير الكفاح المسلح التدريجي، من أجل أن يجددوا المهدمة الاستعمارية.

جذور ثورة فاتح نوفمبر 1954

نجم شمال أفريقيا
أمر بالحجز على المنظمة
1929-1937. باريس

حزب الشعب الجزائري
تأسس في باريس بتاريخ 11 مارس 1937
ظل يعمل في الخفاء وبصورة غير
قانونية في الجزائر 1940.

المنظمة شبه العسكرية
1947

حركة الانتصار للحريات
الديمقراطية 1946

اللجنة الثورية
للوحدة والعمل 1954

تفرقت حركة الانتصار
للحريات الديمقراطية
1953

جبهة التحرير الوطني
1954 جيش التحرير الوطني
1954

الحركة الوطنية
المركزيون
يلتصون إلى الجبهة
1955
مصابون
مأخوذون
لثورة

الحزب الشيوعي الجزائري
النضوي بعض أعضائه الس
الجبهة ، بصفة فردية : ستة

العلماء
النضوي إلى
الجبهة ستة

الاتحاد الديمقراطي
للبيان الجزائري
النضوي أعضاؤه إلى
1956

وعليها ، أولاً وقبل كل شيء ، أن نلاحظ أنه لم يقح قطه في تساريسخ الجزائر ، فمصير رباط الماضي بالحاضر والمستقبل ، فصما جلياً وطاماً . فلم يكن النظام الإداري الذي تبنته فرنسا تجاه الجزائر ، إلا حركة مستذبذبة بين نزعة إصلاحية ، ولبيرالية صادرة عن مبادئ 1789 ، ولكن السياسة التي كانت تنوي فرنسا تطبيقها ، والتي قررت بها السلطة الرجعية ، كانت تتعارض مع كل تغيير . ومما دعم ذلك وجود فروق في الجنس والدين ، وهي فروق تحول دون تداخل الطوائف المختلفة .

وكانت الصيغة السياسية التي استخدمها البير غريفسي (Albert Grévy) في ذلك العهد ، تجسح إلى ضم الجزائر إلى فرنسا . وفي الدوائر الحكومية العليا بهاريس ، بدأت للعيان ، آنذاك ، نزعات سياسية مختلفة . وتوعد بعض من بأيديهم زمام الأمور ، بين استمرار رسمي ، وبين قسطنق العلاقات مع فرنسا . وستولسيد - مرة أخرى ، هذا الشعور بالانفصال العنيف ، مع ظهور " منظمة الجيش السرية " (1) عشية استقلال الجزائر ، سنة 1962 . وتتردد آخرون بين سياسة تعمير وسياسة استفلال ، بفنيل تطبيق قانون الأندجينا . ففي عهد الجبهة الشعبية ، كان مشروع بلوم فيوليت (Blum-Violette) ، الرامي إلى شق صفوق الشعب ، يحابي أقلية قليلة جداً . وقد أخذت هذه الأقلية ، آنذاك ، تسير في ركاب الإدارة الاستعمارية الحاكمة (فالأمر يتعلق بهؤلاء وإخلاق انصار جدد للاستعمار ، وهؤلاء الأتصار ، هم في هذا الظروف بالذات : ابن جلول ، وابن غانسا ، والباشاغنا آيت علي ، والشيخ الطيب العقبي ، والأمين لمودي ، الخ) .

وأخيراً ، فإن الحزب الشيوعي الجزائري ، ظل حتى سنة 1956 ، متشبثاً بمواقفه الإصلاحية ، نانيا تاريخ الأمة الجزائرية . ولم تساهم جمعية العلماء ، التي أسسها الامام عبدالحميد بن باديس ، إلا في توطيد المبدأ الوطني المتمثل في الشعار المعروف : " الجزائر وطننا ، والاسلام ديننا ، والعربية لغتنا " .

(1) انظر : " منظمة الجيش السرية ونهاية حرب الجزائر " ، لنفس المؤلف .



الوحدة في إطار الاسلام والكفاح
من أجل التحرير الوطني .

وعدل بيان السيد فرحات عباس عن التيار الاصلاحى ، ليتبنى ، على التدريج ،
الآراء ، والمواقف الوطنية . وفي النهاية ، فان رجال حزب الشعب الجزائري الذين
أصبحوا يدركون أبعاد القضية الوطنية ، قد وفروا جميع الشروط اللازمة التي
مكنتهم من أن يتخلصوا ، والأسلحة بأيديهم ، من الاستعمار المستبد الذي كان
يخضعهم .

واننا لا نريد أن نختم كلامنا هذا ، دون أن نشير الى ان
الظاهرة الهائلة المتمثلة في تشيخ الجزائر قاطبة ، بالاسلام ،
قد لعبت الدور الحاسم والأعظم في تاريخ وحدة أبنائنا ،
واستقلال وطننا .

الملحق الأول :

الأستاذة الثالثة عشرة لتأسيس جنوب الشيب
الجزائري (11 / 08 / 1950) .

الملحق الأول

مشوروزعتنه حركة الانتصار للحريات الديمقراطية
بتاريخ 11 مارس سنة 1950

الذكرى الثالثة عشرة لتأسيس حزب الشعب الجزائري .

أيها المناضل !

لقد مضت ثلاث عشرة سنة منذ ذلك الوقت الذي اجتمع فيه رجل واع بخطورة الموقف،
واثق بمصير شعبه ، بجمع من الشبان الجزائريين في نانتر (Nanterre) لتأسيس
الحزب الذي أصبح في عهدنا العدو اللدود لكل أولئك الذين يضطهدون أممتنا .

وبعد أشائه بتاريخ 11 مارس 1937م ، أخذ حزب الشعب الجزائري
على عاتقه القيام بالمهمة الشاقة والنبيلة المتمثلة في استعادة الجزائر سيادتها
وحريتها المفتصبتين ، عقب عدوان دلي .

وقبل تحليل الأُطوار المختلفة ، ودراسة الخطة المستعملة ، وامتخااص
الصبر الناتجة عن الكفاح ، فانه لا بد ، أولاً وقبل كل شيء ، من الترحم على جميع
الذين استشهدوا في ساحة الوغى ، أي جميع الذين ضحوا بأنفسهم ، أولئك
الذين نحن اليوم ، مدينون لهم بالسمعة الطيبة التي تتمتع بها منظمة حزبنا
الكبرى . فقد عاشوا عيشة كلها إباءً وشهامة ، وماتوا مناضلين واعين !

فلا كحل ومناد بلعيد ودوار ورايح قاسي وأقلون وبلحاف وزيار ولميش
وأصلاح ومعيزة ، وغيرهم كثيرون ، قد لفظوا أنفاسهم الأخيرة من أجل أن يميش
حزب الشعب الجزائري ، وأن تحيا معه الأمة الجزائرية . فوضعوا لنا جميعاً ،
خطة العمل التي ينبغي اتباعها .

الظروف التي نشأ فيها حزب الشعب الجزائري : لم يكن تأسيس حزب
الشعب الجزائري ، وهو أول حزب ثوري جزائري ، بعد نجم شمال إفريقيا ، مجرد
صدفة رومنتية من غير رام . ولم يكن نتيجة لطموحات بعض السياسيين الساخطين

على الوضع : فهو - أولاً - تعبيري عن حقيقة تاريخية ، وهو نتيجة نشأت عن الأحداث السياسية الداخلية والخارجية التي وقعت في ذلك العهد ، وهو أخيراً ، خاتمة عمل أجزائه عزيمة ثابتة تسليح بها رجال من الشعب ظلوا يحملون لصالح الأمة ، ويسعون وراء منصفاتها ، لا غير .

مرحلة التزام حدود القانون : كان الحادي عشر من شهر مارس بمثابة نقطة الشروع في تطبيق أسلوب جديد من المقاومة الوطنية التي لم تتوقف منذ 1830 . وإذا كان الأمير عبد القادر قد كافح بقوة السلاح لأن الظروف كانت تسمح بذلك ، فإن مصالي قد أدرك أنه لم يعد من الممكن ، ونحن في سنة 1937 ، اللجوء إلى الأعمال العسكرية ، بعد أن احتلت بلادنا عسكرياً ، ونهبت خيراتها . فلم يبق أمامنا ، بعد مرور قرن على الاحتلال ، إلا الكفاح الثوري الذي يستتبعه أولاً وقبل كل شيء ، إلى حزب جماهيري منظم . وكان أن وضع الحادي عشر من شهر مارس 1937 حداً لبهد المطالبات بالحقوق ، من جهة ، وللخيالة الناجمة عن الدعوة إلى الاندماج ، من جهة أخرى .

فقد آن أولاً الكفاح البطولي الذي لا هوادة فيه والذي خاضه الحزب على جبهتين : الجبهة الامبريالية ، والجبهة الجزائرية .

1) الجبهة الامبريالية : أيها المناضل ! لقد كان عمل رواد حزبك الأوائل ، عملاً كبيراً . تسور الفترة المتراوحة بين دفتي 1937 و1940 ، تلك الفترة التي كانت تعد فيها فرنسا دولة من أقوى الدول في العالم . ففي آنذاك ، تمثل قسوة استعمارية وعسكرية وبحرية واقتصادية ، ولكن ذلك كله لم يقصد بمصالي ورفاقه عن التصدي لقوتها ومكانتها : فصرحوا بأن الجزائر ليست فرنسا ، ولم يترددوا في وضع معالم منظمة ثورية ، وطنية ، بالرغم من ضروب المقويات المختلفة التي كانت تنهال عليهم .

(2) الجبهة الجزائرية : كان على حزب الشعب الجزائري أن يتصدى لخيانة منتخبه فدرالية قسنطينة ، أنصار الاندماج . وكان عليه ، كذلك ، أن يقارم الثقلات الاجرامية التي عرف بها الحزب الشيوعي الجزائري الذي ظل ، حتى سنة 1935 ، من أنصار الحرية والاستقلال ، ولكنه غير رأيه بعد ذلك ، وتبنى سياسة الاندماج ، ومشروع بلوم - فيوليت . وكان على حزب الشعب الجزائري - أيضا - أن يقاوم رياء قادة " العلماء " الذين يتسترون بستار الدين . وبدون تردد ، تجسد حزب الشعب الجزائري ، للمركنة ، ليفضح ، دونما رحمة ولا شفقة ، جميع الذين خانوا القضية الوطنية ، واحتلضهم الموت الاسلامي المشهور . وقد سمم حزب الشعب الجزائري على تذليل كل العقبات التي تقف في وجهه . وهكذا دخل في الطور الأول من أطوار العمل الثوري ، وهو الطور المتضلل في إشارة الاضطرابات . فلا بد من أن يألف الشعب التحدث عن قضيتهم الوطنية ، وأن يكون له احساس بذاته ، وأن يدرك شخصيته ومطالبه ، ولا بد للأمة من أن تستعيد حريتها واستقلالها ، لتضع حدا للمحن الشديدة التي تساقبها ، منذ آمد بعيد . ووقف حزب الشعب الجزائري على المسلك الذي ينبغي أن يسلكه في المستقبل ، بفضل الايمان الشديد الذي يملأ قلوب قادته ، وقلوب الفلاحين والعمال والمثقفين من جهة ، وبفضل حدة البصيرة التي يمتاز بها هؤلاء جميعا ، من جهة أخرى .

وعاد مصالي الحبي الجزائري في يوليو 1937 ، وخاض طيلة ثلاثة أشهر ، أفضل كفاح بطولي عرفه خلال حياته النضالية . فقام برحلات قادته الى منطقة القبائل ، والى أهم المدن الومانية . وزار عددا من القرى الواقعة في القطاع القسنطيني . وفي 14 يوليو ، ساهم بالجزائر العاصمة ، على رأس حزب الشعب الجزائري ، في مسيرة المتظاهرين ، التي انطلقت من ساحة المناورات (ساحة أول ماي حاليا) وانتهت الى ساحة الحكومة . وتميز موكب حزب الشعب الجزائري بالعلم الأحمر والأخضر الذي كان رائعا حقا ، والذي كان يرفعه متاضلون بوسائل . وأخذ المتظاهرون يمتفون " برلمان جزائري " ، عندما مر الموكب بدار العمالة ، في حين انهم أخذوا يصيحون بملء أشداقهم " الأرض للفلاحين " ، لما أصبحوا أمم

الخرافة الزراعية . وما ان أصبحت حشود المتظاهرين أمام المسجد حتى أخذت تردد العبارات التالية : " احترموا الاسلام واللغة العربية الرسمية " .

ولكن الامهالية لم تكن لتشهد تطور حزب الشعب الجزائري السندي . يخوض للزوال امتيازاتها ، مكتوفة اليدين ، فشرعت في القيام بأعمالها القمعية . وهكذا ، أُلقت القبض في 27 أغسطس 1937 على مسالي والأحول وثلاثة مسؤولين آخرين . وزجت بهم في السجن المدني ، بالجزائر العاصمة . ولم يمض زمن طويل حتى حكمت عليهم المحكمة بعامين سجنا . بموجب مرسوم رينيه .

واستمرت الأعمال القمعية خارج أسوار السجن . ففي 1938 ، أُلقي القبض على أربعين (40) مناضلا ، وحكم عليهم بأحكام تعسفية ، ومع ذلك ، تواصلت الاضطرابات ، وتمتاز نفوذ الحزب لدى الجماهير ، بفضل جهود عدد كبير من المناضلين ، وبفضل ما كتبه صحيفتا " الأمة " و " البرلمان الجزائري " من مقالات ، وما لبثت النتائج ان برزت : ففي أكتوبر 1939 ، بينما كان مسالي يعيش في غياهب السجن ، أعرب سكان الجزائر العاصمة عن اعترافهم له بالجميل ، فالتخوه عضوا في المجلس العمومي . وفي ماي 1939 انتخب كذلك محمد دواو ، مرشح حزب الشعب الجزائري ، عضوا في المجلس العمومي بالعاصمة . وحاولت الامهالية الفرنسية التخلص من هذا الحزب ، بعد أن شعرت بأنه أصبح يشكل خطرا عليها . وفي 26 سبتمبر 1939 ، قام ألبر لوبران (Albert Lebrun) ، رئيس الجمهورية الفرنسية باصدار مرسوم يقضي بحل حزب الشعب الجزائري ، ويمنح " الأمة " و " البرلمان الجزائري " الذي كان في عدده الماشرعن الصدور . وأصبح حزب الشعب الجزائري : قبلة أنظار الخيوم : فالهمنس : يتهمه بالشيوعية ، والهمنس الآخر : يتهمه بالنازية .

ودخل حزب الشعب الجزائري ، بوصفه حزبا ثوريا حقيقيا في مرحلة أخرى من مراحل كفاحه : إنها مرحلة المقاومة السرية . وعليه ، فإن خطة الكفاح ، ستتغير ، والوسائل ستتبدل . مرحلة المقاومة السرية : لم يحد حزب الشعب الجزائري الذي زج

بزعيمه وقادته في السجن ، الا طريق واحد : انه طريق المقاومة السريسة التي لا هوادة فيها . وكان على الحزب أن يمشن على العدو ، معركة ضروسا بين دفتي 1940 و 1942 . وتوالست العقوبات على مناضليه . ففي 17 مارس 1941 ، أمرت حكومة بيتان (Pétain) بالحكم على مصالي بالأشغال الشاقة لمدة ست عشرة (16) سنة ، وبالإقامة الجبرية لمدة عشرين (20) سنة ، وبمصادرة جميع ممتلكاته . وفرضت على وطنيين آخرين ، عقوبات أخرى لا تقل قساوة عن تلك التي فرضت على مصالي ، ولكن نشاطات الحزب ، لن تتوقف بسبب ذلك . فكانت المنشير والكتابات على الجدران ، والاتصالات الدائمة بالشعب ، تبتسبن ان حزب الشعب الجزائري مواصل سيره ، ومستمر في كفاحه : فقوته متزايدة باستمرار .

وأبدى حزب الشعب الجزائري نشاطا كبيرا ، غداة نزول الجيوش الأمريكية في شمال إفريقيا . فقادته ، بحثا منهم عن صيغة اتحاد تضم جميع النزعات السياسية الجزائرية ، قد اتصلوا بعدد لا يستهان به من الشخصيات ، قنصند تحرير وثيقة يكون برنامجها متوحى . أساسا من برنامج حزب الشعب الجزائري . ونتج عن ذلك " البيان " الذي يصر على وجه الخصوص أن " الجزائر ستقيم بعد توقف الأعمال العدوانية ، دولة جزائرية ، لها دستور لها الخاص الذي ستصده جمعية تأسيسية جزائرية ، ينتخب جميع السكان الجزائريين ، أعضائها ، بالاقتراع العام " .

حزب الشعب الجزائري ، وأجنا ب البيان والحوية :

لم يكن صف قادة حزب الشعب الجزائري ، في ذلك العهد ، بتجسيد الاتحاد الأديولوجي بين مختلف النزعات السياسية الجزائرية (خاصة بين فرحات عباس والابراهيمى ، وبين الوطنيين) حول برنامج البيان . فكان لابد من انشاء منظمة تصمى عبر أنحاء التراب الوطني ، لتؤثر في أكبر عدد ممكن من الجزائريين ، ولتروج فكرة السيادة الوطنية ترويجا أوسع ، وليكون للبيان نفوذ كبير .

لقد تأسس حزب أحباب البيان والحرية في 14 مارس 1944 ، وكان
مناضلو حزب الشعب الجزائري يمثلون عناصره الرئيسية . فبفضل حماسهم الذي
لا يهين ، أولت كل الطبقات الاجتماعية في جميع مناطق الجزائر - من المدن والقرى
إلى الدواوير النائية - اهتمامها بالأمر . وهكذا ، انضم الشعب كتلة واحدة إلى
هذه المجموعة . وتحققت الوحدة الجزائرية بفضل برنامج واحد ، مدد به السيادة
الجزائرية . ولكن الاستثمار كان يواقب كل شيء ! فلما أفرغته القوة الوطنية بسبيلها
العارم الذي أوشك أن يجتاحه ، قام برد الفعل : فكانت مؤامرة ماي 1945 ،
المدبرة لنشر الرعب في نفوس أبناء الشعب الذين أمرؤا عن تمسكهم بالمثل الوطني
الأعلى ، والمعدة كذلك للقضاء على هذه الوحدة ، وحدة أحباب البيان والحرية .
وكانت نتائج الأحداث التي تركت أثرها في تاريخ الجزائر ، تتمثل في أربعين
الف (40.000) قتيلا ، وآلاف المعتقلين ، كما كانت تتمثل في شعب أثرت فيه
الأعمال القمعية تأسيرا كبيرا ، ولكن حزب الشعب الجزائري صمد أمام مجرمات
الامبريالية . وهذا هو يرفع على الفور ، العلم المضجج بالدم ، علم الحرية . وهذا هو
يعيد تنظيمه بفضل عدد من المناضلين الذين تشكلوا من اتقاء شر الأعمال
القمعية . ووجدته الانتخابات الجارية ، بعد حوادث ماي ، متأهبا للكفاح (انتخابات
بلدية وأقليمية - انتخابات خاصة بالجمعية التأسيسية الفرنسية الأولى) . فأوصى
حزب الشعب الجزائري بالامتناع عن التصويت . وأفضى ذلك إلى نصر مبين .
وواظب الحزب الدائم المثبت بروح البيان ، على عمله الرامي إلى إنشاء جمعية
تأسيسية جزائرية . وظل يطالب بالأفراج عن كل من مصالي وعباس والابراهيميين .
وكان النصر الناتج عن الامسك عن التصويت قد أكره الحكومة الفرنسية على فتح
أبواب السجن . وهكذا ، تم إخلاء عدد كبير من السجناء الذين كان عباس والابراهيميين
في عددهم .

الخيالة الأولى التي ارتكبها عباس :

ان الرجل الذي كان قديما يدافع عن الاندماج ، قد عدل ، فور خروجه من
السجن عن برنامج الجمعية التأسيسية الجزائرية ذات السلطة المطلقة ، ليالج في طلب
برلمان يحدث فيه التكافؤ بين الجزائريين والفرنسيين . وكل ذلك ، يكون في

أطار جمهورية خاضعة للاتحاد الفرنسي . وبالطبع ، فقد اقتفى الأبراهيمي أثره . فتحطمت بذلك ، وحدة أحباب البيان والحرية . ومنذ ذلك الوقت ، استمر حزب الشعب الجزائري ، وحده ، مثلما كان دأبه في الماضي ، في الكفاح من أجل استقلال الجزائر .

وفي نوفمبر 1946 ، كان مصالي آخر من خرج من السجن . ولكن حرريته كانت مؤقتة ، إذ كان عليه أن يمشي في بوزريعة ، مقر إقامته المراقبة . فالأحداث الداخلية والخارجية ، والرغبة في التصدي للأصلاحيين المتعاونين مع العدو ، وضرورة الفوز بمسئمة دولية ، كل ذلك حمل الوطنيون على المساهمة في الانتخابات ، للمرة الأولى ، منذ 1938 . فشاركوا أذن ، في الانتخابات النيابية الستة جوت في نوفمبر 1946 . وبالرغم من الضغط الإداري ، فقد انتخب من مرشحي حركة الانتصار للحريات الديمقراطية خمسة نواب .

أما الانتخابات البلدية الجارية في أكتوبر ، وانتخابات " مجاليس الجماعات " الواقعة بعد ذلك ، فقد أهرزت مرة أخرى ، الانتصار الذي أحرزته حركة الانتصار للحريات الديمقراطية . ترى ، أكانت الحكومة الفرنسية ، تشهد هذه الموجة الجديدة من " القومية " ، وهي هادئة الأعصاب ، لا تحرك ساكناً ؟ كلا !

لقد أرسلت فوراً إلى الجزائر ، نايجلان ، وكلفته بمهمة التمثيل في " اخضاع حزب الشعب الجزائري لإرادتها " . وما هي الحملات القمعية تعود من جديد ، وما هم رجال شرطة الاستعلامات القائمة يمدحون المناضلين . وما هي السجناء ، تكتظ من جديد بالوطنيين . وما هي الإجراءات الاقتصادية الرجعية التي تستهدف لتجويع الشعب : فهذه هي الأعمال التي امتازت بها سياسة نايجلان . وستبلغ هذه السياسة الرامية إلى نشر الذعر والهوس ، ذروتها في 4 أبريل 1948 ، خلال الانتخابات المتعلقة بالمجلس الجزائري ، وهي الانتخابات التي تم في غضون ساعتين ، اعتقال ثلاثة وثلاثين (33) مرشحاً من بين المرشحين التسع والخمسين (59) الذين قدمتهم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية . وتم كذلك في أنيسائها ، اعتقال الآلاف

الملحق الثاني :

القوانين الأساسية لجهة التحرير الوطني .

الضلع الثاني

القوانين الأساسية

لجبهة التحرير الوطني (1)

مدخل :

ان جبهة التحرير الوطني هي المنظمة الوطنية للشعب الجزائري في حرب الاستقلال ، وفي نفس الوقت تقوم فيه بالكفاح التحريري ، فان جبهة التحرير الوطني تقود ثورة ، ومدفها الرئيسي هو محو النظام الاستعماري وبمخ الدولة الجزائرية ذات السيادة وبفناء جمهورية ديكتاتورية واجتماعية .

وفي هذا الكفاح تعتبر جبهة التحرير الوطني قائد الأمة ومحرك الثورة . ويجب على جبهة التحرير الوطني التي حققت وحدة القوى الحية فسي الشعب ، هذه الوحدة التي بنيت بواسطة المشاركة الواعية لكل الجزائريين أن تسهر على تثبيت هذه الوحدة من أجل القيام بدورها التاريخي ، وتحقيق أهداف الثورة ، وتقوم جبهة التحرير - بالدرجة الأولى - بالكفاح المسلح ، بفضل جيش التحرير الوطني ، وهو يستمد قواه من طاقة الشعب .

ان المجاهدين والمجاهدات في صفوف جيش التحرير الوطني الذين يحركهم نفس الايمان الثوري هم مناضلون في جبهة التحرير الوطني ، معارون للعمل المسلح .

ومكذا ، فان كل جزائري ، بالزي العسكري أو بدونه ، يشارك في جميع مبادرات الكفاح التحريري . ان توطيد الوحدة الوطنية والتماسك التام بين الشعب والقوات المكافحة هي أقوى الضمانات الأكيدة للنصر . ان جبهة التحرير الوطني تكافح لاقامة مجتمع حر في الجزائر قائم على أساس الديمقراطية السياسية والاجتماعية وهي تناضل لتضمن للشعب الجزائري استقلال خيرات بلاده ، والتمتع بها ، وادارتها .

(1) المرجع : ملفات وثائقية (24) وزارة الاعلام والثقافة - الجزائر - 1976 ، ص : 55 - 58 .

ان الجزائر جزء من المغرب العربي ، وهي تنتمي للوطن العربي الذي تربطها به أربعة عشر قرناً من التاريخ والثقافة العربية الاسلامية ، والكفاح المشترك ضد الاضطهاد الاستعماري . ان كفاح الشعب الجزائري يتدرج في الحركة الواسعة التي مكنت شعوب آسيا وأفريقيا من التحرر ، وهو يتدرج في الحركة التاريخية لتحرير الشعوب المستعمرة ، وان انتصار الشعب الجزائري سيساهم في تدعيم المثل العليا للسلام والحرية في العالم .

ان الأشكال التنظيمية لجهة التحرير الوطني تتبج المهام التي يتطلبها تحرير الوطن وظروف الكفاح ، وعلى هذا ، فان هذه القوانين الأساسية ليست سوى اطار عام يجب أن تتدرج فيه مختلف الميائل واللوائح الخاصة أو المحلية .

ان تطور الحرب الثورية قد أدى الى نشأة (المجلس الوطني للثورة الجزائرية) وهو الهيئة العليا للثورة الجزائرية . ان المجلس الوطني للثورة الجزائرية الذي يقوم بقيادة حزب جبهة التحرير الوطني ، هو في الوقت ذاته ، حامل سيادة الشعب الجزائري . وبالتالي - صاحب السلطة الدستورية الموقتة كما أنه هو الهيئة السياسية العليا التي تسيّر (جبهة التحرير الوطني) .

ان هذه القوانين الأساسية التي أقرها المجلس الوطني للثورة الجزائرية ، قابلة للتسيّد فوراً ، وبما أن نظم كل هيئة سياسية يجب أن تكون نتيجة مداوات مؤتمروطني ، فان هذه القوانين ليس لها الا دأبع مؤقت ، وبالتالي فان تطبيقها ينتهي العمل به عندما ينصقّد مؤتمروطني للنظر فيها .

الفصل الأول

مبادئ عامة

المادة 1- ان جبهة التحرير الوطني هي منظمة الشعب الجزائري المحارب الذي يكافح في سبيل تحرير الجزائر من النظام الاستعماري ، واقامة دولة جزائرية مستقلة ذات سيادة .

المادة 2 - أن هدف جبهة التحرير الوطني هو بناء جمهورية جزائرية حرة ديمقراطية واجتماعية ، لا تكون متناقضة مع المبادئ الاسلامية .

المادة 3 - ولتحقيق استقلال الوطن ، فان جبهة التحرير الوطني تبذل جميع وسائل العمل ، وخاصة الكفاح المسلح . ان جيش التحرير الوطني يعد جزءا لا يتجزأ من (جبهة التحرير الوطني) ، وكل جندي هو مناضل في جبهة التحرير الوطني ، وكل مناضل في جبهة التحرير الوطني قابل أن يكون جنديا .

المادة 4 - ان جبهة التحرير الوطني ، ستواصل بعد استقلال الوطن مهمتها التاريخية كقاعدة ومنظم للشعب الجزائري من أجل بناء الديمقراطية الحقيقية ، والرخاء الاقتصادي ، والعدالة الاجتماعية .

المفصل الثاني

حقوق المناضل واجباته

المادة 5 - يعتبر المناضلا في جبهة التحرير الوطني كل جزائري أو جزائرية يلتزم - وفق هذه القوانين الأساسية - بالكفاح من أجل أهداف جبهة التحرير الوطني ، ويؤدي واجبات تحددها الهيئة التي ينتمى إليها .

المادة 6 - العضوية في جبهة التحرير الوطني فردية وهي تتم في مستوى منظمات القاعدة ، ولا تصبح فعلية إلا بعد موافقة الهيئة التي تعملها مباشرة في الدرجة .

المادة 7 - ان صفة المناضل في جبهة التحرير الوطني تتنافى مع الانتماء لأيئة منظمة سياسية أخرى .

المادة 8 - يجب على كل مناضل في جبهة التحرير الوطني ما يلي :

(أ) معرفة الاتجاه السياسي لجبهة التحرير الوطني .

(ب) تطبيق قرارات جبهة التحرير الوطني ، وحمل الآخرين على تطبيقها .

(ج) العمل والسهر الدائم على تماسك وحدة جبهة التحرير الوطني ، وبالتالي وحدة كل قوى الشعب .

(د) أن يكون مثالا يحتذى في وطنيته وصدقه وأمانته وعمله وأخلاصه وسلوكه . وفي

أظهار الاحترام في علاقاته مع المناضلين والمسؤولين ، ومع من تحت مسؤوليته .

- د) حفظ ارسال جبهة التحرير الوطني ، والتمسك باليقظة والحزم .
- و) الخضوع للنظام جبهة التحرير الوطني . المشترك بين كل المناضلين مسن القاعدة الى القمة حيث ان احترام النظام هو الشرط الضروري للعمل والفاعلية والتماسك ، ويمنع التجريح بكل أشكاله مما يات ويعاقب عليه بشدة .
- ز) حضور الاجتماعات المنتظمة للفروع التي يتبعها ، ومطالعة صحف جبهة التحرير الوطني ومشوراتها ، وتطوير معلوماته العامة ، واستعداداته التكتيكية .
- ح) محاربة كل عمل انقسامي أو جهوي .

المادة 9 - طبقا للمبادئ " الديمقراطية الداخلية التي تسيير عليها جبهة التحرير الوطني ، فان لكل مناضل الحق في :

- أ) عرض آرائه ووجهة نظره والدفاع عنها في اجتماع المنظمات التي ينتمي اليها .
- ب) يتم تقديم أي تقرير أو مطلب أو وثيقة عن طريق السلم التصاعدي الى الهيئات العليا ، وحتى الى المجلس الوطني للثورة الجزائرية ، واحترام السلم التصاعدي هو واجب حتمي من القاعدة الى القمة ، وبالعكس .
- ج) ضمان الدفاع للمناضل عن نفسه أو بواسطة مستشار أمام المجالس التأديبية والمحاكم المكلفة بالحكم عن نشاطه أو سلوكه .

المادة 10 - كل المناضلين متساوون داخل جبهة التحرير الوطني ، ويخضع المسؤول مهما تكن درجته في السلم التصاعدي ، لمثل ما يخضع له مناضل القاعدة من الواجبات والحقوق .

الفصل الثالث

مبادئ " الادارة والتنظيم

- المادة 11 - أن جبهة التحرير الوطني تعمل حسب القواعد المركزية الديمقراطية وتنظيمها الترتيبي السلمي مكيف حسب :
- الدوائر الترابية
- ميادين نشاط المناضلين .

- والذوات المرترابية هي : الولاية ، والمنطقة ، والناحية ، والقسمه .
- المادة 12 - بما أن السلطنة الفردية وعبادة الشخصية يتعارض مع مبادئ الثورة ، فان القيادة الجماعية مبدأ أساسي للعمل داخل جبهة التحرير الوطني . ان القيادة الجماعية تعني انه في داخل المنظمات تتخذ القرارات بعد مناقشة حرة ، ويجب ان تبسق هذه المناقشة سرية ، والتصويت اجباري على كل الأعضاء . ان فكرة القيادة الجماعية تقتضي بأن تدافع الأقلية عن القرارات التي توافق عليها الأغلبية وتطبيقها باخلاص ، وتبلغ القرارات باسم الهيئة الجماعية .
- المادة 13 - كل مسؤول يتحمل شخصياً مهمة نشاطه الخاص داخل المنظمة التي يتبعها .
- المادة 14 - طبقاً للعمل الجماعي ، يعتبر أعضاء كل هيئة مسؤولين بصفة جماعية عن نشاط هذه المنظمة .
- المادة 15 - ان تنسيق الأعمال هو عنصر أساسي في سير العمل الجماعي والادارة الجماعية ، ويجب أن يكون التنسيق مضموناً في كل الدرجات .
- المادة 16 - الرقابة ضرورة حتمية لتنفيذ القرارات المتخذة ، ولكل منظمة الحق في مراقبة الفرع التي تتبعها .
- المادة 17 - لسيطرة النظام بالتساوي على الجميع ، وهو يزداد شدة كلما كانت المسؤولية أكبر .
- المادة 18 - احترام السلم التصاعدي حتمي .
- المادة 19 - النقد البناء والنقد الذاتي يجب العمل بهما ، ولا يمكن ممارستها الا داخل المنظمات ، وهما يمثلان عامل اصلاح وفعالية .
- المادة 20 - اجتماعات منظمات التحرير الوطني ، يجب أن تسجل حتماً في محاضر جلسات .

الفصل الرابع

هيئات القيادة

أ - المؤتمر الوطني

- المادة 21 - المؤتمر الوطني هو الهيئة الدستورية العليا لجبهة التحرير الوطني ، وهو يجتمع على أرض الترابين حالما تتوافر له شروط التمثيل ، ويحدد المجلس

الوطني للثورة الجزائرية، طريقة تمثيل الأعضاء في المؤتمر، ويمسح
تاريخ ومكان الاعتقاد وطريقة اعداده .
المادة 12 - أن المؤتمر الوطني :

- أ) يصوت على نظامه الداخلي ، ويحدد مدة جلساته ، وطريقة التصويت ،
والأغلبية المطلوبة لجعل قراراته نافذة المفعول .
- ب) يدرس ويصادق على تقارير المجلس الوطني للثورة .
- ج) يحدد المذهب والسياسة العامة لجبهة التحرير الوطني .
- د) يصادق على القوانين الأساسية ويعدلها .
- هـ) يعين المجلس الوطني للثورة الجزائرية .
- و) ويتمتع بكل السلطات الخاصة بإصدار القرارات ومراقبة كل منظمات جبهة
التحرير الوطني .

المادة 23 - أن المجلس الوطني للثورة الجزائرية ، المنبثق عن المؤتمر الوطني
والصومول أمامه ، يعد الهيئة العليا لجبهة التحرير الوطني في الفترات الواقعة
بين دورات المؤتمر المذكور .

المادة 24 - تركيب المجلس الوطني للثورة الجزائرية ، وعدد أعضائه ، وطرق
تعيينهم ، كل ذلك من اختصاص المؤتمر الوطني .

المادة 25 - أن المجلس الوطني للثورة الجزائرية :

- أ) يصوت على نظامه الداخلي ، ويحدد شروط عمله .
- ب) يطبق قرارات المؤتمر .
- ج) يناقش ويصوت على ميزانية جبهة التحرير الوطني .
- د) يعين على التساوي من داخله لجان التأديب والمراقبة الادارة والعالية
وأي لجنة أخرى للتحقيق .

المادة 26 - يحدد المجلس الوطني للثورة الجزائرية كل أشكال عمله ، وطرق
تصويته ، والتصويت سري في كل المسائل المتعلقة بالأشخاص .

المادة 27 - كل عضو في المجلس الوطني للثورة الجزائرية ، له الحق في عرض أي اقتراح
أو أي تقرير يتبع اختصاصه على المجلس ، وإبلاغ كل الأعضاء بالأمر المحروض هو أمر
اجباري .

الفصل الخامس ترسيمات انتقالية

- المادة 28 - أن المجلس الوطني الحالي للثورة الجزائرية هو الهيئة العليا للثورة حتى انعقاد المؤتمر ، ويجب أن يعمل تلقاه على الأقل داخل الوطن .
- المادة 29 - المجلس الوطني للثورة الجزائرية ، له الحق إذا لزم الأمر في توسيع عدد أعضائه أو اتمامهم بموافقة ثلثي أعضائه الحاضرين أو الممثلين .
- المادة 30 - أن الأشياء المشتراة أو المكتسبة أثناء الثورة قد سلمت حالياً للدولة الجزائرية التي تسهر عليها ، والمجلس الوطني للثورة الجزائرية هو وحده الذي له صلاحية اتخاذ أي قرار بشأنها والتصرف فيها في انتظار انعقاد المؤتمر الوطني .
- المادة 31 - مشاركة كل الأعضاء في المناقشات داخل المجلس الوطني للثورة الجزائرية مطلوبة ، والامتناع عن التصويت غير مقبول .
- المادة 32 - في حالة حدوث مانع مبرر ومقبول من المجلس الوطني للثورة الجزائرية ، يستطيع كل عضو أن يوكل أحد زملائه بواسطة توكيل شخصي مكتوب .
- المادة 33 - المجلس الوطني للثورة الجزائرية له الحق في استدعاء أي مناضل أو مسؤول أو خبير ، لسماع أقواله إذا كانت من شأنها أن تفسر مناقشته .
- المادة 34 - لا يمكن للمجلس الوطني للثورة الجزائرية أن يتخلى عن سلطاته القانونية مهما كانت الظروف إلا لصالح المؤتمر الوطني .

الفصل السادس

مكتب المجلس الوطني للثورة الجزائرية

- المادة 35 - يعين المجلس الوطني للثورة الجزائرية مكتباً مكوناً من ثلاثة أعضاء فيما بين دوراته ، وهذا المكتب قابل للتجديد في كل دورة .
- المادة 36 - هذا المكتب مكلف باستدعاء المجلس الوطني للثورة الجزائرية في دورة عادية ، أو في دورة استثنائية بطلب ثلثي أعضاء المجلس .

الفصل السابع ترتيبات تأديبية

المادة 37 - كل مخالفة للنظام يرتكبها ماضل أو مسؤول ، يعاقب عليها من طرف المنظمة التي يتبعها ، ويمكن للمؤسسات الأعلى درجة أن تبحث المخالفة ، ولا يمكن الاستئناف في موضوع تأديبي أمام الهيئة الأعلى درجة الا في حالة الأخطاء الخطيرة .

المادة 38 - يحدد النظام العام للتأديب الذي أصدرته اللجنة التي أنشأها المجلس الوطني للثورة الجزائرية الأخطاء والعقوبات وطريقة الحكم عليها .

الفصل الثامن الموارد المالية لجبهة التحرير الوطني

المادة 39 - تتكون الموارد المالية لجبهة التحرير الوطني من الاشتراكات والإكتسابات والمنح والمساعدات والأموال المتقلة أو غير المتقلة وغيره من الموارد ، وموارد جبهة التحرير الوطني هي ملك وطني .

المادة 40 - كل اختلاس لأموال جبهة التحرير الوطني من طرف المومتمسكين عليها أو المتصرف فيها ، يعد جريمة خطيرة تستدعي الملاحقة (التتبعات) القانونية .

الملحق الثالث :

شهادة الإطالة الوطنية الأولى لحزب
" نجم شمال أفريقيا "

الملحق الثالث

تشيد الاطلاقة الوطنية الاولى

لحزب "نجم شمال افريقيا"

سنة 1936

الا في سبينيل الحرير
(ونجم شمال افريقيا)
مثال الفدا والوطنية
ولتحى فيها العربيه

فدا الجزائر روجي ومالي
فليحي (حزب الاستقلال)
وليحي شباب الشعب الفالي
ولتحى الجزائر مثل الهلال

سلا ما مهد معاليها
غرامك صار لنا دينا
لسان هواك ينادينا
ولو قبضوا بتراقينا

سلا ما سلا ما أرض الجسدود
فأنت في الكون دار الخلدود
فتنا حولك مثل الجسدود
سارعى حنك مثل الأسود

فأذكى فيها معاني الفيدا
ولا لرتدولو بالسودى
لنادي : العزة والسودى
حياة تيقى بها أعهدا

سرى بالروح دم الفاتحين
نغوض الكون مع الخاضعين
ونعلني الصرخة في الصارخين
فلسنا نرضى مع العالمين

(٤٢٠٤٠)

ولسنا نرضى التجيينا
ولا نرتد فرنسيسنا (1)
كفى الجهال تدويننا
رجمناه كابليننا

فلسنا نرضى الامتراجينا
ولسنا نرضى الاندماجينا
رضينا بالاسلام تاجنا
فكل من يبغي اعوجاجنا

فتبتيدا كل من فرقنا
كفانا وكفى من حياة الشقنا
ونجم الصدى عندنا اشرقنا
سارعى عهدك طول البقنا

خلقنا بحكم الهوى اخبية
نريد حياة لنا حرة
خلقنا لهذا الورى سادة
بلاد يميننا مقدسة

(1) سياسة ذلك العهد .

ألا في سبيل العلا والجهنما د
ويلقى الروعة في كسل نسا دي
حملناه ذا اليوم فوق القسوة د
وما هو (جهنم) فينا ينسا دي

ألا في طريق المدى سعينا
ليسطع بأفق السجا جمينا
فها هو ذاك اللوا مينا
وما هو (أحمد) ⁽²⁾ يحدونا

ألا في سبيل الحريه !!!

ألا في سبيل الاستقلال

(مفدي زكريا)

(2) المراد به الرسول الأُعظم .

فهرست الموضوعات

164 مقدمة
172 الحرب الكونية الثانية
180 نزول الجيوش الانجليزية والامريكسية في البلاد الجزائرية
185 لجنة شباب بلكورأ والتدريب على الأعمال النضالية
197 جمعية العلماء والحركة الاصلاحية
201 فرحات عباس والفدرالية السياسية
210 فاتح ماي 1945
215 مسأسة القطاع القسدييني (8 ماي 1945)
226 الاتحاد الفرنسي أو حكم الهيئة الثلاثية الاستعمارية
234 مؤتمر حزب الشعب الجزائري - ديسمبر 1946 - فبراير 1947
238 الحملات التأديبية - مطلقا القبائل والأوس
246 المنظمة الخاصة أو المنظمة السرية
253 انعقاد اجتماعات سرية في زدين والبليدة - ديسمبر 1948
259 الهجوم على مكتب البريد المركزي بومران
268 تفويض المنظمة السرية واعتقال أعضائها
279 الفطائح التي ارتكبتها الشرطة الاستعمارية
291 محاكمة الماضلين الست والخمسين (56) الأعضاء في المنظمة السرية
299 الفجرار من السجن
309 الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها (25 يوليو 1951)
316 ثاني مؤتمر حركة الانتصار للحريات الديمقراطية
321 اللجنة الثورية للوحدة والعمل أو سهرة الاستعداد
329 جذور ثورة فاتح نوفمبر 1954
335 الملاحق
336 الملحق الأول : الذكرى الثالثة عشرة لتأسيس حزب الشعب الجزائري
346 الملحق الثاني : القوانين الأساسية لجهة التحرير الوطني
355 الملحق الثالث : نشيد الانطلاقة الوطنية الأولى لحزب " نجم شمال أفريقيا "